

مُحْيِي الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَرَفِيِّ

شَرْحُ كِتَابِ

الْإِسْرَاءِ إِلَى الْمَقَامِ الْأَسْرَى

مَعَ شَرْحِ ابْنِ سُوْدَكِيْنَ

وَمَعَاجِزُ رُوحِيَّةِ أُخْرَى لِابْنِ الْعَرَفِيِّ

تَحْقِيقُ وَشَرْحُ
عَبْدِ الْبَسَاطَةِ مِفْتَاحِ



BOOKS - PUBLISHER
مَكْتَبَةُ النَّاشِرِينَ

مقدمة ابن سودكين لشرح كتاب «الإسراء إلى المقام الأسري»

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين بجميع حقائق الحمد ودقائقه، المنبث عن «الحمد» وحده وخلاقته، فما أحقه - سبحانه - بالحمد كله وأولاه، إذ لا يستحقه أحد سواه، ولذا سبّح كل شيء بحمده، وتنبّز بجلّه، وكان الحمد المطلق بحمد الحمد⁽¹⁾، المتزّه عن المحصر والحدّ.

وصلى الله على من أوتي لواء المحامد⁽²⁾ غاثم كلّ نبيّ وحامد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلّم وكترّم.

(1) حول حمد الحمد ينظر في الباب 73 جواب الشيخ عن السؤال 99 من أسئلة الحكيم القزويني، والفصل السادس من الباب 198 وهو في الذكر بالتحديد والباب 467 وهو في معرفة حال قطب كان منزله: «الحمد هـ»، والبيان: 120 و121 في معرفة الشكر وتركه. وفي الباب 558: حشرة الحمد والاسم «الحميدة». ويقول الشيخ في الباب 559: «حمد الحمد أصدق للمحامد بلا شك وأولاهما». وفي كتابه «الواقع الأسري» يقول ابن سودكين أنه سمع الشيخ يقول: «وسمته -رحمته الله- يقول لبعض الجماعة: وقد قال: «الحمد هـ»، فقال له الشيخ: فليُذمها. فقبل له: يا سيدنا، ليس الإخلاص أتم؟ فقال -رحمته الله-: لا يصح الإخلاص في التناهد إلا بذكر أن يتخذ بالقصد، ولا يصح الإخلاص إلا في حمد المحمّد وهو قيام الحمد به، وذلك عين الحمد؛ ولولا ذلك ما صح لأحد أن يحمده أو يثني عليه، لولا وجود التّشبيه فيه. وكلّ ذلك العلم وغيره. فلهذه والحمد لله رب العالمين».

(2) للتوسع في معرفة لواء المحامد ينظر في الباب 73 جواب الشيخ عن السؤال 76 من أسئلة الحكيم القزويني، وهو: ما لواء الحمد؟ فبدأ الجواب بقوله: «لواء الحمد هو حمد المحمّد وهو أتم المحامد وأصلها ما مرتبة».

الملكو تيات، وإمامي صدقا، في المعارف الإلهيات والآداب الزياتيات: الإمام العالم، الزايع الفرد المحقق: أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي - رضي الله عنه وأرضاه -.

وكان الحق قد منّ عليّ بشرحهما من دون الناس أجمعين، وتجلّى بإيضاحهما إن في المظهر الكمالي الاسم «المعين»⁽¹⁾ وذلك بعدما توجّه المظهر الكمالي، والنور الختامي، توجّها عائنا، نشر فيه عدله، وأظهر فضله، في حضرة كُليّة، ورتبة شمسية، استدعت مقابلة بدويّة، إذ القيس الوارد من حضرة الواهب، سواء كان بواسطة أو بغير واسطة، إنما يستدعي محلاّ يحمو الآثار، والموارد والألكار، وفي ترتيب حكمة الله تعالى لإمداد الشمس وقبول القمر، يوجد أدب التلميد مع الشيخ لمن اعتبر. فإذا تحققت هذه المقابلة بين العمد والمستمدّ ارتفعت الموانع، إذ ليس في حضرة الجود منع ولا مانع. وكلّ من قال: «عصّني المفيد»، فقد تبيّن وجهه، وهو يظنّ أنه مدحه وحلاّ، لأنه أخرجه بذلك عن الإطلاق، وجعله عنصرّي التوجّه في أحيق وثائق. ولعله إنما قصد بذكر التخصيص إظهار رتبة نفسه، بين أبناء جنسه، والله - تعالى - على كل شيء شهيد.

وإنما توجّه الأكابر توجّها كُليّا، وفيضهم فيضا وحيّا، فمضى صحت المقابلة، فإنّ المغيظ يجلي على القابل في الحضرة الحقّية أنوارا، ويظهر آثارا، ويقص عليه أخبارا. وهذا لا يوجد على التمام والكمال، إلا لمن كان أثمّ الفطر، باق على إطلاقه الذي فطره الله عليه أوّل مرّة⁽²⁾ ومثل هذا المحلّ، هو الذي تأمن المعاني فيه من التحريف، وتسلم المثاني في نطقه وتخيّله من التصحيف، ويحتدّ يظهر فيض المفيد في أكمل مراتبه، فيكون لجميع الفطر في ذلك القيس تشاربا يفضّضها، إذ كانت حضرة القبول

(1) في الفصل 27 من الباب 198 الذي فصل الشيخ فيه الأسماء الإلهية المتوجّهة على إلهاد مراتب الوجود الثمانية والعشرين وتناسبها مع الحروف والنماز الفلكية، قال إنّ الاسم «المعين» هو المتوجّه على إلهاد سماء الدنيا وأسماءها وحرف الفاعل. فكانّ الفاعل ابن سودكين يشير إلى تشبيه علاقته بالشيخ كملاقاة القمر بالشمس، منه يستمدّ بيان معاني هذا الشرح، كاستمداد البدر من نور الشمس.

(2) حول هذه الأنيّة القطرية ينظر في الفتوحات الباب 289 المتعلق بسورة التين، وهو في معرفة منزل العلم الأمي الذي ما تعلّمه علم من الحضرة الموسوية.

حاضرة محيطية على وجود الاستعدادات، إحاطة الشكل الكروي بالأشكال. ومن هامتنا يظهر لمن تفتن بأحكام الحقائق، وفهم ما حصل من الأكسالية لمعمل من أوتي جوامع الكبريم⁽¹⁾.

ولما وَجَدَ المظهر الكمال عند توجهه لقيض المعارف الإلهية، وحل الرموز الإجمالية، محلاً وَجَدَ فيه هذا الشرط، واستحكمت المقابلة الحقيقية بينهما والقرط، اتضت فيه الذاتي، وجوده الكلي، أن يسبق بفضله إليه، ويتربط بهجوده عليه. لكون الجود الإلهي لا يبلل التخصيص الترسفي، والبلل الترسفي، الذي يُستجبه المزاج المتصرفي، فعدت ذلك أفضى لله - تعالى - بين يديه في خط الاعتدال، وتزّحزح بمقابلته في هذه الحضرة على الصام والكمال، فأفاض الله عليّ بهذه المقابلة السبئية أنوار التجليات الشمسية، وحفظ عليّ صفة السير في المطالع القمرية⁽²⁾، على وزن معلوم، وقسم مقسوم.

(1) يشير إلى حديث رسول الله - ﷺ -: «فَلَمَّا عَلِيَ الْفَتْحُ عَلَى الْفَتْحِ بِسَبْتِ: أُرِيْتُ جَمِيعَ الْكُلُوبِ، وَلَمَّا بَزُرْتُ بِالْأَرْضِ، يَتَنَاكَاتُ عَيْنٌ بِمَنْتَاحِ غَزَائِي الْأَرْضِ، فَنُجِّلَتْ لِي يَدِي، وَأُزِيلَتْ إِلَى الْفَتْحِ فَافْتَدَتْ، وَأَجَلْتُ لِي الْمَنْتَاحُ، وَخُجِّلَ لِي الْفَتْحُ وَهُوَ مُسَلَّمٌ وَفَرَمَلِي عَنْ أَبِي حَمْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».

(2) المطالع القمرية ومنازلها ترمز عند الشيخ إلى منازل السلوك خروجاً ورجوعاً. فعدت حديثه عن ليلة القدر في الباب 71 بقول:

«واعلم أن الشهر هنا بالاعتبار الحقيقي هو العيد الكامل إذا مشى القمر الذي جمعه الله نوراً فأعطاه اسماً من أسمائه ليكون هو تعالى المبرد لا جرم القمر. فالقمر من حيث جرمه مظهر من مقام الحق في اسمه «القدر». فينشأ في منزل عيده المحصورة في ثمانية وعشرين، لإنا نتكسب سعي شهرنا على الحقيقة، لأنه قد استوفى السير واستأنف سيراً آخر، حكماً من طريق المحض حكماً أبداً. لأنّ أصل الحق في الكائنات لا يتناهي، لله القدوم بإيقاظ الله تعالى. كما أنّ العيد يمشي في منزل الأسماء الإلهية وهي تسعة وتسعون التاسع والشمعون منها الوسيلة وليست إلا لسمعة - ﷺ - والشماتية والشمعون لنا كالشماتية والعشرين من منازل القمر، ويسمى بعض الناس: الإنسان المفرد. والمشرون تحسب المائة لأنها في الأصل مائة اسم، لكن الواحد أعظم للوثرية، فإنّ الله وتر يحب الوتر، فالذي أعظمه وتر، والذي أظهره وتر ليهما. وإنما قلنا مئتين على منازل القمر ثمانية وعشرين منزلة لأنها قامت من حرب أربعة في سبعة. ونشأ الإنسان قامت من أربعة أعلاط مضروبة في سبع صفات من حيلة وعلم وإرادة وقادرة وكلام وسبح وعصر. فكان من حرب المجرع بعضه في بعضه الإنسان. ولم يكن ظهوره إلا بالله من اسمه «القدر»»

- لأن النور له إظهار الأشياء وهو الظاهر بنفسه، فحكمه في الأشياء حكم قاني. كذلك الشهر ما ظهر إلا بيسر القمر من حيث كونه نورا في المنازل. قال تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدْرَ مَنَازِلٍ﴾. فلما انتهى إليها سيره فهو الشهر المحقق، وما علمه منا سمي شهرا فهو بحسب ما يصطلح عليه، فلا متافرة. وقد تعالى في كل منزلة من المبد يتزلفها اسم «النور» فحكم خاص قد ذكرناه في هذا الكتاب في نعت السالك الداعل والسالك الخارج إليها. والفواصل بين السالكين ليلة الإبداء، وهي ليلة النصف من ثمانية وعشرين: ليلة الرابع عشر من الشهر المحقق، وليلة السرف منه. والقمر فيه كامل أبدأ لأن له وجهين، والتجلي له لازم لا ينفك عنه: لئلا في الوجه ولئلا في الوجهين بزيادة ونقص في كل وجهة، فله الكمال من ذاته لا بد منه، وله الزيادة والنقص من كونه له وجهان، فكلما زاد من وجه نقص من وجه آخر، وهو لحكمة قدرها المميز العظيم.
- وفي الباب 19 يتكلم الشيخ عن منازل السلوك المطابقة لمنازل القمر بطرنا وظهورا، لو دغولا وغروجا، فيقول: إن عند درج المعالي كلها لأشياء والأولياء والمؤمنين والرسل على السواء، لا يزيد شلم درجة واحدة. فالدرجة الأولى الإسلام وهو الاتقياء وأسر الدرج الثاني في الخروج والبقاء في الدخول. وبينهما ما بنى وهو: الإيمان والإحسان والعلم والتقديس، والثالث، والفقر، والفقر، والفلة، والمزقة، والفقرين، والفتمكين في الثلثين، والقناة إن كنت خارجا، والقناة إن كنت داخلًا إليه. وفي كل درج في خروجك عنه ينقص من باطنك بقدر ما يزيد في ظاهرك من علوم التجلي، إلى أن تنتهي إلى آخر درج. فلما كنت خارجا ووصلت إلى آخر درج ظهر بذاته في ظاهرك على قدره، وكنه له مظهر في خلقه، ولم يبق في باطنك منه شيء أصلا، وزالت عنك تجليات الباطن جملة واحدة. فلما دماك إلى الدخول إليه فهي أول درج يتجلى لك في باطنك بقدر ما ينقص في ظاهرك، إلى أن تنتهي إلى آخر درج يظهر على باطنك بقدر ما ينقص في ظاهرك. وسبب ذلك أن لا يزال المبد والرب معا في كمال وجود كل واحد لنفسه. فلا يزال المبد حيدا والرب ربا مع هذه الزيادة والنقص. فلما هو سبب زيادة علوم التجليات ونقصها في الظاهر والباطن. وسبب ذلك التركيب. ولولها كان جميع ما خلقه الله ولوجوده في عبث تركيا له ظاهر وله باطن. والذي نسميه من البساط إنما هي أمور معقولة لا وجود لها في أميها. لكل موجود سوى الله تعالى تركيب. فكذلك أعطانا الكشف الصحيح الذي لا مرة فيه، وهو المرجب لاستصحاب الاطفال له، فإنه وصف ذاتي له. فإن فهمت لقد أوضحت لك المنهاج، ونصبت لك المعراج، فاسلك وأمرج تبصر وتشاهد ما بيته لك...»
- وقد تكلم في الباب 330 عن الملاحة القرنية بين القمر والإنسان الكامل. وهو باب منزل سورة القمر ليراجع هناك وانضمرد في فقرة من الباب 559 تحت عنوان: «السرار بشفع الإبداء».

فلما أفردها الحق - سبحانه - بروايته، وأوقفها في صفة السند على أمانته، أنفخت حينئذ نسبة الجود من المحل الذي فاضت عليه، أن يحسن كما أحسن الله إليه. فتعين تأدية الأمانة إلى أهلها، وإنفاق الكنوز الثورانية في الله - تعالى - وبذلها. وقد نبه الله تعالى على شرف الإنفاق من المحبوب إلى القلوب فقال لخير القرون: ﴿لَنَنَاقِلَهُ الْفَرِحُونَ﴾ (آل عمران: 192).

ولما رأيت شيخنا وإمامنا - قلّس الله روحه - قد تكلم في هذين الكتابين المقدم ذكرهما على السنة الأسماء الإلهية، والنسب الزمانية، والحقائق الكلية، والرفائق الروحانية، من حضرة قدسية، يشق ضياؤها نظر التقار، والجمع بمعانيها من أفاق عليّة، لا يصل إلى أوجها جناح الأفكار، وأشار فيها بإشارات سيّية يكاد سنا يرتقا ينهب بالأبصار، وأجل فيها الخطاب بجوامع كليمه، وحقق أصول المعارف في رؤوس المسائل لرسوخ قدمه، رأيت أمرا عظيم القدر والخطر، لا يعرف سرّه كثير من البشر، وعلمت أنّ الذي قصده شيخنا وإمامنا فيهما من إشاراته ورمزه وإجماله، يحتاج إلى مناسب لمقامه، لتسري إليه روحانية كلامه. وهذا أمر عزيز الوجود وإن لم يكن مفقود. ولو قلّدر أن يظهر الظاهر في النادر بمقصد ما من مقاصده، لما تمّ له ذلك في بقية مصادره وموارده، لأنه لا يحيط بحقائق كلام المعارف وترجم، إلا من أشرف على ما أشرف عليه المتقدم، إذ لا يصح أن يعلمك ويدريك، إلا من أشرق فيه جزء منا أشرق فيك.

ولهذا لا يقدر أحد من الخلق أن يستوفي معرفة دقائق الكتاب العزيز، وأن يحيط علما بجميع الوجوه التي يتضمنها الخطاب المحكم الوجيز. وكذلك لا يُشرف أحد من الأولياء على سرّ المأخوذ الذي استمدّت منه الأنبياء، ولو صحّ ذلك لتساوت الأقدام، وذلك مما لا يصحّ حصوله ولا بُرام.

ولما تحققت ما ذكرته، وتبرهن عندي ما فصلته، من أنّ أحرار معارف إمامنا لا تُسلّك، وأنّ ذروة مقامه الختامي لا يُرقى إليه ولا يُسلّك، علمت أنّ مراده من كتابيه هذين

- كما أن منزلة الباب 600 راجعة لسورة القمر وعنوانه: منازل من ظهر لي بطلت عنه، ومن وقف عند حقيّ اطلمت عليه. والفقرة المناسبة له في الباب 559 عنوانها: ما يجمع الظاهر والباطن والحمد والمطلع. وفي كتاب التبراهم خصص الشيخ لهذا المعنى من سورة القمر باب ترجمة الباطن.

عزيز السالك على السالك، قرعني إلى الله حيث، وابتدئ إلى الوسيلة، وتوجهت إليه سبحانه - بالافتقار لا بالحقبة، في أن يؤثني لمسألة إمامي وقدوتي في شرحهما، وإيضاح ما أشكل من أمرهما، ليكون في ذلك مزيد وضوح للسالكين، وهدية من الله إليهم ونجاة للكثيرين، من ضرر تكلفهم، وسدقة من الله عليهم، لأنني رأيت كثيرا من المترشحين بطواهر العلم، لما وقفوا على إشارات شيخنا في هذين الكتابين، وما يجري مجراهما من كتبه وكتب المحققين، حملهم القصور على أن وقعوا في الضرر، وحكموا على كلامهم بمفهومهم منه، من غير أن تنحصر أقسام النظر. فما لاح في باطنهم إلا ما هو قبيح في نظرهم، مشوه في مخبرهم. فذلك الوجوه القبيحة وجوه فهمهم السقيم، لا وجه مقصده السليم؛ وذلك التشوه والاختلال في نظرهم السيء، لا في نظره المستقيم. فهم بحالتهم هذه شهود على محلوهم بعدم الكمال، وأن ليس في قواهم وجها يرضي ناظره بحال من الأحوال. فهم لوجوه نظرهم بعيرون من حيث لا يشعرون، وعلى قبيح سيرتهم يُشتمون وهم لا يعلمون. ولو كان محلوهم محلا طاهرا سليما، عاملوا ما لم يحيطوا به غيرا بالسليم، وقالوا هذا كلام يحتمل وجوها كثيرة من التأويل، ولم يبق من الشريعة على إنكار ما قصد صاحبه من أحد وجوه احتمالات الكلام نص ولا تأويل. فلم يبق إلا تسليم كل فن لمحتلبيه، (وبين حسن إسلام المرء تركه ما لا ينهيه)⁽¹⁾.

فمثل هؤلاء من علماء الرسوم هم السادة الكرام، الذين سقط عنهم العلم، ومضوا بسلاط، وشهد حسن تصرفهم لعلمهم بالغياء والتمام. خصوصاً وقد ثبت عن الأئمة والمتصفين أن المعارف المحكم إذا تكلم بلسان مخصوص، وفق ذلك اللسان حق، ولم يخلط به غيره. ويؤقتان ذلك بتفاوت المارفون في تحرير الألسنة وتخليصها من الحشو والتخليط، حتى أن المحقق إذا ألف فتا بعبه ويؤبه واشترط، تميز عليه التحفظ منا لا يقتضيه شرطه، ولا أتوجه عليه الدخل والغلط، وحل بمنافضة ما كان ربطا، وكفى الأئمة القاد تقدمه، ولم يحتاجوا أن يتعدوا ذلك إلى ما بعده.

فالمحقق إذا تكلم بلسان الثقل كان سمعا محضا يتسك بالأخبار، ولا يخرج عن مقتضى الآثار. وإذا تكلم بلسان العقل استعمل القوة الفكرية، وحزّر الدلالة العقلية، واستعان على قطع المنصم بما لا يعتقد من الأجوبة الجدلية، وإلى غير ذلك من الصناعات

(1) حديث نبوي عزجه الترمذي وابن ماجه ومالك في الصحيح.

المنطقية⁽¹⁾. وإذا تكلم بلسان الحقائق، فإنه حيث لا يُعْرَج على مذهب بعينه، بل يدور مع الحق كيف دار، ولا يراعي في ذلك خللاً ولا جبار، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر؛ فيكون لسان المحقق للحقائق، كلسان الميزان يميل مع الحق حيث ما كان.

وكذا إذا تكلم المعارف بلسان أهل الأنوار المقربين والأبرار، فإنه حيث يأخذ بمنان العبارة إلى ميدان الإشارة، ويراعي ما تناولوه أهل الأسرار الإلهية من الاصطلاح في تسميرهم عن ذلك العلم الخاص الذي في ضميرهم، ليكون ذلك كالاستار على ما لمع في صدورهم.

والقوم أهل أدب وتحقيق، يتعاملون بما تقتضيه منهم أحكام الطريق. فلما رأوا أنَّ الحق قد أسدى إليهم هداه، ومته الخاصة باطنية في سرائرهم، ولم يظهر سبحانه أثرها للأخبار على طوابعهم، اقتضى لهم الأدب الإلهي مزايدات ميزان الحكمة بأن يسترُوا علمهم الخاص عن سواهم بأستار الصيانة، ليتحققوا في ذلك الأدب والأمانة. ولم يكن لهم بُدٌّ - مع ذلك - من نشر هذا العلم لأهله المزمعين بالقرب الإلهية، فاستعملوا لهم ما عُرف بينهم من الاصطلاح، وغاطبوا بذلك أهل النجاة والنقطة والفلاح، نشروا بهم، وأقاموا على كل منزلة عَلم، وأذنوا في الطالعين بالحجِّ الأكبر إلى ربِّ العالمين، فتمركت دواعي الاشتياق من كل مشتاق، وسار إلى حوز قصب السبق أهل الشباقي، وأصغت مطايا أرواحهم بأسماعها الرائعة، وألبابها الصافية، إلى تشويق المرشدين، واستجابوا إلى دعاء الله، فكانوا من المهتدين، وانقسموا أصنافاً وألواناً، ووصلوا إلى كعبة محبوهم رجلاً وركباً:

(1) في كتابه «لوائح الأسرار» الذي جمع فيه ابن سوكين بعض أقوال الشيخ قال في هذا المعنى: «وسمعت سريسي الله تعالى عنه - يقول: وقد فرَّجَ عليه فصل من كتاب «الفتوحات المكية» فجاء فيه قول الشيخ: إنَّ للحسن أخاطب. فقال الشيخ ما معناه: إنَّ ثَمَّ أموراً يحصلنا على قولها ما الناس عليه غالباً، وليس الأمر كذلك في الحقيقة. ومن ثَمَّ هذه الكلمة التي قلنا فيها ما ناله بعضهم من غلط الحسن. وعلمنا أنَّ الحسن لا يصحُّ أن يغلط أصلاً. فربما وقف على هذا من لا مرة له بحقائق الأمور. فيقول إنَّ هذا مذهب الشيخ. ولا يلزم من كوني أروؤ المسألة للفراي يقول الأشعري، أي أحقد اعتقاد الأشعري، أو باللفظ إذا اقتضى الأمرُ دحض حجة هذا بصحة هذا. فلما مضى أنا فلم أرَ غيره، ومسألة أخرى على حسب دليلي وما يحيطه نظري. ولنا في تصانيفنا مُؤَيِّدات من علمه، يجب أن يُحْضَر لها. قال الجامع لأهله المعروف: ويَن الشيخ - أيده الله تعالى - بعضها في أماكنها».

فهم في الوصول إليها فسر كما قاله فيهم إمام سبق
 فاستجلوا أنوار إشارات أكابرهم بما ناسبها في بواطنهم من النور، وتولى الله صب
 أسرار المعارف الخاصة في تلك الصدور، فلما وقف على ذلك الاصطلاح سوامهم
 لم تحمله قواعدهم. وليس العجب من إنكار الأخيار من كل وجه، فإنه سبحانه - لذلك
 خلقهم، وعن وجه التحقيق صرفهم، لتكثرهم في أرض أجسامهم المتصرية التي هي
 أسفل سافلين، وسجن المؤمنين، وجنة الغافلين. وإنما العجب من إنكار من ترسم
 بمراسم الطريق، وأدعى أنه سلك سلك الصديق. فلقد سمعت غير واحد منهم ممن
 تشبه وتشتبه، وأدعى الحضرة وما قرخ، وهو ينكر إشارات العارفين، ويقول: «ما هذه
 المعاني والمهالك في طريق المسلمين؟» فمن حاله أغبر، وعن مقامه حبر، لتزده
 في أبار تكلته، وتشره في أنهار تخلقته. وما علم المسكين، أنه ما لأجل الأخياء
 والمشتبهين، ترك الأكابر تيه جسم السالكين، كما أنه - تعالى - لم يترك خلق النار،
 لكونها ربما احترق بها ثياب الأبرار، ولا عطل - سبحانه - إبداع البحار، لأجل ما يفرق
 فيها من الصغار والكبار. بل أعظم من ذلك كله، أنه - سبحانه - ما ترك إزال كتابه، وما
 فيه من التشابه، على من اعتدى به من المهملين، لأجل من خل به من الضالين. فوجه
 الخطاب إنما كان لأهل الدراية والهداية، الذين تفهم الله بذلك ورفهم. ولما أهل
 الضلالة: ﴿وَلَوْ كُنْهُمْ فَكَيْفَ يُنْذِرُ لَأَنذَرْنَا لَهُمْ﴾ [الأنفال: 23].

وسمعت آخر ممن تميز بمشارقة ما لعلم الطريق، ونسب إلي شيئا من ملحق أهل
 التحقيق، وهو يقول: «ترى ما الذي قصد الشيخ بتأليف هذه الكتب التي لا يكاد يتفق بها
 أحد؟» فزاد تعجبي من هذا الثاني، وما ظهر عنه من النفس الجاني. ولو تظن لما قال،
 لَكُنْ لِمَ أَذْ كَلِمَتِهِ أَظْهَرْتُ لَكُلِّ لَيْبٍ مَرْتَبَتِهِ، وذلك أنها شهدت عليه بعدم إحكام الهداية، إذ
 إحكامها شرط في صحة الإدراك لكلام أهل النهاية. فشهد كلامه عليه بقصور الاستعداد
 لما يحصل من العارفين للقبائل عنهم من الإمداد، لأن شرط المريد اليقظ المتزور، إذا كان
 صاحب فتح، أن يفهم مقصود العبارة في اصطلاح طريقه من جميع المعنيين، ويدرك
 بنور باطنه لطيف الإشارة على اختلاف ضرورها من جميع المشيرين، وذلك لصحة
 المناسبة بين نور المريد ونور المفيد. ومتى قصر محل السالك عن هذه الرتبة، فشرطه
 الثاني أن يجد في محله سكون أهل الصديق، وهذا عندهم هو الصديق. ومتى عرى
 الشخص عن هذين الوصفين، فقد شهد على نفسه بالقصور، وفارق أهل الفتح والنور.

وما علم هذا القاصر وأمثاله، أنَّ العارفين بالله هم المحققون بالأدب والنهاية، وأنهم ما تكلموا إلا عن بصيرة ودراية. فمنهم من أثير بذلك صريحا في المنام، ومنهم من فهم ذلك من غروب الكشف والإلهام. ومنهم من تحقق أنه متى أخذ الله عليه الميثاق، في بيان ما علمه من العلم المقرب إلى الله لعباده الله. ومنهم من ظهر له أنَّ ذلك من أرفع وجوه المعالونة في الله على البر والتقوى، والتواصي بالحق والصبر عليه فيما يسمع من كلام الجهال، الذي هو أحمل من الثَّبال. إلى غير ذلك من الوجوه الطفيفة، والمقاصد الشريفة.

سمعت شيخنا وإمامنا -رحمتهما- يقول:

(رأيت ربَّ العزة في المنام، قبل أن يظهر عني شيء من الكلام، وهو يقول: يا عبدي اتصع عبادي. قال: فتكلمت حيثل، وألقت في حقائق النصح أموراً كلية يحتم نفعها، ويأخذ كلَّ قابل قسطه منها. ثم أظهرتها ولم أظهر اسمي عليها، وقلت إنما المقصود منها انتفاع الناس بالنصيحة، سواء عُرِف المتكلم أو لم يُعرَف. قال: فلما انتشر ذلك أُسِب الكلام للفرابي -رحمته-، وصار يلحن من بعض الناس بسببها، فلما بلغني ذلك قلت: الآن تميّن إظهار اسمي عليها لا يكون وقاية لرجل مسلم يُظلم بسببي؛ فأظهرت اسمي عليها بعد ذلك، فاستقبلني الناس بسهام أغراضهم، وظنوا في القنون. قال: فرأيت الحق -سبحانه- بعد ذلك في المنام، فقلت: إلهي وسيدي، أمرتني أن أتصح عبادك فامتثلت ونصحت، ورجوت نفعهم بذلك، وقد رأيت الضرر سبق إلى كثير منهم؛ فسمعت -سبحانه- يقول: ﴿كَذَّبَ بِهِ قَوْمًا وَبُذِّلُوا لَهُ مِثْلَ عِلْمِهِ﴾ (١) ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ شَيْءٍ﴾ (٢) (الأنعام: ١٦٦ / ١٦٥). قال: فاسترسلت على الأصل الذي أثيرت به، وعلمت أنَّ الله -تعالى- يضع بذلك من يشاء، ويصرف عن الانتفاع من يشاء؛ هذا في حُكم المومنين غالباً، وأنا المنصوص فإنَّ الله أسَمهم النصح، وأعلمهم على الترتي به ونمام القنن).

ومما يُحقَّق ذلك ويؤكِّده، وينصره عند المناسب ويؤيده ما ذكره في نفسي، وسمعتة وتحققته عن أبناء جنسي. سمعت شيخنا وإمامنا -رحمتهما- يقول: لما فرئ كتابنا: «كتاب الإسراء» على عمر^(١) وسمع من أزلّه إلى السماء الزاوية قال: «إلهي هاتنا

(١) من المحتمل أن يكون هذا الرجل عمر بن معان العمالي الذي ذكره حلفاء ابن سودكين في -

انتهى كشافه ورويته، ولم أتمدّد السماء الثالثة في عروجي القروحاتي وروحاني.
قال -رحمته الله-: (وكان الشيخ عبد العزيز المهدي -رحمته الله- كثيراً ما يشكر عندي

• كتابه «فرائق الأسرار»، ولقد كان يحضر مجالس الشيخ الأكبر في حلب ويحضر عليه أسئلة، في سنة 613هـ. وفي رمضان من سنة 615هـ.

[1] الشيخ عبد العزيز المهدي - توفي سنة 621هـ - وكان من أكابر خلفاء الشيخ أبي معين في تونس. وسافر الشيخ الأكبر إليه سنة 590هـ. بعد وفاته في معين سنة 589هـ. ومكث عنده نحو تسعة أشهر خلال سنة 590هـ. لثما غادر البلاد الطنسية نهائياً مترجماً إلى الحج. وإليه توجه في خطبة القنوجات، وأضاف له في العاقل الأديب، الولي الحبيب. كما أثنى عليه بأجمل الأعلاق في كتابه «روح القدس في محاسبة النفس» ويخاطب لفلان:

(لقد فزت يا أغني -جسدي الله وإياك من الفاترين - في زمناك هذا بخلال لم أقدّر أن أراها من غيرك منها معرفتك بمرئية العلم وأعله، وعدم تعصّبك على الكرامات والأحوال، ومنها التباينك للحق وتواضعك له وتزولك إليه عند من وجفته سواء كان ممن تلحقه البيوت أم لا يؤبه له، ولم تلحق متزلك الفنون من تعظيم الناس لك وتعليهم بك وإتيان السلاطين إلى بابك، وهذا غاية الاتصال، ليك الله وإتياناً ومنها قولك فيما لا تعلم: لا أعلم، وفيما تعلم: أحب أن أسمعه من غيري. لقد حزت والله يا ولي هذه الخصال التي تتكلم دونها وقاب الرجال، والقام الذي لا تنزيه الأحوال، ولا تزيد حسنا ووجاهة ورواب الأفعال. ثم بهتك الذي لم أره من غيرك في معرفة الأنام والأزمان، واعتقادك أنه هو من فروض الأعيان من أعجب ما سمعته الأتقان، وتسلّمت به الخلال، وسارت به الركب. ثم ما وحيك الله من الصلوة والقراءة على الفقهاء بدلائل المكارم والفتوة الجارية مع برافين القبول. وكتب في مثالبه كتاباً عنوانه: (فضائل الشيخ عبد العزيز المهدي) وذكر بعض أسواقه وكراماته في طمعة كتاب (مشاهد الأسرار القدسية). ويذكره ابن تقي في كتابه «أسس القدير» - ص: 97-98 بقوله ما عدا: (الشيخ الإمام المعروف بحر الأنوار مفتي الأسرار أبو محمد عبد العزيز بن أبي بكر رحمته الله). دخل علوته بقصر المنستير وأصل أربعين يوماً. فقال إمام جامع المنوبة: إن مات عبد العزيز فلا يصلى عليه، لأن كل نفسه يعني بالجمع. فبلغ ذلك عبد العزيز فقال: وعمر يموت وعبد العزيز يصلى عليه، فكان كما قال. وسبق له بعد هذه المعلة حسراً، فما استطاع أن يسبّه وتقبل له: كيف أنت؟ فقال: حيث حيلة لا أوت بعداً أبداً، فرتحل إلى بجاية يرسم لقاء الشيخ أبي معين ليكمل تربيته في سنة من الأعيار. وقال الشيخ أبو معين رحمته الله: «عبد العزيز شحّ النفوس». وله الكتبه الحسنة والشعر الرقيق، وكان يته وبين الشيخ أبي معين رحمته الله مكاتبات ومراسلات.

وقال عنه الببال في كتابه «الحقيقة التي ينبغي للتصوف الإسلامي» - ص: 219: (وتلطفه -

شخصاً يقال له عبد الله وذكر الشيخ عبد العزيز أنه لم تقع عينه على مثله. قال: ففتشوا في رويته، فبعد مدة يتر الله الاجتماع به، وحصل بيننا أنسه، وطلب مني أن أسمع كتاب الإسراء؛ فأحضر الكتاب وأقرأ علينا بحضوره، إلى أن وصل إلى حضرة الكرسي وما فيها، فلما فرغوا منها قال عبد الله: «ما بقي بعد حضرة الكرسي حضرة تكشف نواقها. فلما قرأ عليه ما وراء حضرة الكرسي من الحضرات قال: «والله ما احتضت أن وراء ما انتهت إليه همتي حضرة أخرى لتصلق همتي بكشفها». ثم علّق بنبيل ما بقي عليه من كمال الإسراء الروحاني همته، وحزّت دواعي التتبع والتذكرة عزيمته ونقطة.

فلعل هؤلاء السالكين - يا إخواني - توجهت أنفاس العارفين، ومن أجلهم حرك الله دواعي الأكابر بالتصح والإرشاد إلى طريق جليلين، والتخلي بالأدب المحزنة من رب العالمين. وهؤلاء السادة هم الأدلاء على معرفة منازل الرحلة الروحية، وممرج اللطيفة الإنسانية، عند تحققها بالوراثة النبوية، وتبني المحل على معرفة مراتب الأعيان السعيدة الملوثة. وفائدة العبد بالاطلاع على مراتب الأعيان الشريفة هو أن ينظر إلى ما شرفت به عند الحق من القرب، وما هي الأوصاف والأخلاق التي منحها الله بها وأتاهها معالي الرتب، فيصف العبد بتلك الأوصاف، ويتحلّى بذلك الأدب. فلما ما يعطيه الكشف في عالم الصفاء.

ولذا تميّزت للعبد مراتب العالم الأكبر، وعرف مضاعفاتها⁽¹⁾ في نسخة وجوده تترّ

• المهدي كثيرون. منهم أبو سعيد الباجي، وهو الذي تولى غسله بعد وفاته وصلى عليه ولحده في قبره بمرسى جراح. وغير المهدي مشهور بالمرسي، ويعرفه كثيرون من أصحابه، وكان قبره بدون قبة إلى أن شيد حسين بن علي الحسيني قبة على قبره. ثم ذكر له صلاحة وقلة على النبي ﷺ.

(1) في آخر الباب السادس من الفترحات لنص الشيخ هذه المسامحة بين العالم الأكبر والإنسان فقال:

إن العوالم أربعة: العالم الأعلى هو عالم البقاء، ثم عالم الاستمالة وهو عالم الفناء، ثم عالم التصير وهو عالم البقاء والفناء، ثم عالم النسب. وهذه العوالم في موطنين: في العالم الأكبر وهو ما خرج من الإنسان، وفي العالم الأصغر وهو الإنسان. فلما العالم الأعلى: الحقيقة المحمدية ولكلها الحياة، نظير ما من الإنسان اللطيفة والروح القدس. ومنه العرش المحمد ونظيره من الإنسان الجسم. ومن ذلك الكرسي ونظيره من الإنسان =

النفس. ومن ذلك البيت المعمور ونظيره من الإنسان القلب. ومن ذلك الملائكة ونظيرها من الإنسان الأرواح التي فيه والقرى. ومن ذلك زحل وملكه نظيرها من الإنسان القوة العلمية والنفس -بفتح القاف- . ومن ذلك المشتري وملكه نظيرها القوة الفاعلة وموعد الدماغ. ومن ذلك الأحمر وملكه نظيرها القوة الحافظة والباروخ. ومن ذلك الشمس وملكها نظيرها القوة المفكرة ووسط الدماغ. ثم الزهرة وملكها نظيرها القوة الروحية والروح الحيواني. ثم الكواكب وملكها نظيرها القوة الخيالية ومقدم الدماغ. ثم القمر وملكه نظيرها القوة الحسية والجوروح التي تحس.

وأما عالم السموات: فمن ذلك كوكب المريخ وروحها الحرارة واليوسفة، وهي كرة النار، ونظيرها الصفر وروحها القوة الهاضمة. ومن ذلك الهواء وروحها الحرارة والرطوبة، ونظيره الدم وروحها القوة الجاذبة. ومن ذلك الماء وروحها البرودة والرطوبة، نظيره البلغم وروحها القوة الهاضمة. ومن ذلك التراب وروحها البرودة واليوسفة، نظيره السوداء وروحها القوة المسككة. وأما الأرض فسبع طبقات: أرض سوداء وأرض خضراء وأرض حمراء وأرض صفراء وأرض بيضاء وأرض زرقاء وأرض خضراء، نظير هذه السبعة من الإنسان في جسمه: الجلد والشحم والدم والعمود والمصّب والمغلاّت والمغلاّت.

وأما عالم التنعيم: لمنهم الروحانيون نظيرهم القوى التي في الإنسان. ومنهم عالم الحيوان نظيره ما يحس من الإنسان. ومنهم عالم النبات نظيره ما ينمو من الإنسان. ومن ذلك عالم الجمادات نظيره ما لا يحس من الإنسان.

وأما عالم التنب: (وهي المقولات المشهورة عند الحكماء) فمنهم المعرض نظيره الأسود والأبيض والأخضر والأخضر. ثم الكيف نظيره الأحوال مثل الصحيح والسقيم. ثم الكم نظيره الساقط الطول من الفروع. ثم الأين نظيره المتقن مكان للراس والساق مكان للقدم. ثم الزمان نظيره حركت رأسه وقت تحريك يده. ثم الإضافة نظيره ما حذا لبي فلان ابنه. ثم فروع نظيره لفتي ولحني. ثم أن يفعل نظيره أكلت. ثم أن يفعل نظيره شبعته. ومنهم اختلاف الصور في الأمهات كالتبيل والحمار والأسد والفرس، نظير هذا القوة الإنسانية التي تبلى الصور الممتدة من مدموم ومحمود مثل: هذا فلان فهو قبيح، هذا بلدي فهو حمار، هذا شجاع فهو أسد، هذا جبان فهو صرصر.

وفي الفصل 16 من الباب 190 يذكر الشيخ مظاهر هذه المقولات في الحضرة الإلهية ليقول: العالم كله عمل الله، فلهذا على شاكلته، لما في العالم شيء لا يكون في الله. والعالم محصور في عشر كمال صوره إذ كان موجوداً على صورة موجد: فجعله العالم لذات الموجد. وعرض العالم لصفاته. وزمته لأزله. ومكته لاستوائه. وكفه لأسفله. وكفه لأرضه وغشبه. ووضع =

العبد حيثن في سعة الله وحكمته وجوده. ومتى أسرى بالعبد في عوالمه هذا الإسراء، وحصل في عزائه جميع قرب الملا الأعلى، صار حيثن عبداً كلياً، أمته فالتنا حينها، اصطفاة لنصه وشرقه تشرقا، يصلي العالم كله -إن شاء- بصلاته، ولا يخرج شيئا من كليات⁽¹⁾ القرب عن بصلاته فمتى أراد أن يقابل حقيقة من حقائق العالم ويستجليها، نظر في ذاته الطريقة الروحانية التي تضاهيها، فتمتد صفات الجود، وفي مرآة ذاته يحصل

الكلام، وإضافته لربوبيته. وأن يفعل لإيجاده. وأن يفعل لإجابته من سأل. وما من شيء ظهر في تفاصيل المقام إلا وفي الحضرة الإلهية صورة تشاكل ماظهر أي يتقيد بها ولو لا هي ما ظهر. ألا ترى تلك الأطلس كيف ظهر من الحرية في الحق، لأن المتقيد فيه لا تتعين للتمثيل في الأجزاء، كالأسماء والصفات للحق لا تتحدد. ووضوح تلك المركب بالمتنازل على شكل الدلالات على ما وقعت فيه الحيرة فاستدل بالمتنازل على ما في الأطلس من بروج، فهو على شكل الدلالة، وجعل تنوع الأحكام بتزول السيادة في المتنازل والبروج بمنزلة الصور الإلهية التي يظهر فيها الحق. فيما للأطلس فيها من الحكم تجهل ويقال ليس له صورة بالدلالة الطفلية. وما للمتنازل فيها من الدلالات تعلم ويقال هذا هو الحق.

(1) في الباب الخامس من الفتوحات المتعلق بأسرار البسطة والفاضة، ذكر الشيخ هذا المقام «الكني» مرتين، وأعاد ذكره في الباب 281 المتعلق بسورة العصر، وهو «في معرفة منزل المقام والقائمة الواحد مقام الجماعة من الحضرة المحمديّة، ولله يقول: وبعد أن أبنت لك مرتبة التكامل، فلتبين لك من هذا المنزل قيام الواحد مقام الجماعة، وهو عين الإنسان الكامل، فإنه أكمل من عين مجزوع المقام، إذ كان نسخة من المقام حرقا بحرف، ويبدأ أنه على حقيقة لا تقلب التفاضل حين قبلها أربع الأرواح الملكية لإسرائيل، فإنه يتفاضل في كل يوم سبعين مرة حتى يكون كالوضع، أو كما قال. والتفاضل لا يكون إلا عن ردة سبقت، ولا ردة للمبدع الكلي في موجدته، فإنه مسلوب الأوصاف. فلو أنتج لتلك الروح المتضائل حال هذا العبد الكلي في موجدته لما تكوّن عليه التفاضل، فاقهم ما أشرت به إليك. وقد تهتك بهذا الخبر أن هذا التفاضل من أعلم الخلق بالله، وتكرر تفاؤله لتكرار التجلي، والحق لا يتجلى في صورة مرتين، فيرى في كل تجل ما يؤنّيه إلى ذلك التفاضل. هذا هو المقام الصحيح الذي تنطبع معرفة الله. ومصطلح «الإنسان الكني» نجده في نصوص أخرى للشيخ منها قوله في الباب 361 المتعلق بسورة المؤمنون: «الإنسان الكني الكبير، الذي هو ظل الله في خلقه من خلقه. فمن ذلك هو خليفة، ولذلك هم خلقه من مستخلف واحد لهم غلاله، للأشوار الإلهية التي تتجلى للإنسان الأصلي».

الشهود⁽¹⁾ وفي مثل ذلك قلت:

إذا وُثِّقَ ذاتي من الملا الأعلى	مراتب أعيان بها حازت القرى
هنالك أَدْعَى بالخليفة مطلقاً	إذا بليعت أسرفه مني القلبي
ويتحد المحنى بسرٍّ موحَّد	له نسب يلقى بها الشرق والغربا
وهذا هو العبد الذي قيل إنه	هو المفرد الكلِّي إذا ملا الرجا
يرى لمجموع الوجود رقاقا	وما دعا منها الذي شاء لي
ولم لا تلقى من يربِّ وجودها	ومن صار إذ ربي هوالمها ربنا
فلتني سرَّة الوجود جميعه	لكون وجودي قد حوى القشر واللبا
وما قبله الله أسرو حق قدره	إذا جحد العبد النياية والإتبا
وما شُيِّح الإنسان قط بملها	فحقق مرادِي تستد به حُجبا

فانظروا -رحمكم الله- إلى بعض نتائج هذا الإسراء الروحاني، والسلوك الزَيَّاتي، في حضرة السفر إلى الله: هو أوَّل درجات الأسفار الزَيَّاتية. إذ السفر له ثلاث مراتب: سفر إليه، وسفر منه، وسفر فيه وهو أهله⁽²⁾.

(1) في آخر الباب 16 من الفتوحات تكلم الشيخ عن الرقائق الروحية الإنسانية المطبوعة لحقائق العالم، عند كلامه عن أحد الخلقاء السبعة لإمام الحكماء وقطب الأنفاس السني مدني الكلام، يعني به الثاني إدريس -عليه السلام- فقال عن غلبته الخامس أنَّ اسمه «الكسب»؛ وكانت له قدم واحدة في علم التناسبات بين العالمين، والتناسبات الإلهية التي رُجِد لها العالم على هذه الصورة التي هو عليها. كان هذا الإمام إذا أراد إظهار أثرنا في الوجود نظر في نفسه إلى المؤثر في من العالم العلوي نظراً متصورة على وزن معلوم، ليظهر ذلك الأثر من غير مباشرة ولا حيلة طبيعية. وكان يقول إنَّ الله أودع العلم كله في الألفلاك وجعل الإنسان مجموع رقائق العالم كله. فمن الإنسان إلى كل شيء في العالم رقيقة معتدَّة من تلك الرقيقة يكون من ذلك الشيء في الإنسان ما أودع الله عند ذلك الشيء من الأمور التي أتت له عليها ليؤدِّها إلى هذا الإنسان. وتلك الرقيقة يحرك الإنسان المعارف ذلك الشيء، فيما يريده. فما من شيء في العالم إلا وله أثر في الإنسان، وللإنسان أثر فيه. فكان لهذا كشف هذه الرقائق ومعرفة ما وهي مثل أشعة النور. عاش هذا الإمام تسعين سنة.

(2) لتوسع في معرفة صورة السالك والمسافر وأحواله والسفر والطريق وأسرارها تنظر في -

ولذلك سألت شيخنا وإمامنا -رحمته- في بيانها لخدمته، قيل أن يتضح شيء من الحقائق التي اتضحت ببركته، قلت: «يا سيدي، أرى كتاب الإسراء مقبلاً بمعاني الخيال، وهي حشرة أصحاب الأحوال»⁽¹⁾ فقال -أيده الله-: «إنما وردت علي معاني مجردة عن الموائد، وكذلك أكثر فتحي، لأنني سألت الله أن يجعل فتحي كذلك، لتكون المعاني المجردة لا تقبل الغلط ولا التأويل، وإنما هي بمنزلة التصوص. وإنما الحق -سبحانه- أعطاني قوة على تنزيل المعاني في الصور، وتقليدها في أزل الصور بها، بحيث لو تجسد ذلك المعنى في حشرة التجسد لما وجد صورة هي أحق به من الصورة التي نكسوها له. قال: ورمزت في هذا الكتاب بعض تلك المعاني المجردة بعبارتي، ليكون ذلك بمنزلة الرؤيا التي لا يذوقها إلا الشَّعِيرُ المعالم بأصولها، وإن كان الغير يشاركه في سماع الرؤيا، لكن لا يعرف تأويلها إلا هو ومن جرى مجراه. فقولني: «سما وأرض» لم أورد به هذه السماوات المحسوسة، وإنما أردت به السَّمْعُ والارتفاع إلى العلو، وهذه الأرض. ولذلك قلت في صدر الكتاب: «سماوات معنى لا معنى». وقد قلت فيه: إني ذكرت ترتيب الرحلة وتسمية بعض المقامات، إلى مقام «لا يُقال»، ولا يصح ظهوره بالعلم ولا بالحال».

فانظروا -رحمكم الله- إلى بعض مقاصد الأكابر بما يتكلمون به من الأسرار الإلهية، كل ذلك رحمة من الله لعباده القابلين لها، وتدخلة ليتحقق الأولياء بمراتب نام من مورث الأنبياء -عليهم السلام-. ولقد سلكوا هذا المسلك وفي الوقت بقايا يقبلون عنهم، ويستمدون منهم، فكيف إذا انضاف إلى ذلك علم المعارف بما يعطيه آخر الزمان من علم ظهور المحققين إن لم يكن وجودهم، وكثرة أهل الفهم والمتشبهين، وحكم الفترة على همم السالكين، فتبعهم الرحمة الإلهية والوجود على تنبيه همم المتأخرين على النهوض من حضضي الفترة، إلى المقامات العالية والترتب السني، لا يجهلون في وقتهم عارفا سواهم، ولا يتصلون إليها بمجرد قواهم. فيكون المعارف عند كشفه لمثل هذا، كأنه فرض عين في حقه، وذلك من رحمة الله -تعالى- بخلقه، لينبأ الله -تعالى-

١ - الفتوحات على التلوي الأيوب: 189 / 190 / 191.

(1) للفرع في معرفة الحال وأسره ورجاله ينظر في الفتوحات الباب 192، ولمعرفة المقام وأسره الباب 193.

بأنفاسه المحلّ القاصر في آخر الزمان، على طلب الكمال، ويرتدّ الله بهم جناح الهمم بعد الكلال، خصوصاً وقد ثبت في باب الحقائق، أنّ صاحب الجناح الشرقي، إنما يطير إلى مستهى ما عرفه، وإلى أي مرتبة انتهى به العرفان سقط طائر الهمة به ووقف. كما جرى لأصحاب التبه، الذي لم يرحوا فيه، فلو وجدوا إلى الهدى معرقة، لفارقوا تلك الصفة. فإذا وجد مثل هؤلاء، من يدلّ حيرتهم، وينتش همّتهم، ويرتش جناح عزيمتهم، طاروا مرتفعين في جو المشائين⁽¹⁾، وسروا إلى مواطن معارف همهم بشفاعة الشافعين.

ولما أعلمني الله - تعالى - من ذلك كلّ ما أعلمني، وعلّمني إلى سؤال شيعي وإمامي في شرح بعض معارفه ووقفني، وأطلع الله - سبحانه - لشيخنا على حقيقة نصيدي، وكشف له عمّا أودعه عندي، أجاب - رحمه الله - في ذلك مسألتي، وقيل في شرح كتابي «الإسراء والمشاهدة» شفاعتي، وأفرد لي مجلساً خاصّاً في بيت من بيوت حرمة، وفتح عليّ خزائن جوده وكرمه، فشرح المشكل، ورفع المسدّد، وفصل المجلد، ونزل رقائق الخطاب إلى حضرة اليان، وأبرزها في حلل اللطف والحنان، وتنسّ عن يمينه بنسّ الرحمن⁽²⁾، فاتبجس النور، وأضاء الميجور، وأنس النور، وأثّر عن نفسه أنه ظنّ أنّ لن يحور، وقرع الندام على سابق إنكاره من التدم، لما أصبح ويدا منه عَلم، فمن تاب إلى الله - تعالى - من هجومه على إنكار ما لم يحط به غيراً واعتذر، وتدم على ما فرط منه لما بان له الحق وظهر، تدلّكه الوعد الكريم الذي شهد به صحيح الخبر، من أنّ الله - تعالى - أخذ يد الكريم كلما عثر. فاستجلوها رحمكم الله يا إخواني الآن، في حلل اليان:

عروسا تجلّت في المعاني فريدة	فلويس لمستجل يكون لها جزّسا
تجلّت بوصف البدر حين تنزلت	فقرّوا بها عينا وطبّوا بها نفسا
وذلك من اللطائف وحنّوها	ليوركم منها تنزلها أنسا
والألمجلّاه الأعتق بوصفها	أشمتّه قهيرة تكسف الشما

(1) للتوسع في معرفة الشرق والاشتياق وأسرهما ينظر في الفتوحات الباب 180، ولمعرفة الهمة وأسرهما الباب 229.

(2) للتوسع في حقائق «نفس الرحمن» ورجاله ينظر في الفتوحات الباب التاسع 198، والبيان:

إذا حامت الأيصار حول حملها لتسرق منها نظرة طُمست طمسا
 بنار تجليها زؤوس تنالت لسطوتها ما أن تحس لها جبا
 وكم حمة رامت تساكُن وصفها فأسكت الأطماع راقعها رسا
 خلوا نقحة جامتكم حاتمينة مطهرة أنفاسها تذيب الزجا

وكتبت عزمت على أن أقصر على ذكر المشكل من الكتابين خاصة الذي يتعلق به الشرح، ثم رأيت أنه ربما حصل ذلك عند من لم يظفر بالأصل فتتصص عليه هذه الهدية، حيث لم يظفر بكمال الأمانة، فكتبت كتاب الإسراء جميعه على فضه، وكلما جاءت كلمة من مشكله الذي يستدعي الشرح، ذكرت شرح ذلك تحت في سطور أقصر من سطور النص، ليمتد الشرح من المشروح.

وأنا لكتاب المشاهد فاقصرت منه على ذكر المشاهد التي هي قطب معارف الكتاب، وما عداها فإنما هو مقدمة وتمهيد وفوائد في مناقب الشيخ عبد العزيز المهدي -نفس الله روحه- وهو ظاهر جللي لا يحتاج إلى شرح، ولا يتفطن حقايقا كما تفتننه المشاهد، فلذلك تركت إيراده لتلا بطول به الخطاب، إذ القصد مخاطبة أولي الألباب. وفصلت بين الكتابين بخطبة خاصة لكتاب المشاهد⁽¹⁾، حتى يسفل كل من الكتابين بمفرده لمن قصد تحصيل أحدهما دون الآخر، وجميع ما أورده من الشرح فيهما هو إملاء من الشيخ علي، ونص من إلي، وما خرج عن ذلك فإني أورده حاشية أمينتها، ومزيد فائدة أمينها، وذلك لتحقيق الأمانة، وبالله الاستعانة. وهذا حين ابتدئ، وبالله أهتلي.

انتهت مقدمة ابن سودكين.



(1) لقد كتبت شرحا لكتاب المشاهد مع المقدمة والتمهيد للذين كتبهما الشيخ مع مناقب الشيخ المهدي، ووجوه القلب الثمانية وما يتاسها من الحضرات، بعنوان «الشرح القرني لكتاب مشاهد الأسرار القديمة للشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي» وطبع في دار الكتب العلمية ببلنغان سنة 2010، وأعيد طبعه في دار عالم الكتب الحديث بالأردن سنة 2016.

كتاب الإسراء مع شرحه مقدمة المؤلف الشيخ الأكبر



الحمد لله الذي سلخ⁽¹⁾ نهاره من ليله المظلم، وأطلع فيها شمس النيرة وبعده
المعجب، ونصّبهما دليلين على الموضح والمبين، حمداً أزلياً بلسان الإلم، يُرَى على إدراك
نهاية أقصى غاية جلال جمال كمال صرف القلم في ألواح صدور الكليم⁽²⁾ المرقومة
بمئات فنون⁽³⁾ الجود والكرم المنزه من وقت لفق وقت سمالها⁽⁴⁾ بجميع الإدراكات من
العلم، والذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى⁽⁵⁾ والموقف
الأكرم.

(1) سلخ: استل، كما في الآية 37 من سورة يس: ﴿وَبَدَّلَهُمُ اللَّيْلَ نَارًا فَتَأْتِيهِمْ فِي ظُلُمٍ﴾.

(2) لمعرفة الجلال والجمال والكمال ينظر في الفترحات على التالي الأيوب: 241/ 242/ 243. وصرف القلم هو صريه أي صوته خلال الكتابة. والتكليم: جمع كلمة، والمقصود بها هنا الأتياء والكتل من الأولياء، كما هو ظاهر في عاشرين الأيوب السبعة والعشرين من كتابه «نصوص الحكم». وصوما «الكلمة» عند الشيخ تعني كل موجود بكلمة التكوين الإلهي: «كن»، والكتل هم من الكلمات الثلاث.

(3) «النون» هنا عبارة عن العلم الإجمالي، أي الدولة التي يتضمن مدناها إجمالاً صدور الحروف المشكّلة لكلمات العالم أي الموجودات، أي أنّ «النون» هي حشرة علم الإجمال الذي يفضله القلم الأعلى في القروح المحظوظة، وتظهر القلم والقروح وما تلاهما من القوام من الجود الإلهي بالوجود على الأحيان الثابتة في علمه تعالى الأزلي.

(4) الفتن: الشق، وعكس الزنق: أي الانحناء، كما في الآية 30 من سورة الأنبياء: ﴿فَأَوْرَثَهُنَّ تَحْتَهَا زَوْجًا مَبْتَكِينَ وَالْأَرْضَ مَحْكُومًا وَمَا كَفَرْنَا مِنْهُ إِنَّمَا كُنَّا نَخَافُ لَكُمْ﴾.

(5) الآية 1 من سورة الإسراء.

والشكر⁽¹⁾ له على مقتضى ما مضى من حمده وتقدم شكرنا باللام لا بالياء لأنه يصرم والملاحة والسلام على أول مدح كان ولا موجود ظهر هناك ولا نجهب لسماء: فيلناه وقد أوجده فردا لا يتشبه في قوله: ﴿وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾⁽²⁾ (الشورى: 11).

وهو المالح الفرد العظيم وأقامه ناظر في مرآة اللغات لما اتصل بها ولا انقسم. فلما بدت له صورة الويل آمن بها وسلم، وملكه مقاليد مملكته واستسلم؛ فلما الخطاب: (أنت الموجود الأكرم، والمترم الأعظم، والركن والملازم⁽³⁾)، والمقام والتعجب المستطعم والسر

(1) الشكر باللام هو قول: الحمد لله أي أنه تعالى هو المحمود والمحمد لنفسه، إذ لا يمكن لمخلوق أن يحصى الثناء عليه تعالى كما أتى هو على نفسه. أما الشكر بالياء فهو يعني أن الحمد هو الحمد لربه بقدر علمه بربه، وعلمه بهما كان وسعه محدود لا مقارنة بينه وبين حمده تعالى لنفسه بنفسه، وهو حمد الحمد.

(2) الشورى: 11 - كثيرا ما تكلم الشيخ عن هذه الآية في الفتوحات، وعخص لها الباب 499 في معرفة حال قطب كان منزله ليس كمنزل شيء، وقفا على زيادة الكمال، وقتا على كونها صفة لفرض الويل وهو ملحقا بالحمد لله. يعني أنه باعتبار الكمال غير زائدة في ﴿وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ يمكن فهمها: (ليس مثل الله شيء) لقول رسول الله -ﷺ-: (إن الله خلق آدم على صورته). فالإتساع الكامل المخلوق على صورة الرحمن هو المثل الأعلى. وسماه الشيخ في كتاب المشاهدة: «شجر الويل» لأن كلمة «شجر» -فتح الحاء والهميم- تشير إلى «شجرة» -بفتح الحاء وجزم الهميم- أي المنع والتعريف أي التكليف والمميز والنفير أي صفات البهوية المصطنعة خسرما في الشجر الجاهل. فالإنسان الكامل مع تحطه بكمال صورته الإلهية لا يتعجب من عبوديته وإمكانه، فهو البرزخ الجامع لطرفي الوجوب والإمكان أو الإطلاق والتحديد وما يتفرع منهما من أشكال. وأول مدح هو الحقيقة المحمدية، وهو -ﷺ- المخاطب في الفترة التالية.

(3) أشار بالحرم إلى المقام المحمدي الذي لا يمكن انتهاكه، وأشار بالركن والمقام إلى الركن الجمالي ومقام إرثهم -عليه السلام- والحيور المستطعم هو الحيور الأسود بين الله تعالى في أرفه لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الْغُرَّةُ الْأُولَى﴾ (التغاب: 110). وأشار بالملازم -وهو الموضع الذي بين ركن الحيور الأسود وباب الكعبة- واستجاب الدعاء عنه -إلى أن أعظم وسيلة لقبول حده الله تعالى الإتيان من بابه -ﷺ- كما مر من ذلك البصري -رحمته الله- في رده: «فوالاستطمت غنى القادرين من يده إلا استطمت الشقى من غير مستطمة» =

الذي في زمزم: هو لما شرب له فالفهم، والمشار إليه بواسطة التركيب: «المؤمن مرآة أخيه»⁽¹⁾ فليُنظر ما بدا له فيها وليتكم؛ وعلى آله الطاهرين وصحبه وسلم.

أما بعد

فلإني لما قصدتُ معاصر الصوفية، أهل المعارج العقلية، والمقامات الروحانية، والأسرار الإلهية، والمراتب العلية القلبية، في هذا الكتاب المنقح الأبواب، المترجم بـ «كتاب الإسراء إلى المقام الأسرى» واختصار ترتيب الرحلة من العالم الكوني إلى الموقف الإلهي⁽²⁾، وبيّنتُ فيه كيف ينكشف اللباب، بتجريد الأتواب⁽³⁾، لأولي البصائر والألباب⁽⁴⁾، والأمر المعجاب، بالإسراء إلى رفع الحجاب، وأسماء بعض المقامات إلى مقام: «ما لا يُقال»، ولا يمكن ظهوره بالعلم ولا بالحال.

وهذا معراج أرواح الوارثين سُنتن النبيين والمرسلين⁽⁵⁾ معراج أرواح لا أشباح،

= وحديث: «ما زمتُ لما شرب له»: ذكره ابن أبي شيبة وأحمد في مسنده، وابن ماجه والبيهقي في السنن عن جابر، والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمرو.

(1) لهذا الحديث رواية أخرى هي: «المؤمن مرآة المؤمن». والشيخ يشير هنا إلى أن الاسم «المؤمن» من أسماء الله الحسنى، وهو أيضا اسم للعبد المتحقق بالإيمان التام، فكانَ هذا الحديث يؤكد الحديث الثابت: «خلق الله آدم على صورته». ورواية «المؤمن مرآة أخيه» رواها الطبراني في الأوسط وحسنه السيوطي في الجامع الصغير. وورد في «كشف الخفاء للمعجلوني»: 2687، وقال رواه أبو داود عن أبي ربيعة، والعسكري من طرق عن أبي هريرة، وأخرجه الطبراني والبخاري والنسائي عن أنس.

(2) الإسراء هو السير ليلا، والمقام الأسرى هو المقام الأشرف الأعلى، والموقف الإلهي هو موقف الملأ الأعلى في حضرة الله تعالى، لأن كلمة «إله» و«إيل» من أسماء الله تعالى خصوصا إذا نسبت إليه الأرواح والملائكة مثل «جبرائيل وميكائيل وإسرافيل».

(3) أي التخلص من كل الحُجُب التي تحول بين العبد ومعرفة الله تعالى وقربه ورضوانه.

(4) أي الجامعين بين بصيرة القلب وسلامة العقل، لأن الأبواب جمع لب وهو العقل السليم، كما أن لب الشيء هو حقيقته وخيار خلاصته.

(5) يشير إلى الحديث: «العلماء ورة الأنبياء»، أي العلماء بالله تعالى. فقد روى أبو داود والترمذي =

وإسراء أسرار لا أسرار، وروية يجتان لا يجان، وسلوك معرفة ذوق وتحقيق، لا سلوك مسافة وطريق، إلى مساومات تمنى، لا تقنى⁽¹⁾.

ووصفت الأمر بمشور ومتظوم، وأودعته بين مرموز ومفهوم، مستجيع الألفاظ ليسهل على الخفايا، ويكت الطريق، وأوضعت التحقيق، وتوحدت بسر العيش⁽²⁾ ورويت المناجاة⁽³⁾، بإحصاء بعض اللغات. وهذا حين أبتدي، وبالله اعني.



= وابن ماجه وابن حبان في صحيحه وغيرهم أن النبي -ﷺ- قال في ضمن حديث طويل: فإن العلماء ولاة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر.

(1) أي أن كل ما سبذكره الشيخ في هذا الكتاب، هي مشاهد روحية ومعاني ذوقية عرفانية، لا ينبغي تصويرها كصور وأشخاص ومخاطبات حسية في عالم الأجسام.

(2) يشير إلى حديث: أما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام ولا صلاة، ولكن بشيء، وفر في صدقه، قال الحافظ العراقي في «تفريع الإحياء» (1 / 30 و 105 - طبعة الحلبي): «رواه الترمذي الحكيم في «الترغيب» - أي فتاوى الأصول - من قول بكر بن عبد الله المزني، ولم أجده مرفوعا، وفي رواية أخرى: «... بسر وفر في قلبه، وقيل إنه من كلام بعض السلف». وعند الشيخ الأكبر هذا السر المخصوص بالصديق الأكبر -ﷺ- هو من مقام القرية الذي هو أعلى مقامات القلابة فوق مقام الصديقية وتحت نبوة التشريع.

(3) أي في القسم الأخير من هذا الكتاب خصص الشيخ فصولا للمناجاة في حطرة «أدعي»، وستافا مناجاة الإنك، ومناجاة التشريف والتزينة والتصريف والتهيئة، ومناجاة التقديس، ومناجاة المدح، ومناجاة التصلب، ومناجاة مداخ السور، ومناجاة جوامع الكلم، ومناجاة التسمية، ومناجاة الفترة البيضاء، وبني بإحصاء بعض اللغات التعبير عن بعض حقائق تتعلق بأحوال وأحوال وتقصير بعض الرسل، هم آدم وموسى وعيسى وإبراهيم ويوسف وسليمان محمد -عليهم الصلاة والسلام-.

باب سفر القلب^(١)

قال السالك: خرجت من بلاد الأندلس، أريد بيت المقدس:

قوله -رحمته-: «الأندلس» مشتق من «الندلس»^(٢)، وهو التنوير. و«القدس»:

التطهير:

وقد اتخذت الاستسلام جواراً^(٣)، والمجاهدة مهاداً والتوكل زائداً. وسرْتُ على

سواء الطريق، أبحث عن لعل الوجود والتحقق، وجاء أن أبرز في صدر ذلك الطريق.

قال السالك: فلكيت بالجدول الثمين، ونبوغ أرين:

(١) يؤكد الشيخ بهذا التعرّان على أنّ كلّ ما سيذكره في هذا الكتاب عبارة عن أسرار روحية ومعاني باطنية ومشاهد ملكوتية، ليست من عالم الأجسام الحسّية. وهذا ما عبّر عنه الشيخ في الباب 367 من الفتوحات المتعلق بسورة الإسراء، الذي وصف فيه معراج النبي -ﷺ- ومعراج الشيخ الروحاني المنفصل في هذا الكتاب فقال: «ولـ -ﷺ- أربعة وثلاثون مرة الذي أسرى به، منها إسرائ واحد بجسمه والباقي بروحه وذاً وأما الأولاء، فلهن إسماءات ووسيلة برزخية، يشاهدون لها معاني متجسدة في صور محسوسة للخيال، يحطون العلم بها تنفست تلك الصور من المعاني، ولهن الإسرائ في الأرض وفي الهواء، غير أنهن ليست لهن قدم محسوسة في السماء. وبهذا زاد على الجماعة رسول الله -ﷺ- بإسرائ الجسم واختراق السموات والأفلاك حتّى، وفتح مسافات خفية محسوسة. وذلك كله لورثته معنّى لا حتّى، من السموات فما فوقها. فللتفكر من إسرائ لعل الله ما شهني الله خاصة من قلّقه، فإنّ إسمائهن تختلف، لأنّها معان متجسدة، بخلاف الإسرائ المحسوس. لمعارج الأولاء معارج أرواح، ورقية قلوب وصور برزخيات، ومعان متجسّسات. لمتّا شهدت من ذلك، وقد ذكرته في كتابنا المنى بالإسرائ وترتيب الرحلة.

(2) من بين معاني كلمة «الندلس»: الظلمة، والتزييف، وإغواء العيوب. وعله كاليها من التنوير الذي يحصل للقطرة الأصلية الطاهرة الموضوعة. فالمرشد السالك يخرج من ظلمة الغفلة، وتزييف الفكر، وإغواء عيوب النفس طالباً للتطهير من ذلك كلّ تبدل السيئات بالحسنات.

(3) أي أنّ طريقه في سلوك التسليم لأحكام الله تعالى، ومجاهدة النفس بالعمل بشريعة تعالى حتى تصبح راحته في عين مجاهدته، لأنّ المهاد هو الفرائض التي هو محلّ الراحة.

قوله: «روحاني الذات» أي غير بشر، فهو إنا ملك، أو روحاني، أو مظهر إلهي. وقوله: «ألمني الانكشاف» أي انفضاه لا عن جهة. «والإله» اسم من أسماء الله - تعالى -، «والإله»

«لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ وَكَانَ كَرْتُشُورِي» ﴿٤﴾. فأصطلي في هذه الآية كل الآيات وقرب علي الأمر، وجعلها لي مفتاح كل علم. فعلمت ألي مجموع من ذكر لي وكنت لي بذلك الجسري باني محمدي السلام من ولاة جمعية محمد - (عليه السلام) (...) فلتعنا حصل لي تلك حسي حسي، قد ملا أركاتي، فما وسعني مكاني وأزال به عني إيماني. فحصلت لي هذا الإسرار معاني الأسماء كلها، فرأيتها ترجع إلى مستى واحد وعين واحدة فكان ذلك المستى مشهودي، وتلك العين وجودي. فما كانت رحلي إلا لي، ودالتي إلا علي. ومن هنا، علمت ألي عبد محضر ما لي من الربوبية شيء أصلا.

وحيث إن خلق الروح المحمدي، أي روح الإنسان الكامل هو الفرقان، فالمظهر الرابع للروح الذي أخذ الشيخ من تفصيل نشأته ما سطره في هذا الكتاب، هو القرآن روح الإنسان الكامل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَهَ الْكَافِرِينَ﴾ [الشورى: 52]، وهذا ما أنصح حقه الشيخ حيث يقول: - يقول في الباب 366 المتعلق بسورة الكهف: - لجميع ما نتكلم فيه في مجالسي وتسايفي إنما هو من حشرة القرآن وغزواته. أصليت مفتاح الفهم فيه والإمداد منه، وهذا كله حتى لا تخرج عنه، لأن أرفع ما يفتح. ولا يعرف قلدة إلا من ذاته، وشهد منزلة حالا من نفسه، وكلمه به الحق في سره. لأن الحق إنما كان هو المكلم عبده في سره بارتضاع الرسايل، لأن الفهم يستصحب كلامه مثله، فيكون عين الكلام منه عين الفهم منك لا يتأخر عنه، لأن تأخر عنه، ليس هو كلام الله. ومن لم يجد هذا فليس عنده علم بكلام الله حياته.

بني المظهر الخامس الأخير، فسميت أن القرآن كلام الله تعالى، وكلامه صفته التي لا تغارق الذات الموصولة، فالروح الذي أخذ الشيخ عنه هو عبارة عن التجلي اللطفي في مظهر الاسم - الله الحي القيوم الفتح العليم. وقد عثر عن هذا في الباب 270 المتعلق بسورة الناس خلال كلامه عن الإمام الأدي أي الوزير الأول لقلب زمانه، فقال: «ولقد أنعم علي هذا بإشارة بشرني بها وكنت لا أعرفها في حالي وكنت حالي فأوقفتني عليها ونهاني عن الانكشاف إلى من لقيت من المشيوخ وقال لي لا تنم إلا في قلبك لا أحد ممن لقيت حليق بك مما أنت فيه بل تر لاك بمنيتك فأنذرتني فضل من لقيت إن شئت ولا تنسب إليهم وتنسب إلي ويك وكان حال هذا الإمام حال حال سواه لم يكن لأحد ممن لقيه عليه يد في طريق الله إلا في حكلا تلي في قلعة عتدي عنه وأشيرني الإمام بذلك عن نفسه عند اجتماعي به في مشهد يرزقي اجتمعت به فيه في الحمد والمنة على ذلك». فلهذا المظهر كلها هي في جميعيتها حقيقة الشيخ الأكبر الفاضل الروحاني الذات، الربوبي الصفات.

مختص بروحانيات الملائكة ومنه اشتق: «جبرائيل» و«ميكائيل» - **عَلَيْهِمَا السَّلَامُ** -
والإلهي، مختص بالبشر.

قلت له: ما وراءك يا عصام؟⁽¹⁾ قال: وجود ليس له تصرف. قلت: أين وضع
الترائب؟⁽²⁾ قال من رأس عين الحاجب

أراد أمراً مقيّداً لإضافته إلى الحاجب، من كونها جعلت لها حاجباً وإن كانت مطلقاً
في نفسها.

قلت له: ما الذي دعاك إلى الخروج؟ قال: الذي دعاك إلى طلب الخروج
أي الحق سبحانه الذي طلب البشر أن يروا وجهه في الروحانيات⁽³⁾، وطلبت
الروحانيات أن يروا وجهه في البشر.

قلت له: إني طالب فقيه، قال: وأنا داع إلى الوجود
قوله: «طالب فقيه»: الفقد لا يكون إلا عن أمر متقدم، يشير به إلى ميثاق «ألمست

(1) سؤال عصام كلمة يُسْئَلُ بها من مجهول، لكنها هنا تشير إلى اعتصام السالك بهذا الفنى القرمي
الصفت. وكان يُقصد بها في الأصل عصام بن شهير الجرمي، حاجب الملك النعمان بن المنذر،
والى اسمه أشار في قوله التالي «من رأس عين الحاجب». والوجود الذي ليس له تصرف، عبارة
عن الوجود الحق المطلق الذي لا نهاية لتجلياته وكمالاته.

(2) التراب هو القاصد موتاً مقيّداً محققاً، والحق تعالى مع عبده أين ما كان في شهود قلب ركوبه
وعلاول ركوبه ومع مقصوده، فكيف يقصد التراب من هو أقرب إليه من حبل الوريد؟ فطلبه هذا
عين حاجبه، وفي هذا المعنى يقول الشيخ في الباب الثاني من الفتوحات:
بما طالبها لوجود الحق بفكره أرجع لملكك فبك الحق فالعزم.

(3) الروحانيات سماوية، ويشير في الأرض، والحق تعالى يقول: **﴿وَيُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ فِي سُبُلِ الْأَنْبِيَاءِ
إِنْ شَاءَ﴾** [الزمر: 64]. وفي الحديث النبوي: **﴿وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ أَنْتُمْ
بَسْمَلٍ إِلَى الْأَرْضِ شَيْئَةً لَهَبَتْ عَلَى اللَّهِ عَجَلٌ ثُمَّ قَرَأَ وَشَرَفَ اللَّهُ - ﷻ - مَعَهُ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ
وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾** -رواه البيهقي والترمذي وغيرهما. وفي حديث آخر: **﴿إِنَّ اللَّهَ حَاجِبٌ عَنْ
الْعُزْلِ كَمَا احْتَجَبَ عَنْ الْأَبْصَارِ. وَإِنْ أَمْلَأَ الْأَعْلَى بِطَلْبِهِ. كَمَا تَطْلِيهِ أَنْتُمْ﴾** -رواه الحكم
الترمذي في معارف الأصول، وفي حديث آخر: **﴿إِنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ كَمَا هُوَ فِي الْأَرْضِ. وَإِنْ أَمْلَأَ
الْأَعْلَى بِطَلْبِهِ كَمَا تَطْلِيهِ أَنْتُمْ﴾** -له شواهد عند ابن جرير وابن أبي حاتم وأخرج نحوه بغير هذا
اللفظ ابن المنذر.

يرىكم». ويجب أن يتحقق به ليفرك ما كان تَمَّ من الحضور. وقول الآخر «فاع إلى الوجود»: بمنزلة المعلم لهذا المتعلم، فأحدهما قال: أنا طالب من يريتي، والآخر قال: جئت أطلب من أريته وأعلمه.

قلت له: فلين تريد؟ قال: حيث لا أريد

قوله: «حيث لا أريد»: وهو زيادة الحق - سُبْحَانَكَ يَا مَنْ ⁽¹⁾. ثم قال هذا الداعي إلى الوجود:

لكني أريدتُ إلى المشرقين، إلى مطلع القمرين

«المشرقين»: عبارة عن صفتين متناقضتين، ليجمع بينهما بصفة الاشتراك. وقوله «مطلع القمرين»: أي مطلع الشمس والقمر ⁽²⁾. وهو معرفة النفس والروح

إلى موضع القدمين، أمرا من لقيت بخلق التعلين

قوله: «موضع القدمين»: أي موضع انقسام الكلمة الإلهية، وهو الكرسي. فمعنى الكرسي هو العلم الذي من شأنه أن ينقسم الكلمة إلى محصلات وجوهرها. فثارة ينقسمها قسمة منحصرة إذا أعطت الانحصار، كمسألة دائرة بين النفي والإثبات، كما تقول: لا يخلو هذا الذي فرضه إما أن يكون كذا أو لا كذا. والمشترة هي التي لا تنفي ولا تنحصر. وقوله «أمرا من لقيت بخلق التعلين» ⁽³⁾: أي زوال شغيبته بروية الحق - جبل وعلا -.

(1) أي لئلا السريده هو الذي لا يريد إلا ما أراد الله تعالى منا يرشد لعباده الصالحين.

(2) منا يناسب هذا المعنى من باب الإشارة لا التصوير قوله تعالى: ﴿وَجِئْنَاكُمْ بِالقَمَرِ وَالشَّمْسِ تَاغِيَتَيْنِ﴾ (القائمة: 12 / 9).

(3) الجمع بين موضع القدمين، وغلب التعلين، هو الجمع بين كل شئين، لأن موضع قدمي التنزيات الوجودية عند الكرسي، معاكس لمطلع شغيبه التعلين في مشهد الأحدية ومشهد القومية الماحيين لكل اثنين، وهو ما عبر الشيخ عنه في الباب الثاني من الفتوحات خلال كلامه عن إشراقات قلعة سورة البقرة: «الهم» فقال: (لقد أشتيت القول في هذا الفصل عند ما تكلمنا على قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا لِمَنَّا﴾ من كتاب «الجمع والفتن» ⁽¹⁾، أي: انطلع اللام والهميم تبق الألف المتزعزعة من الصفات). وفي هذا السياق يقول الشيخ في الباب 219 من الفتوحات - وهو في معرفة البسط وأسراره - في وصفه للطارفين: «فهم مقبوضون في حال بسطهم، ولا يصح لعارف قط أن يكون مقبوضا في غير بسط، ولا مبسوطا في غير قبض. وما سوى العارف إذا كان في حال قبض -

قلت له: هذه أرواح المعاني، وأنا ما أبصرت إلا الأولاني، فمسي حقيقة القرآن

والسبع المثاني

قوله: «هذه أرواح المعاني»: أي معاني مجرّدة. وقوله «وأنا ما أبصرت إلا الأولاني»: يعني معرّةً متى ما في معناها من العلوم، لأن الآفة في اللغة تستقّى بأية ما دامت غالبةً حتّى وُضعت له. فثُرب إزاء بالنظر إلى زيد وهو كأس بالنظر إلى عمرو. فمن رأى أمراً وأخذ منه مشروباً صحيحاً كان في حقه كأساً، ومن لم يحصل له منه مشروب كان في حقه إزاء لفزأه. وقوله «فمسي حقيقة القرآن»: أي حقيقة الجمع بين الأولاني والمعاني. قوله «والسبع المثاني»: أي هي التي جمعت بين الحق والعبد. فطلب أصل مقام الجمع في عين النظرقة، والنظرقة في عين الجمع⁽¹⁾.

« لا يكون له حال بسيط، وإنما كان في حال بسيط لا يكون له حال قبض. فالعارف لا يُحرّف إلا بجمعه بين الضمين، فإنه حق كله، كما قال أبو سعيد الخزاز وقد قيل له: بم عرفت الله؟ فقال: بجمعه بين الضمين، لأنه شاهد جميعهما في نفسه، وقد علم أنه على صورته، وشيئته يقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْوَعْدُ وَالْكَافِرُ وَالْكَافِرُ وَالْكَافِرُ﴾ [الحمد: 3] وبهذه الآية استج في ذلك. ثم نظر إلى العالم فرأه إنساناً كبيراً في العرّ، ورأه قد جمع بين الضمين، فإنه رأى فيه الحركة والسكون، والاجتماع والافتراق، ورأى فيه الأضداد، وهو أيضاً على صورة العالم كما هو على صورة الحق. فانظر ما أعجب هذه النظرة من أبي سعيد. ولهذا المقام كان يشير ذو القرن المصري في مسأله من إيراد الكبير على الصغير، وإدخال الفروع في الفروع من غير أن يوسع الفروع أو يضيّق الفروع. وقد ذكرنا هذه المسألة في معرّة الخيال من باب المعرفة من هذا الكتاب مستوفاة. فبسط العلماء بالله من البسط المنسوب إلى الحق، بل هو عين البسط المنسوب إلى الحق، لأنهم إليه رجعوا، فلم يكن البسط إلا له، فهم أهل معر وإن كثروا. وهذا القدر كاف في تطبيق البسط من العلم الإلهي. ومن إشارات الشيخ الأخرى حول التلحين قوله في الباب 27 ما خلاصه: «ولمّا تملأ موسى -عليه السلام- فرويتاً أنهما كانتا من جلد حمراء، فجمعت ثلاثة أشياء: الشيء الواحد الجلف وهو ظاهر الأمر، أي لا تغف مع الظاهر في كل الأحوال، الثاني جيلانة فليتها منسوبة إلى الحمراء، والثالث كونه ميتاً غير متفتّى، والصور الجهل. وإنما كنت ميتاً لا تنقل ما تقول ولا ما يقال لك، والمتنجلي لا بد أن يكون بصفته من ينقل ما يقول ويقال له، فيكون حين القلب قلنا بموقع الكلام، فزأنا على المعاني التي يتصلحها من نتائجها».

(1) من أسماء لائحة الكتاب: السبع المثاني، فلأيتها الأولى إلى «الدين» خلاصة للرب تعالى، والآيات»

قال: أنت عبادة علم، شمعك، فأعرف حقيقة نفسك

أي: المعنى فيك، وما تراه⁽¹⁾ فكأنه يقول: أنت ظاهرك خلقي، وباطنك حق، فلهذا لا يفهم كلامي إلا من وقامقي. أي: لا يعرف أحد حقيقة سواه من كل وجه، إنما يفهم من كلامه ما أرادك أن تفهمه منه لأنه يفهم كلامه، ولذلك قال:

«ولا يرقاء، سواي». فكيف تريد أن تعلم حقيقة أسعائي؟ لكن يُخرج بك إلى سعائي.

ثم اقبلني وحبرني:

أنا السرّان والسبع العشاني وروح الروح لا روح الأواني

قال الزاوي لهذا الشرح، الممنون عليه بقلبي هذا الفتح: إنه قرأه الله تعالى بالظهر
 يشرح هذا البيت الأول الذي هو بمنزلة المتشابه من وجهين: أحدهما للترشمين
 ووجه أن يلهيهم الله ورُشعهم وهو الذي يجري مجرى الصدقة عليهم كما تقدم في
 صدر الكتاب؛ والوجه الآخر هو الذي يقتضيه شرح المحققين من أهل الطريق، وهو
 حجة الله تعالى إليهم. فأما الشرح الرّسمي المتسلط بالقوة الفكرية، والصحة الجدلّية،
 على كشف أسرار أهل الحقائق الإلهية، القابلين للفيض الإلهي الزباني بفرّاح المتحلّ
 معطفاً من المواد الفكرية، واتصاله فقيراً مجرّداً متحقّقاً بالمبودية، فيقال له: إذا كان أهل
 طريقة الكلام -وهي الطريقة الباطنة لهم على الجدل والخصام- فيخاطب هذا بلسنته،
 ويكلم بلسان أهل قلته، بعد أن يعلم أولاً أنّ المتكلم له ينسب هذا القول إلى نفسه، إنما
 ينسب للذي عبر عنه أنه روحاني الذات، فإنّ سلّمت إليه، فلا تجعل المواصلة عليه، لأنه
 حكى لك نتيجة كشفه، فإنّ أميت أن توضح لك وجهاً يسبق التأويل عند أهل الجدل،
 فيقال: يا هذا، لما سلّمت أن الحروف المكتوبة في المصنف تسمى قرآناً، وهي عندك
 ليست عين كلام الله تعالى، بل هي أمثلة عليه، فلا فرق بين دلالتها على الله ودلائلي أنا

• التلاوة الأخيرة خالصة للعبد الطالب من ربه الهداية، والمشارك بين الصنفين وسطها: «إنا نعبدك وإليك نتصنع».

[illegible]

على الله، فقد اجتمعنا في مشترك الدلالة، وما سميَّت نفسي إلا بمحدث، وهو المحدث الذي تسميه أنت قرآنًا. فَإِنَّ قُلْتَ: إِنَّ هَذَا لَا تَجُوزُ التَّسْمِيَةَ بِهِ، قُلْنَا: عَقِلَا أَوْ شَرُّهُمَا؟ فَإِنْ قُلْتَ: عَقِلَا، فَلَيْسَ مَضْعُوكَ وَلَا مَضْعُوبًا، فَإِنَّ وَضْعَ الْأَسْمَاءِ بِالْمَنْعِ وَالْجَوَازِ لَيْسَ لِلْعَقْلِ. وَإِنْ قُلْتَ: شَرُّهُمَا، فَالْقُلُّ، وَلَا تَجِدُهُ، فَبَاقِي وَجْهِ تَمْنَعُ؟ فَإِنْ قُلْتَ: إِنَّهُ يَوْهَمُ، قُلْنَا: إِنَّمَا نَتَكَلَّمُ مَعَ هَاقِلٍ، لَا مَعَ صَاحِبٍ وَهَمٍّ.

أَمَّا إِنَّمَا كَانَ الشَّرْحُ مَعَ أَهْلِ السَّعَةِ وَالْمُطَقِّينَ وَالْمُعْتَبِرِينَ، كَانُوا وَالْقَبِيلَ بَنُو إِدْرَاكِهِمْ. وَأَكْثَرُ الْفَتْحِ عِنْدَ هَؤُلَاءِ أَنْ يَكْشِفَ لِلْعَبْدِ عَنْ نَسْخَةِ الْقُرْآنِ فِي عَالَمِ الْإِنْسَانِ. فَقَوْلُهُ عَلَى هَذَا الْإِخْتِيَارِ: ﴿إِنَّمَا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر: 1)، وَ﴿وَلَوْ كُنَّا فَاعِلِينَ فِي السَّمَاءِ﴾ (القدر: 3) لَمْ يَكُنْ فِي التَّضْيِيرِ الظَّاهِرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، وَفِي إِخْتِيَارِ هَؤُلَاءِ: فِي نَفْسِ الْمُؤْمِنِ إِذَا صَفَتْ وَزُكَّتْ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿يَكُونُ لَكُمْ أَسْمَىٰ سَكِيمٌ﴾ (القدر: 4). وَقَلْبُهُ فِي الْإِخْتِيَارِ: السَّمَاءُ الدُّنْيَا الَّتِي تَنْزِلُ إِلَيْهَا الْقُرْآنُ مَجْمُوعًا، فَمَادَ فَرَقَانَا بِحَسَبِ الْمُخَاطَبِينَ، فَالْإِنْسَانُ الْكَامِلُ - كَالْأَنْبِيَاءِ وَمَنْ تَحَقَّقَ بِإِزْنِهِمْ - هُوَ الْقُرْآنُ الْمَزِيدُ عَلَى الْحَقِيقَةِ، تَزُلُ مِنْ حُسْرَةِ نَفْسِهِ إِلَى حُسْرَةِ مَوْجِدِهِ، وَهِيَ اللَّيْلَةُ الْمُبَارَكَةُ لِكُونِهَا غَيْبًا. وَالسَّمَاءُ الدُّنْيَا: حِجَابُ الْعِزَّةِ الْأَحْمَى الْأَدْنَى إِلَيْهِ. ثُمَّ جُعِلَ هُنَاكَ فَرَقَانَا، فَتَزُلُ نَجُومًا بِحَسَبِ الْحَقَائِقِ الْإِلَهِيَّةِ، فَإِنَّهَا تَمُطِّي أَحْكَامَهَا مُخْتَلِفَةً، فَيُتَفَرَّقُ لِلْمَلِكِ. فَلَا يَزَالُ يَنْزِلُ عَلَى قَلْبِهِ مِنْ رَبِّهِ نَجُومًا، حَتَّى يَجْتَمِعَ هُنَاكَ، وَيَتْرَكَ الْحِجَابَ وَرِاسَهُ، فَيُزِيلُ عَنِ الْإِيمَنِ وَالْكُؤُنِ، وَيُغِيبُ عَنِ الْغَيْبِ. فَالْقُرْآنُ الْمُنَزَّلُ حَقٌّ، كَمَا سَمَاءُ اللَّهِ حَقًّا، وَلِكُلِّ حَقٍّ حَقِيقَةٌ، وَحَقِيقَةُ الْقُرْآنِ الْإِنْسَانِ، كَمَا سُحِلَتْ عَائِشَةُ عَنْ عَلِيٍّ النَّبِيِّ - ﷺ - فَقَالَتْ: (كَانَ خَلْقُهُ الْقُرْآنَ). قَالَ الْعُلَمَاءُ: تَرِيدُ قَوْلَهُ: ﴿وَقَدْ كُنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر: 194).

وَلَمَّا قَالَ شَيْخُنَا: «أَمَّا الْقُرْآنُ»، لَمْ يَخْصُ بِذَلِكَ نَفْسَهُ، وَإِنَّمَا كَانَ مُتَرَجِّمًا عَنْ حَقِيقَةِ الْإِنْسَانِ الْكَامِلِ، فَتَحَقَّقْ تَرَشُّدَ. فَبِهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: «أَمَّا الْقُرْآنُ».

(1) قَوْلُهُ تَزُلُ مِنْ حُسْرَةِ نَفْسِهِ إِلَى حُسْرَةِ مَوْجِدِهِ، إِنَّ كَانَ بَعْنِي بِهِ الْقُرْآنُ لَمَعَنَ أَنْ مَعْنَاهُ الثَّلَاثَةُ فِي حُسْرَةِ الْحَقِّ تَعَالَى أَوْ لَا تَزَلَتْ إِلَى حُسْرَةِ الوجود الكوني سَوْرًا وَأَيَّاتٍ وَكَلِمَاتٍ تَطْرُقُهَا الْأَكْسَنُ الْمُحَقِّقَةُ. وَإِنْ كَانَ بَعْنِي بِهِ الْإِنْسَانُ الْكَامِلُ، فَقَدْ تَزَلُ مِنْ حُسْرَةِ ثَبُوتِهِ فِي عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى الْأَوَّلِيِّ إِلَى وَجُودِهِ الْعَيْنِيِّ بِأَمْرِ تَعَالَى «كَنْ». وَهَذَا الشَّرْحُ الَّذِي أَبُودَهُ لَيْنٌ سَوْدَكِينٌ مَقْرُوفٌ حَرَفِيًّا مِنْ فَعْلِ بَابِ «سَفَرِ الْقُرْآنِ الْمَزِيدِ» مِنْ كِتَابِ الشَّيْخِ «الْإِسْفَارِ عَنْ نَتَائِجِ الْأَسْفَارِ». وَفِي ذَلِكَ الْبَابِ يُنَظَرُ تَضَمُّنُ هَذَا السَّفَرِ الْقُرْآنِيِّ الْمُتَضَلِّبِ مَعَ سَفَرِ الْإِنْسَانِ الْكُلِّي الْكَامِلِ.

وأما قوله: «السبح المثنائي»، أي أن الله تعالى أو ما أعطاه الشاهد أن لنا سبع صفات، وأن للحق سبعاته سبع صفات عندنا وعندك. فقد ظهر وجود هذه السبع في موطنين: في الحق وفيها، فكأنها ثبتت، فلهذا صح أن أقول: «أنا السبح المثنائي»، لا أي الفتاحة المكتوبة في المصحف. فلهذا جواب المتكلف الذي يتكلف في غير طريقه واصطلاحه.

وأما ما يقتضيه طريق المحققين في شرح ذلك: فقولهم: «أنا القرآن» هو المجموع، وكأن الإنسان المتكلم بهذا الكلام: مجموع العالم والحضرة الإلهية، فما فرط الحق في سورته من شيء. ولما كان القرآن قد قال فيه: ﴿قُلْ إِنَّمَا الْكِتَابُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ (البقرة: 129)، وقال في الإنسان الكامل: ﴿وَكُلٌّ فِرْقَةٌ لِّخَصِيَّتِهِ عَلَى يَدَيْكَ﴾ (يس: 12)، فأنابه من هذه الكمالية. فلذلك قال: «أنا القرآن». وأما قوله: «والسبح المثنائي»، فإذ السبعة الأسماء التي هي أصول الأسماء الإلهية كلها وأسمائها، فإنها لا تكون في حق الحق مثنى، لأنه ما شئت إله آخر يوصف بها. ولما كانت هذه السبع الصفات في الإنسان الذي هو زيد تكون في عمرو أيضاً، وفي غيره على الحقيقة التي تكون في الآخر، فلذلك قلت سورة المثنوية، فإننا على الحقيقة: «السبح المثنائي».

قوله: «دروح الروح»: روح الجسم هو الروح، وروح الروح ما يقع به حياة الروح ويقال له وهو تعلقه في الذي يسكن من كون هذا التعلق به عالماً، فروحه علمه، فالعلم: «روح الروح». وقوله «لا روح الأواني»: أي لا الروح، وهي روح الجسم خاصة من غير نظر إلى نسبة الشرف الذي هو العلم. فإن قلت: فشره إنما كان بالعلم، قلنا: العلم لا تصح له هذه الحقيقة إلا بتعلقه بالمعلوم، ومحال أن يعلم ربه، فلم يبق إلا أن يتعلق علمه بحقيقة جامعة لجميع المعلومات، وهو: «أنا»، فإنه لا يصح هذا الكمال لغير الإنسان الكامل. فلهذا جعلت تعلق علمه بي: «دروح الروح». فالفهم، وقل: ﴿رَبِّهِ وَذِي جَنَّتِهِ﴾ (طه: 114).

<u>فؤادي عند معلومي مقسم</u>	<u>بشاهد وعينكم لحي</u>
<u>فلا تنظر بطرفك نحو جسمي</u>	<u>وَأُحَدِّدُ عَنِ التَّنَمُّعِ بِالْمُنَافِي</u>
<u>وَأُحْصِي فِي بَحْرَاتِ الْفَلَاكِ تَبَصُّر</u>	<u>عَجَائِبَ مَا تَبَيَّنَتْ لِلْعَيَانِ</u>

قوله: «في بحر ذات اللات»: هذه الإضافة إضافة التناسب. فاللوات عن الذات، والصفات عن الصفات، مقابلة. فقله «أُحْصِي»: أي حق نظرك في ذاتك من كونها ذاتاً. وقوله «تبصر عجائب ما تبينت للعيان»: أي لم ترها في عالم السلوك، ولا يصح ظهورها،

لأنها مصاحبة للدهر الذي هو خيك، فتدركها على الجملة أنها ثمّ في هويتك:

والسرور تسرّات مبهّمات مسترة بأرواح المعاني

قوله: «السرور تسرّات» أي رأى بعضها بعضاً. قوله «مسترة بأرواح المعاني»: وهي ثلاث حُجُب والأسرار وزيّ ذلك. فالحجاب الأول: الحرف، والثاني: معنى الحرف، والثالث: روح المعنى، وهي من خلف ذلك الروح. فصار الروح الثالث لها بمنزلة الحرف لك، وهي لروح المعنى كالمعنى للحرف.

لمن لهم الإشارة فليصنّها ولا سوف يقتل بالثان⁽¹⁾

أي يصون السر الإلهي الذي يشير إليه هذا التفسير. وقوله «يقتل بالثان»: تحرّز من القتل المعنوي، مثل قوله تعالى: ﴿يُقْتَلُ الْمُرْسَلُونَ﴾ (الأنبياء: 10)، فذلك القتل هو القتل المعنوي، أي إنما يسلط على جسمه وروحه في عالم الحياة الدائمة البقاء:

كحلاج المحبّة إذ تبعدت له شمس الحقيقة بالشفقة

لعلّ: أنا هو الحق الذي لا يبدّر ذاته سرّ الزمان

فأعجزني أيها الصديق: أين تريد أرسلك على الطريق؟ وبن أين أكملت؟ وإلى أين

(1) الثان هو نصل الزبح. وعبارة «أنا الحق» وردت في كتاب «الطواسين» المنسوب للحلاج. وللشيخ كتاب عنوانه: «المراج الزواحج في شرح كلام الحلاج». وفي باب «تجلي الحق» من كتابه «التجليات» أجهز الشيخ حرّاراً روحانياً يرزخياً مع الحلاج حول التوحيد وعن سبب قتله. وقد ذكر بعض أقرانه وأصوله في الفتوحات، ويرى أنه من أهل الله أصحاب الأحوال الصاعدة الذين فهموا الأحوال فلم يكونوا من أهل التنكين والقلوب الحكيم المدين. فيقول عنه في الباب 559: «قال الحلاج - وإن لم يكن من أهل الاحتجاج - فهم الله منك بمنزلة ذكره منه، فلهذا التنكين عنه. وفي فقرة أخرى من الباب 559 مناسبة للباب 20 من الفتوحات، يقر بهالة العيسوي، لكن في نفس الوقت يشير إلى عدم تمكنه التام من الآثار المصطفوية فيقول: «من كان عليه عيسى فلا يؤسّر، لأنه المخلوق المحيي، والمخلوق الذي يحيى. عرّض العالم في طبيعته، وطوله في روحه وشخصيته. وهذا النوع من «المصهور والديهور» المنسوب إلى الحسين بن منصور، لم أر متحدثاً وقتي، ويرته نطق، وأسم بالشفقة، وألكلّ وما وشتّى، ولحقني إذاً الشقّ، وركب طيفاً عن طيف، مثله. فله نور في غسق. منزلة الحق لديه منزلة موسى من الخلق، ولذلك كان يقول باللاموت والفتنوت. وابن هو ممن يقول المعين واسمته وحيل الصفة الزائدة؟ وابن لفران من الطور؟ وابن النار من التور؟ المرعى مطوّد، والطور ظلّ مدوّد، والقرعى والظل شامد ومشهور».

أنت؟ قلت: خرجت قلزاً من قلوب.

قوله: «قلول»: أي عالم الجسم الذي هو عالم الطبيعة.

أريد مدينة الرسول -ﷺ- في طلب المقام الأزهر، والكبريت الأحمر⁽¹⁾.

قوله: «مدينة الرسول»: أي المقام المحمدي.

فقال: يا طالب مثلي، أما سمعت قولي؟

قوله: «يا طالب مثلي»: أي نحن أيضاً نطلب ما نطلبونه. وقد جاء في الحديث: (إنَّ

الملا الأعلى يطلبونه -سبحانه- كما تطلبونه أنتم)⁽²⁾

يا طالباً لطريق السر يقصده أرجع وذاك لك السر والسكن⁽³⁾

قوله: «أرجع وذاك»: أي إنك تركت الحق في أول قدم، كما قيل لأبي يزيد -رحمه الله سره-⁽⁴⁾.

بينك وبين مطلوبك أنها السرّ اللطيف ثلاثة حبيب.

إنما سئلاً حبيباً لأنها تميّات، والحق لا يدخل تحت التميّن، وأنه مطلق الوجود.

فقوله من تلك الحبيب:

من لطيف وكثيف. الحبيب الواحد مكمل بالياقوت الأحمر هو الأول عند أهل

التحقيق. والآخر مكمل بالياقوت الأصفر هو الثالث الذي اعتمد عليه أهل الطريق.

(1) الكبريت الأحمر في الكيمياء المأخوذة القديمة ملونة ناعرة تستعمل في صنعة الكبريت الذي يطلب بعض المعادن إلى ذهب. أمّا في الكيمياء الروحية، فهو عبارة عن مقام المعروف المتحقق بالاسم الأعظم الذي ينفرد به طلب دركات النفس المهيبة إلى درجات روحية عرفانية عالية.

(2) سبق ذكر من عرّج هذا الحديث.

(3) الشن: النصف أو الطريقة. وفي الفتحاح ورد هذا البيت بصيغة:

يا طالباً لوجود الحق يهوكه أرجع لملكك فيك الحق فالترزم

(4) هو أبو يزيد البسطامي. يقول الشيخ في آخر الباب 184: «وإنّ قدومك عليه لم يكن إلا لجهلك به حيث لم تره في أول قدم، كما اتفق لأبي يزيد لما عرج في طلب الحق من بسطام في أول أمره فلقبه بعض الرجال فقال له: ما تطلب يا أبا يزيد؟ قال: الله، قال له: الذي تطلبه تركه بسطام. فكتب أبو يزيد كيف يطلب، وهو تعالى يقول: ﴿يَرْجِعُونَ﴾»⁽⁵⁾.

والآخر مكلل بالياقوت الأذهب⁽¹⁾ وهو الثاني الذي اعتمد عليه أهل البرازخ في الطريق. فالأحمر: للذات، والأكهب: للصفات، والأصفر للأفعال وهو حجاب الانفصال.

قوله في الثالث: «وهو حجاب الانفصال»: أي حجاب الأفعال، به انفصلت الذات القادرة بتحقيق إضافة الفعل لها على الحقيقة، والذات الأخرى لا فعل لها. فالذات المحققة: ذات، ووصف، وفعل. والعبد: ذات، وصفات، ولا أفعال. فالحق يخلق، والعبد لا يخلق، فبذلك وقع الانفصال.

ثم قال لي: من كان رفيقك في السفر؟ قلت: الصحيح النظر، العليّ الخبر.

قوله: «الصحيح النظر»: أي الفكر المصيب، وهو العقل المعصوم

قال: هو الرفيق الأعلى، فهل أوقفك في الموقف الأجلّي؟ قلت: لست أعلم هذه

الأصول، لكنني ابتغيّت الوصول، فجعلتُ همتي إمامي، والطور إمامي⁽²⁾، فسمعت: (لا يراني إلا من سمع كلامي، ولا يسمعه سوائي).

قوله: «لا يراني إلا من سمع كلامي»: أي من تقدّم له سماع كلامي، إذ فائدة الكلام أن يعطيك ما يرفع الحُجب بينك وبينه. ويريد هاهنا من قوله «سمع كلامي»: أي عمل عليه، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: 21]. قوله: «ولا يسمعه سوائي»: أي لا يعلم حقيقته من جميع الوجوه سواء سبحانه، لأنها كلمة تتضمن ما لا يتناهى، لأنه وحداني الكلام. وعلى قدر ما يُفهم من كلامه على قدر ما ترى منه. وقد قلنا إنّ الإحاطة بكلامه محال، فإذا لا يراه على الحقيقة سواء. وأما أنت فإنما ترى منه بقدر ما سمعت من كلامه، ولا تسمع إلا من حيث أنت. فأنت مشهود

(1) الأكهب: المغبر المشرب سوادا. أي أنّ السالك يتحقق أولا بتوحيد الأفعال من قوله تعالى: ﴿مَنْ لَمْ يَخُذْ بِذِرَافِهِ﴾ [فاطر: 3]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ سَمِعُوا مَا نُسَخَرُ﴾ [الصفات: 96]، ثم يتحقق بتوحيد الصفات من قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: 3]، ثم يتحقق بتوحيد الذات من قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ وَهَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصاص: 88]، وقوله: ﴿فَايْتَسَاءَلُوا عَنْهُمْ نَجْمٌ وَهْبٌ أَفَرَأَى﴾ [البقرة: 115].

(2) أي جبل الطور حيث كلم الله تعالى موسى -عَلَيْهِ السَّلَام- فطلب الرؤية. فالسالك في هذا المقام يطلب ميراثا موسويا.

نفسك⁽¹⁾.

فخروت صفقا، وتدككك جسمي قرقا، وبقيت طريعا بالوادي، ونهب التملان وبني زادي، فلما لم أر كونا، أنست حيناً.

قوله: «فخروت صفقا»: يريد حالة موسوية، من قوله - عَظِيمُكَ كَلَمَ -: (العلماء ورواة الأنبياء)⁽²⁾. قوله «وبني زادي»: أي حياتي إذ هو صفق لا موت. قوله: «فلما لم أر كونا أنست حيناً»: أي أبصرت، وانتقلت من «علم اليقين» إلى «عين اليقين»⁽³⁾.



(1) للتوسع في فهم «أنت مشهود نفسك يُنظر في الفتوحات الباب 401 وهو في منزلة «الحيث والحيث ليس لهما إلى رؤيتي سبيل، والباب 414 في معرفة منزلة «لا ترى إلا بصحباب، والباب 426 وهو في معرفة منزلة «السر الذي منه قال النبي - ﷺ - عن رؤية ربّه: «منور إلى أروابه، والباب 442 وهو في معرفة منزلة «من رأي وعرف أنه رأي فما رأيته». وحول صفق موسى - عَظِيمُكَ كَلَمَ - وما حصل له فيها ينظر حوار الشيخ معه في السماء السابعة في الباب 367 من الفتوحات.

(2) سبق ذكر من عرّج هذا الحديث. ويريد بلحاب التعلين مع شهود السالك للسلطنة الروحية التي تتوهم أن إيتاء العبد لكلمة بنفسها أو لها وجود مستقل عن قيمة الوجود الحق تعالى. ومن بين معاني «وبني زادي»: بقاء حنة السالك طافية المزبد من القرب والعلم به تعالى الذي لا نهاية له.

(3) سفر القلب له علاقة مباشرة «بين اليقين، حيث إن أول خطوه في سفر القلب عبارة عن افتتاح عين بصيرته. وقد خصص الشيخ في الفتوحات الباب 416 لمعرفة منزلة «عين القلب. وهي منزلة سورة الإسراء وفق الترتيب المعطى لأرباب المنازلات مع سور قرآنية. وقد وُضِّحت هذا الترتيب في كتابنا السابقة. ولمعرفة مقام اليقين وترتبه وأسفروه يُنظر في الفتوحات البابان 122 / 123، ولمعرفة علم اليقين وعين اليقين وحسن اليقين ينظر الباب 269. وله رسالة مستقلة حول اليقين ومراتبه. وفي تعريفه للمصطلحات في الباب 73 يقول: «لأن قلت: وما الورود؟ قلت: ما يرد على القلب من الغواطر المحمودة من غير تعمل، وكل ما يرد على القلب من كل اسم الهي، وهو الذي يحل أحياها حق اليقين. لأن قلت: وما حق اليقين؟ قلت: ما حصل من العلم بالعلم، ولكن بعد عين اليقين. لأن قلت: وما عين اليقين؟ قلت: ما أعطته المشاهدة والكشف لبعدها وبعد علم اليقين. لأن قلت: وما علم اليقين؟ قلت: ما أعطته الدليل الذي لا يحتمل الشك الواردة من المناظر».

باب عين اليقين

قال السالك: فنادتني تلك العين: أيها الفتى، إلى أين؟ قلت: إلى الأمير، قال: عليك

بخدمة الكاتب والوزير.

قوله: «فنادتني تلك العين»: أي قامت لي صورة، أي نداء من حضرة أخرى، وهو مظهر من المظاهر الإلهية. قوله «إلى الأمير»: أي الاسم الحاكم على جميع الأسماء، وهو «الله» - تعالى -. وقوله «عليك بالكاتب والوزير»: الكاتب هو «المعلم»، والوزير إن شئت «القادر»، أو «الحي»⁽⁴⁾.

هما يدخلانك على مرادك وترى حقيقة اعتقادك

قوله: «على مرادك»: أي الأمير الذي ذكرت أنه مرادك. وقوله «ترى حقيقة اعتقادك»: أي بأي شيء، حيث فإن ذلك الشيء يتجلى لك، حتى يكون اعتقادك الفراغ الكلي، وعدم التشكيك باعتقاد ما دون غيره، فيكون هو الذي يلتقي إلقاء مخلصا من الخيال⁽⁵⁾. قلت لها:

(4) أي أن السالك إلى معرفة الله تعالى المعرفة القدوة المغامرة يكون يذكر الاسم الأعظم المفرد الجامع اسم الجلالة «الله». وقد أخذ الشيخ في المنهج من تصوره على أنه أعلى الأفكار والصور به هو أقرب وأشرف المسالك. يقول الشيخ في رسالة الأنوار: «إننا أردت الدخول إلى حضرة الحق والأخذ منه بترك الوسائط والأشياء، إنه لا يصح لك ذلك وفي قلبك رغبة لغيره، فذلك لمن تحكم عليك سلطاناً، هذا لا شك فيه. فلا بد لك من العزلة عن الناس، وإظهار الخلوة من العلاء، فإنه على قدر بُعدك من الخلق يكون قربك من الحق ظاهراً وباطناً... واشتغل بذلك الله بأي نوع شئت من الأفكار، وأعمالا الاسم وهو قولك: الله الله الله، لا تزيد عليه شيئاً.

(5) أي أن ذكر الاسم يزوج بالذاكر إلى حضرة المستنير، وإننا دخل المستنير الخلوة وذكره منصرف في تمكّن اعتقاد معين في الجناب الإلهي كما هو حال كثير من أهل علم الكتاب، فإنه لا يظهر له سوى ما اعتقده. ولهذا يقول الشيخ في رسالة الأنوار: «(الليكن عقلك عند دخولك إلى خلوتك - إن شاء الله - «لَيْسَ كَثِيرٌ شَيْءٌ»⁽⁶⁾. فكأن ما يتجلى لك من الصور في خلوتك ويقول لك: «هذا الله» قل: «سبحان الله أنت يا الله»، واسخط صورة ما رأيت وألق عنها واشتغل بالذكر دائماً. هذا عند واحد. والحمد الثاني أن لا تطلب منه في خلوتك سواه ولا تعلق الهمة بغيره، ولو عرض عليك كل ما في الكون فخله بأبواب ولا تقف عنده وصم على طلبك، فإنه يطلبك. ومهما وقتت =

وأين محلّ الكتاب والوزير؟⁽¹⁾ قالت: حين نزولك من السرير وتجرئك عن الأُنيّة⁽²⁾ ونزعت رداء الأُنيّة، وعلّمت الأُمانة الإنيّة، ووقوفك في الفرق واليُنيّة، فإنك لا ترى الواحد إلا بالواحد، وهناك يتحد الثقاب والشاهد. فحيث حجابك عنه، والوزير⁽³⁾ يمتدّ به من هو خليفة في أرضه وسماؤه، عالم بأسرار صفاته وأسمائه، أسجد له الملائكة أجمعين، ونزّعه من سجود اللعين، فمدّ من أيّ واحد⁽⁴⁾، وبقي الخليفة الأحف فهو الملك والخليفة، ومجتمع الصفات البشرية، فإن وصلت إليه، ونزلت عليه، أكرم مولاك وحظك ونولاك، وأدخلك على مولاك.

مع ذلك فانتك، وأنا حصلت لم ينتك شي... فإنّ باب الملكوت والمعروف من المعال أن ينتج وفي القلب شهوة لهذا الملكوت. ولنا باب العلم بالله من حيث المشاهدة فلا ينتج وفي القلب لسة للعالم بأسره الملك والملكوت.

(1) سبق بيان أنّ الكتاب والوزير عبارة عن الاسم «العلم» والعلم «أو القادر». أي أنّ الخلق بهذه الأسماء هي التي تنزله من سريره الرُحمي، أي تنزل عن الملك الرئاسة وعلينا سواء الظاهرة أو الباطنة، فيكون عبداً عالمنا له تعالى موعداً للدخول إلى حضرة الأمير الذي هو عبارة عن الاسم المفرد الجامع.

(2) التجرد عن الأُنيّة عبارة عن الاعتزال من كلّ حصر بالوقوف عند المقدمات والأحوال. وللصق في هذا الموضع ينظر في الفتوحات الباب 389 وهو في معرفة منازل «في كونك، وألّك كوني»، وينظر لهذا الباب 194 وهو في معرفة المكان وأسراره. ونزع رداء الأُنيّة عبارة عن تغلب الملك عن كل إرادة لا يريدها الحق تعالى ويرشدها، يقول الشيخ عبد القادر الجيلاني -رحمته الله- في أبيات له:

«لُصِّبْتُ لَا أُنْصَلُ وَلَا أُشْبِثُ أَزْجُسُ وَلَا مَوْضُوعَةٌ أَتْرُكُهَا

وعلى الأمانة الآتيّة عبارة عن عدم التشوق إلى الإمارة الروحية والرفعة الباطنية المخصوصة بمن ألقاهم الحق تعالى لمقام الخلافة. والوقوف في الفرق واليُنيّة أي ملازمة العبودية والعبودية. ولعرضهما ينظر في الفتوحات البابان: 130 / 131.

(3) الوزير - كما سبق ذكره - عبارة عن الاسم «العلم»، الذي تجلّى به الحق تعالى على العلماء، بالله، ومنه استمدّ أول خليفة آدم -عليه السلام- علم الأسماء كلها.

(4) قال تعالى: ﴿وَمَا يَكْفُرُ أَتَكْفُرُونَ﴾ كَسَبُوا بِالْإِثْمِ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ [البقرة: 34].

كل هذا هو مأخذ المُتَبَيِّن له محلُّ الكاتب والوزير، بتزوله عن رتبة. وقوله «هو خليفة في أرضه وسمائه» مع قوله «هو الملك والخليفة ومجتمع الصفات الشريفة»: أي أنَّ الأمر وحده، وإنما هي نسب تختلف، فالتمييز بالنسب، والعين واحدة. وذلك أنك لا ترى من الحق سواك، فكل ما تنسب إليه تنسب إلى ما ترى. فكل ذلك جميع ما تنسب إليه - سبحانه - من كاتب ووزير وغيره، فإليك تنسب. والله أعلم.



باب صفة الروح الكلي

قال إسماعيل -أعذ الله بيده- سألت شيخي وإمامي -أعذ الله- عن الروح الكلي: هل هو الذي أراه أبو الحكم ابن بروجان⁽¹⁾ -رحمته الله- في قوله: «العبد الكلي؟» فقال شيخنا -رحمته الله-: «العبد الكلي» عتقا هو صاحب المقام الذي أدرك عليه أبدا، وهو أن يكون العبد عبدا من جميع الوجوه، لا يكون فيه جزء فرء يقتضي الربوبية، فإنه بذلك يخرج عما خلق له من المبرودة إذ لم يكن حاضرا مع عبوديته وقت فعله، حتى لو قال: «أسقيت فلانا شربة ماء» فإنه يخرج بذلك عن المبرودة إذا لم يكن حاضرا مع عبوديته وقت فعله.

وقوله: «إنه منبعث في ذلك من أمر شرعي»⁽²⁾: والروح الكلي تارة يطلق على «القلم الأعلى»، وإن شئت قلت «العقل»، وهو الذي يقول فيه الحكماء: «الأول». وتارة يطلقه على «الروح»، وهو «النفس الكلية» عند الحكماء، وهي دون مرتبة «العقل الأول».

(1) هو عبد السلام بن أبي عبد الرحمن بن أبي الرجال المعروف بابي الحكم ابن بروجان (ت: 537هـ)، وله تفسير للقرآن عنونه: «تنبيه الألبام إلى تدبر الكتاب الحكيم ونمّزف الآيات والنبأ العظيم»، وفي تفسيره للقاعدة تكلم عن «العبد الكلي». ومن كتبه الأخرى: (شرح أسماء الله الحسنى، أو لسان الحق المبثوث في الأمر والخلق)، وكتاب (عين اليقين)، ذكره ابن خلدون في فتاواه وكتاب (الألبام والإشارات)، ذكره ابن الزبير (ت: 708هـ) في (مسلة الصلة). وقد كان طيحا وإشباعية في بدايات القرن السادس، وكان له أتباع كثيرون، حتى أن الشمرقي نقل في طبقاته أنه لما أراد القيام بخروا على المرابطين بايعه 130 قرية. وفي عهد المرابطين، وُشي به عند السلطان علي بن يوسف بن تاشفين، لاستغناء لمصاحبه مراکش، فسجن ثم قتل عام 536هـ. وذكر الفاضل في كتابه (التشريف إلى رجال التصوف) أن الفقيه المصري أبا الحسن علي بن حزم دعم سكان مراکش لتشجيع جنائزته. وابن حزم دعم حفا كان من أكبر المتفانين عن التصوف وأعلمه في المغرب في عهد المرابطين وقد أعاد الطريق من عته صالح بن حزم، الذي أعاد من الإمام أبي حامد الغزالي في المشرق.

(2) هذه الجملة لا توجد في كلام الشيخ السابق، ولم يشرها ابن سودكين.

وفيها قوتان: علامة وفعالة. فبالقوة العلامة تقبل العلوم وتطعها، وبالفعالة تطعي الصور في جوهر الهيولي. فالنفس تصوّر في جوهر الهيولي كلّ ما قبل الصورة. فليس في العالم صورة إلا وهي تحت حيلة النفس، ولا جسم إلا تحت حيلة الهيولي، حتى لو رامت النفس أن توجد جسماً لا في هيولي لما قدرت. وإلى «النفس الكلية» تحشر النفوس عند المفارقة، وهذا يختص بالنفوس السعيدة. وأما نفوس الأشقياء فلا تنفع لها أبواب السماء، بل تكون تحت مقعر فلك القمر تدور فيه. وأرواح السعداء تكون عند «سفرة المتسهي». والله أعلم. فأول صورة قبلت الهيولي⁽¹⁾: الجسم، وأول شكل: الشكل الكروي. وانفتحت بعد ذلك الأشكال، وتعمّرت الموالم.

(1) الهيولي عند الحكماء هي التي يستبها الشيخ: «الهياء» وتنسب إليها: «سبجة الفرد». وللرفع في معرفة هذه المراتب: القسم الأعلى والروح المسطوّرة والطبيعة والهياء والجسم الكلّ والشكل الكلّ، تنظر في الفتوحات من الفصل 11 إلى الفصل 16 من الباب 198، وكتابه: «كتاب الشجرة وظهر الأربعة أو رسالة الاتحاد الكوني في حضرة الإلهاد العيني»، ونظر القسم الأول من كتابنا: «المحافل الوجودية الكبرى في روية ابن العربي». وهنا سؤال: لماذا تكلم الشيخ في بداية هذا السطوك عن الروح الكلية، أي القسم الأعلى أو العقل الأول، الذي مرتبه في أعلى مراتب الوجود، بينما السالك ما زال في التألم للمروج إلى مدخله الإبداعية؟ الجواب - والله أعلم - أن من شروط السطوك سلامة العقل وتحققه بالتكاليف الشرعية، وهو ليس من العقل الكلية الأول. يقول الشيخ عنهما في الباب السابع من الفتوحات عند كلامه عن خلق الإنسان: «لأنه أمر المُؤَلَّهات، فهو نظير العقل الأول، وبه لوتبط، لأن الوجود دافق فكان ابتداء الدفاعة وجرد العقل الأول الذي ورد في الخبر أنه «أول ما خلق الله العقل»، فهو أول الأجناس. ونسب الخلق إلى الجنس الإنساني، فكملت الدفاعة واتصل الإنسان بالعقل كما يتصل أمر الدفاعة بأولها، فكانت دافقة وما بين طرفي الدفاعة جميع ما خلق الله من أجناس العالم بين العقل الأول الذي هو القسم أيضا وبين الإنسان الذي هو الموجود الآخر». والشيخ عبد الكريم الجبلي في الباب 53 من كتابه «الإنسان الكامل» يميّز بين العقل الأول والعقل الكلية وعقل الملائكة، فيقول ما خلاصته: «والفرق بين العقل الأول، والعقل الكلية، وعقل الملائكة: أن العقل الأول هو نور علم الهي ظهر في أول نزله الثبينة الخلقية، وإن شئت قلت أول تنصيل الإجمال الإلهي، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: - «إن أول ما خلق الله العقل»، فهو أقرب المحافل الخلقية إلى المحافل الإلهية. ثم إن العقل الكلية هو القسطاس المستقيم، فهو ميزان العقل في قبة الفروع المُفَضَّل. وبالجملة، فالعقل الكلية هو المعادلة: أي المفردة التنوية التي ظهرت بها صور العلوم المودعة في العقل الأول، لا كما يقول من ليس له معرفة بهذه الأمور أن العقل الكلية عبارة عن شمول»

قال السالك:

قلت لها: اتعنه لي لأحرله إذا ربي، وأخر له ساجدا إذا أتته⁽¹⁾. قالت: ليس بسيط ولا تركب، ولا يقصد طريقا لا يشتك⁽²⁾ من متزّه عن التحيز والانقسام.

قوله: «ليس بسيط ولا يتركب»: أي ليس بفرد ولا مؤلف. وقوله: «لا يقصد طريقا ولا يشتك»: أي ليس له أين، فلا أين له. فإن قلت: فلا يخلو عن هذا، قلنا: لكونه غير متحيز، فإن الشرط المصحح للاتصال والانفصال إنما هو التحيز، كما نقول في الحجر إنه لا عالم ولا جاهل، إذ من شرط الانقسام بالعلم والجهل الحياة، فالتنفي المشروط

= أفراد جنس العقل من كل شيء عاقله، وهذا مفروض لأن العقل لا تمد له، إذ هو جوهر فرد وهو في المثل كالمصدر للأرواح الإنسانية والملكية والجنية، لا للأرواح الجيبية. ثم إن العقل المعاش هو الفاعل الموزون بالقانون الفكري، فهو لا يفرق إلا بأقوال الفكر. ثم إدراكه بوجه من وجه العقل الكلية، فقد لا طريق له إلى العقل الأول، لأن العقل الأول متزّه عن القلب والقياس وعن الحصر بالقياس، بل هو محل صدور الوعي القدسي إلى مركز الفروع النفسية. والعقل الكلية هو الميزان العقل للأمر الفصل، وهو متزّه عن الحصر بقانون دون غيره، بل وزنه للأشياء على كل معيار. وليس لعقل المعاش إلا معيار واحد وهو الفكر، وليست له إلا كفة واحدة وهي المعتاد، وليس له إلا طرف واحد وهو المعلوم، وليس له إلا شوكاة واحدة وهي الطبيعة بخلاف العقل الكلية، فإن له كفتين: إحداهما الحكمة، والثانية القدرة. وله طرفان: أحدهما الانكشافات الإلهية، والثاني: القوابل الطبيعية. وله شوكاتان: إحداهما الإرادة الإلهية، والثانية: المتطلبات الخلقية. وله معيار شئ وبين جملة معايير أن لا معيار. ولهذا كان العقل الكلية هو القياس السليم لأنه لا يحيف ولا يظلم، ولا يفرقه شيء، بخلاف عقل المعاش فإنه قد يحيف ويفرقة أشياء كثيرة لأنه على كفة واحدة وطرف واحد. فحسبة العقل الأول مثلاً نسبة الشمس، ونسبة العقل الكلية نسبة الماء الذي وقع فيه نور الشمس، ونسبة عقل المعاش نسبة شعاع ذلك الماء إذا وقع على جدار. فالتأثر مثلاً في الماء بأحد حيز الشمس على صفة، وأحد نوره على جليته، كما لو رأى الشمس لا يكاد يظهر الفرق بينهما، إلا أن التأثر إلى الشمس يرفع رأسه إلى الماء، وتأثر إلى الماء ينشئ رأسه إلى الشغل، فلهذا العقل الكلية فإنه الأخذ علمه من العقل الأول، فإنه يرفع يده عن العلم الإلهي. والأخذ علمه من العقل الكلية ينكس يده قلبه إلى محل الكتاب، ليأخذ من المعلوم المتعلقة بالأكوان، وهو الحد الذي أودعه الله تعالى في الفرح المسفوق، بخلاف العقل الأول فإنه يتلقى من الحق بنفسه.

(1) يعني بالسجود الخضوع والاستسلام.

(2) أي لا يحمل ولا يتعثر.

بالانتفاء الشرط. وكما عرى الشيء عن الضمين لمروره عن الشرط المصتحح لوجود أحدعها فيه على التماثل، كذلك يجوز أن يكون ثم شرط يصح به اجتماع الضمين، كما رآه ذو النون المصري -رحمته الله تعالى- وغيره مما أورده في مسائله الست.

مقتضى عن الحلول في الأجسام، حامل الأمانة الإلهية، وسجيع الصفات الكلية، موافق إلى الأجسام الموضوعة بين يديه، كمواد مستغلفة إليه.

قوله: «موافق إلى الأجسام كمواضع مستغلفة إليه»: أي كما أن الحز - سبحانه - لا يتصف بالدخول في العالم ولا بالخروج عنه، ولا بالاتصال به ولا بالخروج عنه، كذلك الروح مع البدن بهذه النسبة، لعدم التحيز كله.

ليس بداعل بالذات ولا بخارج بالصفات، وهو وصف معروف، والصفة لا تفارق الموصوف، محدث صدر من قديم غني، ثم وبه كل سر غني، ومعنى جليل حفي⁽¹⁾.
ليس له في، ولا كملته شيء، هو مرة متورقة ترى حقيقتك بها مصورة.

قوله: «محدث صدر من قديم»: أي محدث العين، صدر من قديم الوجود.
فلذا رأيت صورتك تجلّت لك فاعلمتها، فلك بتيتك قد وصلت إليها فالزتها. بقدر معرفتك بنفسك هي معرفتك بالله تعالى.

فلم أزل أصحاب الرقائق، وأجرب الأفاق، وأعمل التركاب، وأقطع الياب، وأستطي
اليملاط، ونسري ببساطي اللوات، وأركب البحار، وأغرق الحجب والأستار، في
طلب هذه الصورة الشريفة، المدهزة بالخلقة. فما تجلّت لي صورة من فارت العين،
حتى رأيتك فأريت نفسي دون عين⁽²⁾، فحيترتني من أنت؟ من حيث أنت؟

قوله: «فلم أزل أصحاب الرقائق» إلى آخر الفصل: هو ما يتعرّض إليه في السلوك من الخواطر والتمنازلات والمقامات والأحوال. قوله: «فما تجلّت لي صورة»: أي صورة في النفس الكلية، وهي غاية مرتبتها. «حتى رأيتك»: يعني الروح الكلية، وهي المرأة الكلية.

(1) حفي: كريم.

(2) الياب: الأرض الخراب، اليملاط: الإبل النجبة المطبوخة على العمل، اللوات: الرياح، ميّن: كليب.

باب الحقيقة

قال مالك:

فأشدد وقد أُرشد⁽¹⁾:

بما سألني من أنا علما وتصويرا أنا الكتاب الذي سَمَّاه مسطورا

قوله: «علما وتصويرا»: العلم من حيث تركيبه، والتصوير من حيث إقلاذيه. قوله «أنا الكتاب الذي سماها مسطورا»: إنما سُمي الكتاب مسطورا أي مُسلَّطا عليكم لتعملون به ومنه قوله تعالى: ﴿كُنْتَ مَكِينٌ يُحْيِي﴾⁽²⁾ [الفنية: 22] أي بمسلط، لأنه إنما جاء ليُعمل به، ومنى عُصي انتقم من عصاه. ولما كانت الأرواح مسلطة على الأجسام لتديرها سَمَّي نفسه «كتابا مسطورا»، كأنه أشار إلى قوله: ﴿وَالْقُرْآنُ كِتَابٌ تَنْظِيرٌ﴾⁽³⁾.

وَلَقَدْ تَنَفَّسْتَهُ رَقًى فَتَبَصَّرَهُ فِي صَفْحَةِ الطُّورِ مَطْوِيًّا وَمَنْشُورًا

قوله: «رقم تنفسته»: ههنا أراد السطور، أي حين الكتابة. وإنما سماه «رقما» لأنَّ الرِّقْم يكون بوجهين. قوله «تنفسته رقا»: يعني الوجود الذي كتبت فيه حروف العالم. وقوله «في صفحة الطور مطوياً ومنشوراً»: الطور عبارة عن الجسم، فالمنشور ما ظهر لك منه، والمطوي ما غاب عنك منه.

بني الإله له في السلف تَكْرُوتٌ بَيْنَا وَلِبَاسٌ بِسَرِّ السَّرِّ مَمْمُورًا

«اليت»: محلُّ القوى من الإنسان الذي هو الدماغ، لأنَّ فيه جميع القوى المحنونة والحسية. قوله «بسَرِّ السَّرِّ»: أي ما خفي من المعاني عنه مما يعلمه في الزمان الآخر.

أَجْرِي لَهُ اللَّهُ صَوْنًا مِنْ لُطَافِهِ بِحَرًّا يَطُوفُ بِبَيْتِ اللَّهِ مَجْجُورًا

قوله: «البحر»: يريد به بحر الحياة، ولذلك قال: «صَوْنًا» لأنَّ لولا هذا البحر ما غفل

(1) أي: أفتنى لروحاني الرائي الصفات.

(2) في هذه الآيات إشارة إلى الآيات الست الأولى من سورة الطور: ﴿وَالْقُرْآنُ كِتَابٌ تَنْظِيرٌ﴾⁽³⁾ في قوله تعالى: ﴿كُنْتَ مَكِينٌ يُحْيِي﴾⁽²⁾ و﴿وَالْقُرْآنُ كِتَابٌ تَنْظِيرٌ﴾⁽³⁾.

شيء ولا حصل له علم ولا غيره، إذ شرط العلم الحياة.

فالترسم جلسم بأثلام الإزادة في رق تفتن معنى النار والنورا

«الرق»: ما هنا عبارة عن وجوده. «والترسم»: ما كتب فيه من العلوم الظاهرة والباطنة. بهذا الشرط فلا يكون رقما إلا هكلا. فالوجه الذي يلي الحق نورا حسنا، والوجه الذي يلي الكون فيه حسن وقبح، وهو قوله «تفتن معنى النار والنورا» فالنار عالمه الطبيعي لوجود هيكله، والنور عالم روحانيته.

والنفس بيت وسر الصدق ساكنه به يكون كمال الجود مشهورا

أي بالصدق يكون كمال الجود مشهورا، لأن بالصدق ما يرّد شيئا من جميع ما يرّد عليه، بل يقبل الجميع.

أنا السرداء أنا السر السلي ظهرت بي ظلمة الكون إذ صيرتها نورا

يريد به «الزّداة»: المظهر الإلهي، والحق مرتدي به، وهو قوله لأبي يزيد - رحمه الله -: «من وقد فقد وأني»، فهو ظاهر الزّداة⁽¹⁾. وقوله «أنا السر الذي ظهرت»: أي من أجلي

(1) عرّف الشيخ كلمة «الزّداة» في جوابه عن السؤال 106 من أسئلة الحكم الترملي في الباب 73

من الفترحات، وهو: ما الزّداة؟ الجواب: العبد الكامل المخلوق على الصورة الجامع للصفات الإنسانية والإلهية، وهو المظهر الأكمل الذي لا أكمل منه، الذي قال فيه أبو حامد: «ما في الإنسان أبعد من حلا العالم»، لكمال وجوده الطاق كلها فيه، وهو العبد الذي ينبغي أن يسعى خليفة ونائب، وله الأثر الكامل في جميع المستكنات، وله المشية الناعمة، وهو أكمل المظاهر.

واختلف العلماء: هل يصح أن يكون منه في الوجود شخصان فصاعدا أو لا يكون إلا شخص؟ فإن كان شخص واحد فمن هو ذلك الشخص؟ ومن أي قسم هو من أقسام المجرّبات؟ هل من البشر أو من الجن أو من الملائكة؟ وإتسا سماء فرداء لأنه مشتق من فردى المفسر وهو الهلاك لأنه مستهلك في الحق استهلاكاً كلياً، بحيث أن لا يظهر له وجود حين مع ظهور الانفعالات الإلهية عنه، فلا يجد في نفسه حقيقة ينسب بها شيئا من تلك الانفعالات إليه، فيكون حقا كله، وهو قوله - رحمه الله -: «فواجبني نورا»، أي يظهر في كل شيء ولا أظهر بشيء. وقد يستهلك الحق فيه فلا ينسب بوجوده شيء إلى الحق، وهو الوجه الذي اعتمد عليه من آيت الحق المخلوق به، كآية الحكم بن بريجان وسهل بن عبد الله التستري وغيرهما، وإليه أشرتنا بقولنا:

أنا السرداء أنا السر السلي ظهرت بي ظلمة الكون إذ صيرتها نورا

فالمرتدي هو الهالك بهذا الرداء. فلتتر من هو المرتدي، لالحكم عليه بأنه مستهلك فيه، لتجد -

ظهرت الموجودات بعد أن كانت في ظلمة العدم، فصارت في نور الوجود.

انظر وجودي من ذات الإله تجد حقا يقينا ومنني باطلا زورا

قوله: «انظر وجودي»: أي من جانب الحق أنا واجب الوجود لاقتضاء العلم، أو الفات. ومن جانبي أنا ممكن الوجود. فالعدم لي من ذاتي، والوجود لي من قبل خالق.

قال السالك:

ثم قال لي: أنا الخليفة أيها الطالب، وأنا الوزير والكاظم.

قوله: «أنا الخليفة والوزير والكاظم»: أي اتحدث العين، لأنه عين واحدة بمراتب مختلفة، متميزة بعضها عن بعض، تلك المراتب أحيان موجودة قائمة في العالم الكبير، ولا قائمة في معرفتها عند العلماء بالله إن لم يكن وجودي محصلا للمراتب التي بها حصل لتلك الأعيان القرية إلى الله. فلهذا اتحد المعنى في حق الإنسان الكلي فقال: «أنا خليفة من وجه كذا، وكاتب من وجه كذا، ووزير من وجه كذا». وأنا العلم بالله فلا يُنظر فيه كما قيل في مراتب العالم إن وصفها يكون صفة لي، بل نفس العلم بما يتعلق بجانب الله - تعالى - هو نفس القرية إليه، فكيف إن انضاف إليه عمل به إن اقتضى العلم عملا، مثل التخلق بالأسماء، فتحقق. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

خليفة الفات في تدبير الأفعال من كروسي الصفات. أنا الوصل وأنت المثال.

يشير إلى الحقيقة. ثم أخذ يبين الوجود والتسبب التي صار بها خليفة وكاتب ووزيرا. وهذا كله يرجع إلى أصل الإله⁽¹⁾، وهو قولهم: «ما في الوجود إلا الله تعالى».

« حقيقة ما ذكرناه. لكل مرتد محبوب يرداه عن إدراك الأفعال، قال تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾، لأن الرءاء يصحب الأفعال ولا يصحب عنها فهو يدركها ولا تدركه. فالأفعال تدرك الرءاء والرءاء هو الذي استهلك المرتدي به يظهره: ﴿إِنِّي كُنْتُ لَمِنَ الْفَاسِقِينَ﴾.

(1) أي أن حضرة الحق تعالى لها ثلاثة تجليات كلية: الفات، والصفات، والأفعال. فالأمر الإلهي تلكه حضرة الحقيقة المحمدية التي مظهرها الأول القلم الأعلى أو العقل الأول، ويتزل عبر مراتب الوجود متفرقا في كل مرتبة حسب ما تقتضيه. وفي حضرة الكروسي محل شعبة القدمين تظهر تجليات الصفات المختلفة أفعالا في الأفعال الكونية. والحضرة الجامعة لهذه المراتب هو العبد المحمدي الخليفة الكامل المتحقق بنفسه على الصورة الكاملة في عين عبوديته، وهو المعبر عنه بـ«الوصل»، ومجلاؤه في السالك هو المعبر عنه بـ«المثال» والله أعلم.

وأنا التوب الذي مال⁽¹⁾ (و) كاتب من حيث أن أكتب في صحائف قرايطس المقول
سر كل مقول ومقول، (و) وزير من حيث أن أحمل ثقل الأجسام للعرض على العلي
العلام، فلما وصفتي متعذرة فاسجد لي لأن أردت الأسماء. واعلم أن الاسم
يدل على المستى.

قوله: «اسجد لي إن أردت الأسماء»: أي اطلب ذلك مني، كأن مرتبة الوزارة تقول
لحضرته الكتابة: عذ مني، والعين واحدة. قوله «واعلم أن الاسم يدل على المستى»: أي
إذا عرفت الاسم عرفت من وُسم به، وإلا لا فائدة بمعرفته.
والكل فيك، فالتع بما يكتفي، وأسك عما لا ينحك.

أي لا تسأل عما يختص بي. وفيه من تعليم الأدب والسؤال بحكم الموطن.
ثم قام هجلاً، وأشد مرتجلاً:

هيهات ما السوراد والصادر إلا لأمر شاه القادر

الصدر لا يكون إلا بعد وُرد. فيقول: هيهات ما الوارد الذي يرد لطلب ما يكون
به حياته، لأن المورد إنما هي للمياه والصادر الزاجع بعد وروده وتحصيله ما ورد من
أجله. قوله «لأمر شاه القادر»: وهو أن تأخذ ما ورد من أجله، وتعطي ما صدر به، أي
يفيض الكمال على غيره.

بناظر الحكمة من غارح إنسانك الحكمة بناظر

بناظر العين، يقول: الحكمة فيك وهي إنسانك. وهذا مثل قول القائل:
قد يرحل السر لمطلوبه والسبب المطلوب في الراحل
وسمت الشيخ يقول هذا البيت لأحمد بن محمود البيري من مدينة البيرة من مدينة
الأندلس المعروفة عند العامة بفرناطة.

إن الهولي سوسها واحد صرفها القليلك الدليل

«الهولي»: الجوهر القابل للصور. و«سوسها»: أصلها. وقوله «صرفها القليلك
الدليل»: إنما عني بصرفها القليل، وإن كان من جملة الصور التي فيها، لأن وجودها

(1) التوب هو الزبد، السابق ذكره، وميله جارة من توبته لتعير شؤون الخلافة وتكاليف الميرمية.

إنما هو من أجل الصور. فما وجدت من أجله فكأنه أوجدناه، وتعرفت من أجله فكأنه صرّفها.

فناطق من ذاته باطن وناطق من وصفه ظاهر

قبولها للصور من ذاتها والعين منها قبلة ظاهر

قوله: «قبولها للصور من ذاتها»: الصير فيه يعود إلى الهيولى⁽¹⁾. والصور ما يظهر من الصور. قوله «والعين منها قبلة ظاهر»: أي هي قبل الصورة لا توجد، وهي متقدمة في العقل، متأخرة في الوجود.

وجوئها ونف على صورها وجود معنى شاءه الظاهر

تصرف الأجسام من حال مع الأفلاك ذا أت وذا سائر

النجوم كالخواطر الإلهية التي تكون فينا من تأثير العالم العلوي.

وشمس في شرق ترتقي ويشرق في غرب ظاهر

يعني ليلة كمال البدر الذي هو مجلى الشمس، فهو ظاهر بالليل في مظهر البدر، وهو ظاهر بالنهار بقلته، لأنها علوم أنوار، وهو للشروق والنهار، وعلوم أسرار يضيئها إلى الليل والغروب.

صرف لي المركز أحكامه فما قبل أو أموج حاله

أي صرف في العالم المنصري أحكامه. فمن اشتغل بالله فهو العاقل، ومن اشتغل بغير الله فهو الأموج الحائر.

والبحر قد فاض على شطه أمنه القمر الزاهر

يريد بالبحر علم التجليات. وقوله «فاض على شطه»: لأنّ فيضه إنما كان من امتلاء البدر من أحد الوجهين. ولهذا يكون المدّ في آخر الشهر أكثر ما يكون في أوله الذي

(1) سبق القول أنّ الهيولى هي مرتبة الهباء مجلى الصور الوجودية. والهباء الطيحي يأتي في المرتبة الرابعة بعد القلم واللوح والطيف، ويعد مرتبة الجسم الكتل ثم الشكل الكتل. وهذه المراتب الأربعة بين اللوح والمرش هي مراتب اجتازية في المثل لا وجود لها بعني مستقل. فلا وجود لمستوى طيفيته إنّا لم توجد حرارة أو برودة أو يوسة أو رطوبة في جسم ذي صورة وشكل. ومنها المراتب الثلاثة الأخرى.

يسمى «القيصر». وأما المد الذي هو دون ذلك فعلى قدر ما ينمو القمر من نور الشمس ينمو البحر، لكونه من عنصره البرودة والرطوبة. فالحرارة للحرارة المكتسبة من الشمس، وهي غفيرة.

والشمس في الأكسوان فمالة يُشني عليها الضمّن الناضر
ومن حكمة الله - تعالى - وستة أنه لو لم تطلع الشمس على النبات لما طلع قط.
إنما الشمس تكسب الحرارة التي يتحرك بها. والشمس هاهنا: مواد الحق إلى قلب العبد.
و«الضمن»: الإنسان، والذي يثمر ويورق هو ما يظهر على العبد من العلوم والمعارف.

والجبروت إن قام به صيلم جاد عليه شُعب الهامس
«الصيلم» هو الصحر الذي يكون معه القحط. أي إن قام به صيلم جاد عليه السحاب
فأذهب، وهي العلوم المتعلقة باليقين. ولهذا ورد في السنة: تلج برد اليقين: (ووجدت برد
أنامه بين يدي)⁽¹⁾، فكش عنه البرد. ومعه يوجد السكون والسرور والطمأنينة.

فلئن يكن زئول لمن ناله قد ارتوى الأول والأخر
يقول: لو لم يكن الزاي قابلاً للزئو لما زئى، أي لو لم يثمر عليه الحق بالثبوت
والاستعداد لما قبل ما يرد عليه، وهو قوله: ﴿وَمَا أَتَيْنَاهُم بِسُحُورٍ لَّيَالٍ وَكَوْكََبٍ﴾
(نساء: 79).

فالتغير في الأوصاف، والكون في الد سادات، فساد عجّل ظاهراً
معنى «الكون والفساد»: فالتغير يقع في الصفة، والكون يقع في العين، فيكون
الإنسان يصفر بالوجل، ثم يحمر بالخجل، والعين واحدة، فهذا يسمى التغير. وكذلك
الفساد مثل التغير: تكون التفاحة متصلة بالأجزاء، فتكسر فيفسد ذلك الترتيب مع
الجوهر الباقى. والكون هو أن تأخذ التفاحة بعينها فتاكلها، فتستحيل حيناً أخرى تسمى

(1) هذا جزء من حديث طويل، وفيه قوله - ﷺ - «إني فئت من الكبر فزفأت ففئت ما فئت لي
ففتئت في ضلالي ففتفتت، فلما لك بزنى كبرك وتنتل في أحسن شوقك فقال: يا محمد فئت:
لك زب، فئت: فم يفتيم لمنك الأكل؟ فئت: لا أفوي رب، فلما فئت فئت: فزفئت وضع فئت
بين فئتني حتى وفئت برّة لكليو بين فئتني، فتفتل لي فئت فئت وفزتني - إعرابه الهرطقي
في مسته (3235) من طريق شافعي بن جكي. وإعرابه مثله أحمد في مسته، والهرطقي في مسته،
والهرطقي في الدعاء، وغيرهم.

دما أو بفشارا تقوم بها حياة الجسوم. فقد استحال من كون إلى كون، وذلك تنير من صفة إلى صفة أخرى. والنفاء في الجنة يستحيل عرقا، وروحا للجسم، وما تغفل منه يخرج عرقا يصير أرواحا يكون بها الروح الحيواني في الجنة محفوظا على الجسم. والحكماء يمتنعون أن تكون الجنة دار كون وفساد، ولهذا منعوا التمتع الحسي. وسبب ذلك عندهم أن الطبايع يتقوى بعضها على بعض فتتعرف. ونحن نقول: إن الله تعالى يحفظها على الاعتدال، فلا يجرور شيء من الطبايع على شيء، فإن خط الاعتدال غير مائل.

وين ليس لإيجاد جسوم بدت فيما يسره البصر القاصر
والعقل من أئس إلى أئس، ومن علم لمحبين حاكم قاصر

«ليس»: كلمة نفي، مدلولها أمر علمي. و«أئس» مدلولها أمر وجودي في الاصطلاح. فريد أن الجسم موجود من عدم، والروح موجود لا من عدم، لأنه قال فيه: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الْمَاءَ نَارًا﴾ (الحجر: 29)، من الروح الكلي⁽¹⁾، إلى وجود الجسم. والعقل هو «الحاكم القادر»: فهو غير المبتدأ.

إن زلزلت أرضي، وإن تجووت شمسي، من الشاظم والشار؟

قوله: «إن زلزلت أرضي»: أي إذا مضى جسي ونعيت روحي، فالنظم: وجود التركيب، والشر: وجود التحليل. أي إن ذهب العلم، ونعيت المادة التي ظهر فيها هذا العلم، فمن بقي يعلم العلم؟

لننظر إلى المحكمة مجهولة خطى عليها شمعنا السائر
وأظهر المحكمة منشورة للمعالم الثابت والدائر

يريد بـ«الشمع» ما قرره الشارع من اجتهاد الفقهاء، لا الشرع المخصوص من التوازل التي حكم فيها.

صلى عليه الله من واحد نور على أرواحنا باهر
ما اتقى البدر وشمس الضي وانتظم الأول والأخر

(1) كانه يعني أن الروح الإنساني موجود من تنف الروح الكلي، فهي في أصل وجودها تامة الخلقة عارة برتبا، لذا الجسم فلا تكتمل بنية إلا بعد أطوار كثيرة بدءا من عناصر مبررة في الكون، إلى جبين في بطن أمه، ثم ولادته لا يعلم شيئا، إلى أن يبلغ سن التكليف.

قال السالك:

فلما أكمل إنشاءه وضرب بعضى إعجازه أحواله غررت بين يديه ساجدا،
واعتكفت في حضرته عابدا، وقلت: أنت البنية والشئى، والسر التمتنى⁽¹⁾.



- (1) هنا سؤال مسائل للسؤال السابق عن سبب وضع الشيخ الكلام عن الروح الكلي قبل الإسراء، أي كيف يجعل الشيخ باب الحقيقة هنا قبل الأوبة للإسراء، والغاية منه في النهاية هو التحقق بالحقيقة؟ والجواب هو أن الحقيقة ليست منحصرة في مقام أو مرتبة خاصة، بل هي عين السالك بداية ووسطا ونهاية، إذ الحق تعالى مع خلقه أينما كثرا، والمطلوب هو التحقق بالحقيقة والقور بالحقيقة القصوى. وفي هذا المعنى يقول الشيخ في بداية الباب -367 المنطق بسورة الإسراء- من الفقرات التي وصف فيه أحد معارجه بعد وصفه للمراجع رسول الله -ﷺ-: "قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾" [الشورى: 11] أوصف نفسه بأمر لا ينبغي أن يكون ذلك الوصف إلا له تعالى، وهو قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الحديد: 4] فهو تعالى معنا أينما كنا في حال نزوله إلى السماء العليا في الثالث الباقي من الليل، في حال كونه استوى على العرش، في حال كونه في السماء، في حال كونه في الأرض وفي السماء، في حال كونه أقرب إلى الإنسان من خيال الأرواح منه. وهذه دعوت لا يمكن أن يوصف بها إلا هو. فما نقل الله عبدا من مكان إلى مكان ليراد بل ليريه من آياته التي غابت عنه. قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الأنعام: 102] ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الأنعام: 102] ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الأنعام: 102] وكذلك إذا نقل الله العبد في أحواله ليريه آياته، فقله في أحواله (...) وكذلك نقل عبده من مكان إلى مكان ليريه ما خص الله به ذلك المكان من الآيات الدالة عليه تعالى من حيث وصف خاص، لا يعلم من الله تعالى إلا بذلك... وحدثت الإسراء بقوله: ما أسريت به إلا لروية الآيات لا إني، فإنه لا يحصى مكان ونسبة الأمكنة إلى نسبة واحد. فإنا الذي وسعني قلب عبدي المؤمن، فكيف أسري به إلى وقتا عنه ومنه أينما كان.

باب العقل والأهبة للإسماء

قال السالك:

لم احجب عني ذاته، وبقيت معي صفاته.

قوله: «احجب ذاته»: أي احجب عني من كوني ذاتاً⁽¹⁾، وبقيت الصفات التي تطلب الإسماء.

فيما أنا قائم⁽²⁾، وسر وجودي متجسد قائم، جامعي رسول الفوتوح، ليهديني سواء الطريق، ومعه براق الإخلاص، عليه كبد الفوز ولجام الخلاص، فكشف سلف محلي، وأخذ في تقضي وحلي.

قوله: «أأخذ في تقضي وحلي»: يريد الإسماءات مطلقاً، وهو عالم التحليل ما دمّت سارياً، لأنك تخلي في كل عالم ما يناسبه، إذ المناسب يمسك مناسبه. فإذا عاد من إسمائه أخذ يجمع ما كان أودع فهو إذا أخذ في التركيب بعد التحليل⁽³⁾، إلى أن يصل إلى الأرض وهو مكمل الترتيب.

(1) هذا القول يدل على التطابق في هذه المشاهد بين السالك ومخلبه النفس الروحاني الذي هو مظهر للروح الكلي.

(2) يعني أنه غائب عن عالم الحس، وروحه مستيقظة في عالم الأرواح والمعنوي والفرج إلى الحق تعالى.

(3) في العديد من نصوصه المتعلقة بالمعراج يتكلم الشيخ عن «التحليل» خلال المعراج، وفي إعادة التركيب خلال الرجوع. فمن ذلك قوله في القصيدة الطويلة التي أتى بها في عطية الفتوحات: «وإذا أردت تصديراً بوجوهه قسّمت ما حسني على الخمرماء أي أنه خلال معرجه يترك في كل مرتبة من ذاته ما يناسب تلك المرتبة، وعبر عن هذا المعنى في الآيات الفاتحة للباب 22 من الفتوحات فقال:

عجبا لأقوال الشفوس السامية إن المنازل في المنازل مساوية =

• كيف الخروج من الحطيط إلى النمل
فصناعة التحليل في معراجها
إلا بقهر الحضرة المتعالية
نحو اللطائف والأسود السابعة
وصناعة التركيب عند وجوعها
بسناء الوجود إلى غلام الهواية

وفي الباب 367 الذي وصف فيه الشيخ أحد معارجه يقول عن تحليل العناصر الأربعة الكثيفة المشكّلة للجسم والمنحصرة فيها فكرة الإنسان المحجوب، أي القرب والماء والهواء والنار: فإننا أراد الله تعالى أن يسري بأرواح من شاء من وروته رسله وأوليائه لأجل أن يريهم من آياته فهو إسراء لزيادة علم وفتح عين فهم، فيختلف مسارعهم لمنهم من أسرى به فيه فهذا الإسراء فيه حل تركيهم فوقهم بهذا الإسراء على ما يتأسيهم من كل عالم بأن يمر بهم على أصناف العالم المركب والبسيط فيترك مع كل عالم من مثله ما يناسبه وصورة تركه معه أن يرسل الله بينه وبين ما ترك منه مع ذلك الصف من العالم حجاباً فلا يشهده ويقل له شهود ما يلي حتى يلقى بالسر الألهي الذي هو الوجه الخاص الذي من الله إليه فإنما يلي وحده ولمع عنه حجاب السر فيلبي معه تعالى كما يلي كل شيء منه مع مناسبة فيلبي العبد في هذا الإسراء هو لا هو فإنما يلي هو لا هو أسرى به من حيث هو لا من حيث لا هو، إسراء معنوا لطيفة فيه لأنه في الأصل على صورة العالم وصورته على صورته تعالى فكذلك على صورته من حيث هو تعالى فإن العالم على صورة الحق والإنسان على صورة العالم فالإنسان على صورة الحق (...). فلما أراد الله أن يسري بي، ليبرني من آياته في أسلاكه من أسامي، وهو حق ميراثاً من الإسراء، أزلني عن مكاني، وعرج بي على براق إسكاني، فزج بي في أركاني، فلم أر أرضي تصبني، فليل لي: اعلمه الولد الأصلي الذي خلقه الله من تراب. فلما فارقت ركن الماء قلقت بعضي، فليل لي: إنك مخلوق من ماء نعيم، فلعنت ذلك فلفص بالتراب، فلما فارقت قلقت مني جزاً. فلما جئت ركن الهواء تهرت على الأهراد، وقال لي الهواء: ما كان ليك مني فلا يزول عني، فإنه لا ينبغي له أن يعفو لفرد، ولا يمد وجهه في غير بساطه، فإن لي عليك مطالبة بما غفرت مني تعفيتك، فإنه لولاه ما كنت مستورا، فإني طيب بالقلت، بحيث يصحبه من جلوتي، فلما عشتي صحبه ومجاورته قبل فيه دعماً مستوراً، فعاد عبه عليه، فإنه هو المستور، وهو الذي غفرتني في مشام أعل الشم من أهل الروائع. قللت له: ولما؟ أتركه هكذا؟ قال: حتى يزول عه هذا الخبث الذي اكتسبه من غفرتك ومجاورة طيبك ومافك، فتركه عنه. فلما وصلت إلى ركن النار قيل: قد جاء القطار، فليل: وقد بشت إليه؟ قال: نعم، قيل: ومن معه؟ قال: جبريل الجبر، فهو مسطر في رحلته ومفارقة بيته، فقال لي: عتد في نشأتك جزء مني لا أتركه معه إذ قد وصل إلى الحضرة التي يظهر فيها ملكي والقناري ونفوذ تصرفي. •

وشق صدري بسكين الشكينة، وقيل لي: «تألمب لارتقاء الرتبة الملكية».

وأخرج قلبي في متدليل الأمن من التبديل، وألقي في طشت الرضا بمولود القضاء،
ورمي به حظ الشيطان، وحمل بهاء: ﴿إِنَّ بَيْكَايَ قَيْسَ لَقَدْ كَتَبْتَ سُطُورَهُ﴾ (الحجر: 42).⁽¹⁾

ثم حُوسِبَ بجِسم التوحيد والإيمان والتفريد⁽²⁾ وجعل له خدم التشديد وأحوال
التأييد. ثم حُجِمَ عليه بخاتم الإصابت، والجرى بغير عصابة.

ثم غيظ صدري بمصصة الأنس، ونصائح التظلم عن دنس النفس⁽³⁾

ثم زلزلني بنوب المحبة، وانصطبت برُاق القرينة، وأسري بي في حرم الأكونان إلى
نفس الجنان، فربطت البراق بحلقه بأبه، ونزلت عن منته وركعت في محرابه.

فوق: «ربط البراق⁽⁴⁾ بحلقه بأبه»: يشير إلى أن الزاكن يحكم على مركبه، ولا

* فقلتُ إلى السماء الأولى وما بقي مني من نشأتي الفينة شيء، أعزّل عليه.

وإلى هذا التحليل أشار ابن الفارض -رحمته الله- في ميسرة المشهورة التي مطلعها:

(شربنا على ذكر الحبيب مفعلة سكرنا بها من قبل أن يُخلق الكرم)
فقال لي وصفها:

صفاء ولا ماء ولطف ولا حواء ونور ولا نار وروح ولا جسم

(1) القائم بهذه الأمور هو رسول التوفيق. وفي هذه الكلمات استعار الشيخ عبارات من المعراج
النبوي، ليشير إلى حلقه من السموات المحسني.

(2) في الباب 73 يعرف الشيخ «التفريد» فيقول عنه: «التفريد هو وفوقك بالحق منك، ومن شرطه
التجريد. والتجريد هو إمالة الشئ والكون عن القلب والسر».

(3) المصصة هي الإبرق والتصاح السلك الذي يُخطأ به.

(4) في الباب 367 تكلم الشيخ عن ربط البراق بحلقه باب المسجد الأقصى فقال: فواعتله
جبريل -عليه السلام-، والبراق للرسول مثل فرس التوبة الذي يخرجه العرسل إليه للرسول ليركبه
تعتما به في الظاهر، وفي الباطن أن لا يصل إليه إلا على ما يكون منه، لا على ما يكون لغيره، ليتبين
بذلك، فهو تشريف وتبعية لمن لا يبدى مواقع الأمور... ونزل عن البراق ووطئه بالحلقه التي تربطه
بها الأنبياء -عليهم السلام- كل ذلك إثبات للأصياب. فلهذا من رسول إلا وقد أسرى فجاء به وأكبها
على ذلك البراق. وإنما ربطه مع علمه بأنه مأثور، ولو أوقفه دون ربط بحلقه لوقف، ولكن حكم *

بحكم الإبرائية تقتضي الحكم وقوله: «نزلت عن مته وركعت في محرابه»: أي تواضعت في عبادتي التي هي محراب عبادتي الحقيقي.

ثم رُجِعَ بي من صفات الصفا في الهواء، فسقط عن متكبي وحاء الهوى.

قوله: «صفات الصفا»: أي من الصفاء. وقوله: «في الهوى»: أي عالم البرزخ⁽¹⁾.

وأوتيت بالخمر واللين، فسررت ميراث تمام اللين⁽²⁾

= المعادة منه من ذلك إلقاء الحكم المعادة التي أوجراها الله في سبقي الدجّة. ألا تراه - ~~كأن~~ - كيف وصف البراق بأنه شمس، وهو من شأن الدواب التي تركب، وأنه قلب بهما، القبح الذي كان يتوفاً به صاحبه في القافلة الآتية إلى مكة، فوصف البراق بأنه يعثر، والعثر هو الذي أوجب قلب الأتية أصني القبح.

(1) مرتبة لطافة الهوى برزخ بين صفاء الماء ونور النار، أي أنّ تخلص النفس من سلطان الهوى ينتج من تصليتها من كلّ شئ، فتكون مهيةً لولوج عالم الأنوار.

(2) اللين: جمع لينة وهي الحجر في الجبل، يشير إلى الحديث النبوي: «مَنْ تَنَكَّى وَمَثَلَ الْأَيَّامِ مِنْ قَبْلِي، فَتَنَلَّ رَجُلٌ بَنِي بَنِي، فَاسْتَنَّتْ وَاجْتَمَعَتْ، إِلَّا مَرْجِعَ لَيْكَةٍ مِنْ زُفَرَةٍ، فَمَثَلَتِ الشَّمْسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَتَجَبَّوْنَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: عَلَا وَجِئَتْ هَذِهِ اللَّيْلَةُ ۚ»، قال: فَمَا فَلَيْكَةٍ، وَأَنَا عَالِمٌ فَتَنَتُهُ -
-رواه الشيخان وغيرهما، واللفظ للبخاري. وفي هذا السياق ذكر الشيخ حظه من هذا الميراث المحمدي فقال في الباب 65 من الفتاوى: «الكان - ~~كأن~~ - عاتم اللين. فكنت بمكة سنة تسع وتسعين وخمس مئة أرى فيما يرى النائم الكعبة مبنية بلين لغة ونحسب لينة لغة ولينة ذهب، وقد كملت بآتياء وما بقي فيها شيء، وأنا أنظر إليها وإلى حسنها، فانطقت إلى الوجه الذي بين الركن الجملي والشامي، هو إلى الركن الشامي أقرب، فوجدت موضع لبنتين: لينة لغة ولينة ذهب ينحس من الحائط في الصلبي، في الصفا الأعلى ينحس لينة ذهب، وفي الصفا الذي يليه ينحس لينة لغة. فزأبت نفسي قد قطعت في موضع تلك اللبتين، فكنت أنا حين تيك اللبتين، وكمل الحائط ولم يبق في الكعبة شيء ينحس، وأنا واقف أنظر وأعلم إلى واقف، وأعلم أنني حين تيك اللبتين لا أشك في ذلك، وأنهما حين تقي. واستيقظت فشكرت الله تعالى، وقلت متأللاً أنني في الإتياع في صفتي كرسول الله - ~~صلى الله عليه وسلم~~ - في الأبياء عليهم السلام - وحسب أن أكون ممن عظم الله الولاية بي، وما ذاك على الله يتخيّر. وذكرت حديث النبي - ~~صلى الله عليه وسلم~~ - في غربه المثل بالحائط وأنه كان تلك اللبنة. فقصصت ولماي على بعض علماء هذا الشأن بمكة من أهل تروزد، فأعجبني في تأويلها بما وقع لي، وما سبقت له الزلي من هو. فإني أسأل أن يفتحها علي بكرمه، لأن الإختصاص =

وتركت الخمر حلواً أن أكتشف السر بالشكر، فيضل من يفتو أئري وعمي. ولو أتيت بالماء بدلها لشرت الماء، فإنه خلاصة ميراث التمكن: ﴿وَمَا تَرْسَدُ لَكِ إِلَّا رَحْمَةٌ﴾ [الشورى: ٢٥]. وأما لو كان المشروب حلالاً، ما اتخذ أحد الشرعة قتيلاً، لشر عفي في التحل، فيه هلاك القلوب بالتشغل.

قوله: «أوتيت بالخمر واللبن» إلى قوله «ولو أوتيت الماء بدلها لشرت الماء»: أي لأن الماء يظهر ما فيه بسرعة لصفاته ولينه، واللبن يحتاج إلى تعب في مضغه لإخراج الزبد. كذلك العلم يحتاج إلى النظر والعمل والإخلاص، ولذلك اختير للنبي -ﷺ- ليقع العمل معه والابتلاء والاختيار الذي هو بمنزلة المفضي للين. قوله «وأما لو كان المشروب حلالاً ما اتخذ أحد الشرعة قتيلاً»: أي فيه سر الوحي، فكان يرحي إلى أنه يسبقونه بالشرعة، كما كان -ﷺ- بسوق جبريل -ﷺ- بالوحي حتى قيل له: ﴿وَلَا تَجْعَلِ الْبَشَرَيْنِ مِنْ قَبْلِي أَنْ يَخْتَصِمَ إِلَيْكَ وَسِيَّةٌ﴾ [م: ١١4].

قال السلك:

ثم اشتركت من الهواء على الوادي المقدس، فقال الرسول: «اعطى نعليك ولا تياس»، فخلعت، ثم ارتجعت فأسمعت:

«الوادي المقدس»: يشير به إلى صفة موسوية. وقوله «اعطى نعليك ولا تياس»: يشير إلى علق صفة الجهل المختصة بالحمار، لأن التعلين كانتا من جلد حمار ميت، فهو صفة جهل وموت.

«الاله لا يضل التصدير ولا المرافقة ولا العمل، وإن ذلك من فضل الله ينفض برحمة من يشاء، والله ذو الفضل العظيم».

(1) يقول الشيخ في الباب 367: «طاف البراق به» أي بالنبي -ﷺ- في الهواء، فاعترف به الجوز، فطلس واحتاج إلى الشرب، فأتاه جبريل -ﷺ- بإناء من إناة لبن وإناة عمر، وذلك قبل تعمير الخمر، فمرهما عليه فتناول اللبن، فقال له جبريل -ﷺ-: «أصبحت فطره أصابك الله بك لطفه»، ولذلك كان -ﷺ- يتناول اللبن إناة في اليوم بالعلم. عرج البخاري في الصحيح أن رسول الله -ﷺ- قال: «أريت كائي أريت بقدح لبن لشره حتى رأيت أئري يخرج من تحت أظفاري، ثم أصليت لفضلي عمر. قالوا: أما أركه يا رسول الله؟ قال: نعم».

(2) أي رسول التوفيق.

خَلَعْتُ نَعْلِي يَوْلَايَ الْغُلَا وَجِئْتُ بِأَلْيَاءٍ لِمِيعَادٍ

قوله: «هالباة»: يعني بالله تعالى. والتحقق عند شيخنا وإمامنا أَنَّ ألباء مقام العبودية، لكون ألباء في المرتبة الثانية، وكذلك رتبة العبودية.

وَجِئْتُ بِالْغُلَا مِنَ الصَّادِ فَلَسْتُ رَيْبًا وَلَا صَادِي

قوله: «بالغلا من الصاد»: أي بالغات من الصفة. وقوله «فلست ريبًا ولا صادي»: أي أَنَّ مشهد الذات لا يعطي شيئاً، وذلك المقام لا يتطش إلى لكونه لا يُنال، ولا نية لك معه، وهو لا يعطيك منه شيئاً.

وَلَسْتُ بِالضَّاحِكِ وَصَلَا وَلَا أَبْكِي عَلَى رَحْلِي وَلَا زَلْجِي

قوله: «لست بالضاحك والباكي» مع بقية البيت: أي لا حفة لي، كما قال أبو يزيد - رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ - «ضحكت زماناً، وبكيت زماناً، وأنا اليوم لا أضحك ولا أبكي»، يشير إلى سلب الصفة. وقيل لأبي يزيد أيضاً: كيف أصبحت؟ قال: لا صباح لي ولا مساء وإنما الصباح والمساء لمن تتبّه بالصفة، ولا حفة لي.

اِمْتَحَنْتُ أَنْفُسِي إِذْ بَدَتْ أَنْفِيَةُ الْوُتَرِ مِنَ السَّرَايِ

يعني: امتحنت حقيقتي لما قال له: ﴿إِنِّي أَنَارُكَ﴾ [طه: 12]. وإذا غوطب حُب من نفسه لِيُظْهِرَ معنى الخطاب.

وَصَرْتُ بِمَدِّ الشَّلَحِ وَتَسْرًا بِهِ وَانْتَمَدَّ السَّائِقُ وَالْهَادِي

يشير بالسائق إلى العقل، وبالهادي إلى الشرع. يشير بذلك إلى النظر الفكري وإلى النظر الشرعي⁽¹⁾، لا إلى ذات العقل.

وَصَارَتِ الْفَرْقَةُ مَجْمُوعَةً وَاجْتَمَعَ الْهَادِي مَعَ الْحَادِي

يقول: لما تقدم الاثنان، وبقيت وحدي جامعي في ذلك العين التي حصلت لي ما أغتاني عن الأمرين معاً، فجمعت نتيجة الأمرين معاً. من باب آخر، وهو مقام لا يسلّمه

(1) يعني باتّباع النظر الشرعي، النظر الفكري في تصوّر الشرع، ويمكن للتفكير أن يعيب ويمكن أن يُخطئ، أي أَنَّ السائق تحقق في هذا المقام بمعرفة مقاصد الشرعة من حيث الكشف العيين لا من حيث الاجتهاد الفكري. ولهذا قال: «لا إلى ذات العقل»، للعقل في هذا المقام قابل لما ينتج له به عليه، فهو ذو بصيرة رتيبة في التصوّر والتكاليف الشرعية.

بعض أهل الطريق، لأنه لا يجب أن يسلك إلا وأثر نيّة أمامه، وذلك لفئة معرفتهم بالشعر، فإنّ الرسول -ﷺ- ما دعا لنفسه، وإنما دعا إلى الله تعالى، وبين للناس الطريق الذي يمشون عليها إليه. فلا يلزم من هذا إلا أن يتقدّم أمامهم كل قدم محدثة من نيّة وملك. وهم يقولون لا بد من قدم في كل مقام، وصدقوا فإنهم ما قالوا إلا ما شاهدوه من نفوسهم، وأخطأوا أنّ ذلك سار في كل سالك. قال الشيخ: أخبرني أبو الوليد صاحب الشيخ أبو السعود -رحمته الله تعالى- عن محمد بن قائم⁽¹⁾ الذي كان بأروانه من قرى بغداد، وكان من الرجال -رحمه الله-، قال: «أدخلني الحق إليه، فرأيت أمامي قفلاً، فبُزّت كيف أكون في حضرة قد تقفني فيها أحد؟ فقل لي: لا ترع، هذه قدم نيك، فسكن روعي». فمثل هذا ينكر هذا المقام للسالك إذا أعطه الله إليه. واعلم أنّ السلوك اتباع، فلا بد فيه من الاكتفاء بالنور الذي جارك على يد النبوة، وتبقى عطية الحق لك، فقد يكون بذلك الوسطة من الوجه الخاص الذي بين كلّ موجود وربه⁽²⁾.

(1) أبو السعود من أكابر علماء الشيخ عبد القادر الجيلاني في بغداد. ومحمد بن قائم الأدي كان من الأفراد الذين انتشروا سلكهم عند الشيخ عبد القادر، توفي سنة 581هـ.

(2) لتحرير هذه المسألة نورد ما ذكره الشيخ في الباب 492 من الفتوحات: «كل علم يحصل للإنسان في الدنيا من العلم بالله خاصة، فإنّ محمداً -ﷺ- قد علمه، فإنه عِلْم الأولين والأخريين، وقت من الآخرين بلا شك. وأما في غير العلم بالله فقد يُعطاه الإنسان من الوجه الخاص، فلا يُعلم إلا منه، فهو رسول في تعليمه إلى من يعلمه بذلك. هذا أعطاه مقام محمد -ﷺ- وليس القاطنة إلا في العلم بالله تعالى، فإنه العلم الذي به تحسن صورة العالم في نفسه. فالعلم بالله من الرسول في التعليم أعظم وأرفع من العلم الذي يحصل لك من الوجه الخاص، إذا كان المعلوم كونه تاماً من الأگووان ليس الله. لذا الشرف للإنسان إلا في علمه بالله وأما علمه بسوى الله تعالى لعلامة يتصل بها الإنسان المحجوب. فإنّ المصنف ما له حنة إلا العلم به تعالى. فاجهد أن تكون ممن يأخذ العلم بالله عن رسول الله -ﷺ- فتكون مصمديّ الشهود... ولا تقل قد حُبِرْت وأمامك فاني ما حُبِرْت عليك أن لا تعلم، وإنما حُبِرْت عليك أنك لا تعلم مثل هذا من الحق إلا في صورة محدثة. وقد بينا أنّ أعظم الرؤية رؤية محدثة في صورة محدثة (المتن). ولاك الشيخ على هذا المعنى الشريف في الباب 355 فيقول: «تظهر الحق في مرآة محمد -ﷺ- أكمل ظهور وأجله وأحسنه، إما هي مرآة عليه، فإنّ أدركته في مرآة محمد -ﷺ- فقد أدركت منه كمالاً لم تدركه من حيث تنظر في مرآتك... فلا تطلب مشاهدة الحق إلا في مرآة نيك -ﷺ-، وأعلم أن تتقدم في مرآتك، لو تشهدتني وما تجلى في مرآته من الحق في مرآتك، فإنه يتزل بك ذلك من»

وَأُكِّنْتُ سَوَاسِي فِي ثِيَابِ اللَّيْلِ وَصَارَتِ الْأَحْيَانُ أَحْيَادِي

يشير بالثياب الليلي إلى المعارف، أي صرت عبداً عندهم، عرفوا عبوديتي، وأخذوا يقتدوا بي، لأنهم لا يُمتنع عندهم إلا بالعبودية، ولا يهتمون من الشرك قليلاً ولا كثيراً. وقوله «صارَتِ الْأَحْيَانُ أَحْيَادِي»: يريد بالأحيان الأقباس، صارت كلها سروراً ونوراً، لأنَّ الله - تعالى - نَفَسَ بها ما كان عندي من غَمِّ الدُّعَاوِي.

وَكُنْتُ بِالْمَلَمِ لَهُمْ مَفْصَحاً أَخْطَبُ الْحَاضِرَ وَالْبَادِي

يريد بالحاضر أهل الحضارة، وهم عموم أهل المقام، ويريد بالبادي الغريباء في ذلك المقام. وفي كل حضرة قوم يسمونهم، وقوم يتركون عليهم.



* - الدرجة العالية. فالزم الاعتناء والاتباع، ولا تفلأ مكاناً لا ترى فيه قدم نبيك، فضع قدمك على قدمه إن أردت أن تكون من أهل الدرجات العلى والشهود الكامل في المكافة الخلقى. وقد ألفت لك في التصحفة كما أشرت. والله يتقوى من يشاء إلى جوارح شريكه.

باب النفس المطمئنة وهو البحر المسجور

قال السالك:

ثم ارتقت مع الرسول⁽¹⁾ على أوضح سبيل، فأشرقت على البحر المسجور، فغير
كل صير.

«البحر المسجور» هو المعنى الذي يصير تاراً فتريد كرة الأثير، وهو في حق النفس
في حال الاضطلام، ويُنمّت بالبحر المسجور. قوله «فغير كل صير»: أي كل ما كان
يمر عليّ إزائه أعانتني عليه تار الاضطلام⁽²⁾، فأشرقت وأراحتني منه.

ورأيت في لجة ذلك البحر المحيطة سقية العالم البسيط، فنظرت في تحصيلها، فقبل
لي: «حتى تنظف على جملة ما وتضميها»: هذه سقية المارفين، وعليها معراج الوارثين⁽³⁾
فرايت سقية ذاتها روحانية، ومُعدّها سماوية، أرجلها القدمان، سكاكتها سكون الجنان،
قربانها الطوائف، صواريخها المواقف، يثقلها البئين، مراسيها القنرة، والتمكين، شرعها
الشرعة، صابورها الطبيعة، حبالها الأسباب، طولومها مخازن اللباب، والسوا السفل،
مقدمها العقل، يخترقها الأنفال، إنكليتها السلامة من النكال، يجارها الموارد، وسفلها

(1) أي رسول الترفيز.

(2) لمرقة الاضطلام وأسروره، ينظر في الفقرات الباب 232 ويبدأ بقوله: «الاضطلام في اضطلاح
من القوم: وله يرد على القلب، سلطانه قوي، فيمكن من قام به تحته».

(3) السقية هنا رمز لآفات السالك المتحقق بمستلزمات السالك التي يحصل بها المعراج والوصول
إلى المقصود، وجريتها يحصل في بحر النفس المطمئنة التي سمعت نداء ربها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ
الَّتِي كُنْتَ بِهَا كَاذِبَةً كَانُتِ﴾ ﴿فَتَقَبَّلْ وَبَإْسَاءِ﴾ ﴿وَقَبَّلْ بِحَسَنَاتٍ﴾ ﴿الْقَوْمِ: 30/27﴾.
فالباب المقترح حل هذا الرجوع المعراجي هو النفس المطمئنة. ولهذا جعل الشيخ بها آخر
لبواب مقدمات المعراج، وفاتحة الولوج إلى السموات.

الأسرار والقنوات، مقعّمها المتأينة في الأزول، مؤثّرُها تقديس الهمة في الأبد عن طوارق الملل، بحرُها الأذكّار، وريحها الأذكّار، تؤجّجها الأحوال دعاؤها الأعمال. السفينة بظهور الألف من «نوسر الخويبرتها» (عدد: 41) وإلى «قرآن السيرة» (العلم: 1) منهاها، فهي تجري في بحر المجاهدة، إلى أن ألتها أرواح العتاة بساحل المشاهدة. فلما عدت بحر الاختلاء، وسلمت من كجج كجج الأفيار، مدّ الرّأس وقيّته، ورفّع بمنظوم عجيب عقيرته.

قوله: «ولبت في البحر سفينة العالم البسيط»⁽¹⁾ ثم شرح الأوصاف التي تنشأ منها سفينة يركب فيها في بحر الطلب، فتكون سبب النجاة. فهي سفينة برزخية، كظهور العلم في صورة اللّين. إلى قوله: «ورفّع بمنظوم عجيب عقيرته»، والعقيرة: الصوت.

لَسَابِدا السَّرَّاسِي لَوَاتِي قَلْبِي وَجُودِي وَغَابِ نَجْمِي

قوله: «فلما بدا السر في لواتي»: أي لما بدت العين غاب العلم، لأنها لا اجتماع، لأنه إذا كان عندك المشهود فثبت فيه، فإذا غاب عنك بقي العلم. وقوله «غاب نجمي»: يريد العلم، وإنما سماه «سرا» لكونه كان مستورا وقت العلم⁽²⁾.

وَجِمال قَلْبِي بِسَرِّ رَاسِي وَغِبت عن رَسم حَس جَسمِي

قوله: «جمال قلبي»: أي تصرّف فيما أعطته تلك العين. وقوله «وغبت عن رسم جس جسيمي»: أي كان التصرّف معنوي لا جسماني.

وَجِشت منه به إِلِيه قَلْبِي مَرَكِب من سنِّي حَزْمِي

نَشَرْتُ لِيه قِلَاع لِكُري قَلْبِي لِحْجَة من عَظَمِي عِلْمِي

(1) استعمل الشيخ في هذه الفقرة ما تشكّل منه السفينة كرموز لأحوال السالك: فسكنها هو ضلها، فسكن به لكي لا تضلّ في حركتها. وسكون قبتان هو سكون القلب. وقيل: خلاؤها أي القوة الممنعة لحركتها. وصورتها: جمع حارية وهو عمود ينصب في وسطها ويكون عليه الشراع. وصورتها ما يوضع في باطنها لتقل ولا تميل. والطارمة بيت أو صندوق من خشب كائنه توضع فيه المدة والمجال وركبتها: ركبها. ومقعدتها: نائب الرّأس المقدم على جميع من فيها. والتكليفها حرفي ماء يكون في وسطها. ووسطها جعلها. وتيج البحر منظم.

(2) يعني أنّ السالك لتقل حنا من مقام علم اليقين إلى مقام من اليقين.

عَبَسْتُ عَلَيْهِ رِيَّاحَ شَوْقِي فَحَزَّ لِي الْبَحْرُ حَزْرَ مَهْمِي
فَجَزَتْ بِحَرِّ السَّنَوَاتِ حَتَّى أَبْصَرْتُ جَهْرًا مَنْ لَا أَسْمِي

قوله: «جَزَتْ بِحَرِّ السَّنَوَاتِ»: أي بحر القرب، وإذا جازء اتقى القرب، لأن القرب تحديد. فكانه يقول: جَزَتْ الحَدَّ فَرَأَيْتُ مَنْ لَا حَدَّ لَهُ، فيطل القرب. ودرأيت مني: أي رأيت بعينه، فما رأى الواحد إلا الواحد، وهو معنى جهراً عياناً. وقوله «مَنْ لَا أَسْمِي»: أي كونه لا يُعْرَف.

وَقُلْتُ: يَا مَنْ رَأَى قَلْبِي أَخْشَرْتُ لِي فِي حَبْكُم بَنِي
 أي: وقتي إلى إحساني، لأنه لا يعلم لذة المحبة مع الفناء، إلى أن يعود إلى حبه ليهون معها كل صعب، لأنه لا بد من الرجوع. فسأل أن يكون وجوهه بالمحبة ليحمل انتقال البلاء.

فَأُتِ شَيْخِي وَوَهْرَجَاتِي⁽¹⁾ وَعَابَتِي لِي السَّهْوَى وَغَمَّتِي

قَالَ السَّالِكُ:

ثُمَّ خَرَجَ بِي حِينَ فَارَقْتُ الْمَاءَ، إِلَى أَوَّلِ سَمَاءٍ⁽²⁾.

(1) المهرجان كلمة فارسية تعني الاحتفال العظيم.

(2) أي خرج به رسول التوفيق، والترتيب الطبيعي من الأكتف إلى الألفظ للعناصر الأربعة في مقدمات المراج هو الترتيب أولاً، أي تخلص السالك من الخلوة إلى أرض الخلقة والجهل، وفوق الماء حيث تصفو نفس السالك من كل أكتاف النفس، وفوق الهواء حيث تنشق النفس من سلطان الهوى، ثم النار أو الأثير الذي حَزَّ الشيخ عنه في هذا الباب بالبحر المسجور حيث -كما سبيل ذكره- يحصل الاصطلام ليهبش كل صبر وتصبح النفس مطمئنة يذكر الله تعالى وحده، فكأن ما كان يمسر عليها إزفاته تنبئها عليه نوار الاصطلاب فتحركه وترجمها منه. وهنا يظهر إشكال: وهو قول الشيخ: «ثُمَّ خَرَجَ بِي حِينَ فَارَقْتُ الْمَاءَ إِلَى أَوَّلِ سَمَاءٍ، وَلَمْ يَل:» حين فارقت النار أو الأثير، فكيف جبل الماء فوق الهواء والنار وهو دونهما في الترتيب؟ الجواب هو أنه قد وصف بحر هذه المرتبة بالمسجور، أي المتكد الشديد الحرق، فهو كالغمام في غلياقه بفعل حرارة النار. وإذا استعمل الشيخ هنا كلمة «الغمام» بدلاً من «النار أو الأثير»، لأن ترتيب العناصر الأربعة يختلف من ترتيبها الطبيعي بين سالك وآخر. فلذا كان الغالب على مزاج السالك طبع الماء المزطرب بالهوى فهو الذي تكون له الهيمنة حتى في مراتب العناصر الثلاثة الأخرى. وبالحال فهي مرتبة الأثير يتعامل ماء مزاجه المهيمن مع حرارة مرتبة النار، فيكون البحر مسجوراً. ورواية الماء في المزاج المنزوع =



• السلام هي أن صاحبه يكون دائما متوجها إلى طلب المزيد من العلم بالله تعالى، لأن الماء مائة الحبة الطبيعية، والعلم هو عين الحبة الروحية، كما هو حال الشيخ الأكبر وأمثاله. والله أعلم.

سماء الوزارة وهي الأولى حيث سر روحانية آدم - عَيْكَاتَكَمْ

بسم الله الرحمن الرحيم

قال السالك:

استفتح بي سماء الأجسام، فرأيت سر روحانية آدم - عَيْكَاتَكَمْ -، وعلى يمينه أسودة القدم، وعلى يساره أسودة العدم.

قوله: «سماء الأجسام» إذ فيها روحانية آدم - عَيْكَاتَكَمْ -، وقوله «على يمينه أسودة القدم»: أي الخواطر المحمودة، فعلى يساره أسودة العدم: الخواطر المضمومة. و آدم عبارة عن المجموع الذي هو الإنسان الذي أسري به. واختصت سماء الدنيا بآدم - عَيْكَاتَكَمْ - لأن النفس الكلية توجهت عليه عند إيجاد الله الذي كان لسماء الدنيا منها. وكذلك كل من توجهت عليه النفس بهذا التوجه كان في هذا المقام. وروحانية القمر من ذلك من التوجه بنفسه، ووجود فلكه، كذلك فله من الأيام يوم الاثنين، ومن الليالي ليلة الخميس، ومن الكواكب القمر، ومن البروج كل برج مائي. واعلم أن كل سالك وساري، وإنما يخاطبه من جزؤه من آدم الذي هو نسخته منه، وكذلك في كل تلك ومرتبة وروح روحاني، إنما يخاطبك من جزؤك منه ونسختك، فتكون مرتبة يظهر لك فيها ما فيك، والمرأة ما تطهرك إلا منك. فبين عينك أدركت عينك. فيصف لك جزؤك ما فيك، فترى نفسك، وتسمع كلامك من نفسك، فتحقق ترشد. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل⁽¹⁾.

(1) سئل الشيخ هذه السماء الأولى، سماء الوزارة لأن مظهرها المحسوس هو تلك القمر المعبر كوزن الشمس التي لها السماء الزلزمة القلبية ولهذا سماها الشيخ سماء الإمارة. وسئل السماء الأولى سماء الأجسام لأن نطقها الأب الأول آدم - عَيْكَاتَكَمْ - هو أصل الأجسام البشرية. وكلمة «أسودة»: جمع سود وهو الشخص يُرى من بعيد أسود، و«أسودة القدم» عبارة عن أرواح السعد أهل اليمن الذين لهم قدم صفا، عند رتبهم و«أسودة العدم» عبارة عن أنفس الأشقياء أهل الشمال. وللمرتبة لما كان لروحانية القمر نهار الاثنين وليلة الخميس يُحظر تفصيله =

فما لبثني حبيبا، وسألته عن شأنه فقال مجيباً⁽¹⁾

خرجت من بلاد المغرب، أريد مدينة يثرب.

يريد بالمغرب موضع سرّه، ويريد يثرب المقام المحمدي.

فسرت أربعين ليلة، سير من جرّ في الشجرين قبله.

قوله: «أربعين ليلة»: يريد «من أنخلص له أربعين صباحاً»⁽²⁾.

فلما وصلتها، وانقضت الأسباب التي أمثلتها، قلت لبعض رفاقي، وأعصص أصدقاؤني:

هل لي بلكم شطرق⁽³⁾ يحمّد إليه.

يريد بالبدل: القفلان، والشطرق: العالم آدم، أو روحانية القمر، أو إسماعيل ملك

السماء الدنيا، لأنه لا بد لكل سماء من ثلاثة: روح النبي، وملك السماء، والكوكب⁽⁴⁾.

في كتابها الفشرح الشام لكتاب إتمام الشان لابن العربي، وذلك أنّ لكل ساعة روحانية من روحانيات الكواكب السبعة السيوف، حسب ترتيبها، كلّ ليلة وكلّ نهار يتشكّلان من اثني عشرة ساعة. والبدلية من الساعة الأولى الليلة الأحد عليها روحانية كوكب الكاتب الذي هو صفار، تلوحها روحانية القمر ثم زحل في تلك السماء السابعة، ثم المشتري ثم المريخ ثم الشمس ثم الزهرة، ويعود الحكم للكاتب في الساعة الثامنة. ويستمرّ هذا التابع طيلة ساعات الأسبوع. ويكون الحاكم على الليلة أو النهار روحانية الساعة الأولى منهما، وروحانيات الساعات الإحدى عشرة الأخرى ترتبها على التوالي. والبروج التي لها طبع الماء أقرب البلاد كطبع القمر هي السرطان والمغرب والجنوت.

(1) المناطق هو لسان التوفيق المطابق مع لسان السالك.

(2) - يعني الخبر النبوي: «ما أنخلص عبد أربعين صباحاً إلا ظهرت بتابع الحكمة من قلبه على لسانه» - سواه ابن أبي شيبة، ورواه آخرون بألفاظ متقاربة: «وإن لم ينم في الحلة، والإمام أحمد في الزهد والمروزي وابن حبان». والمصدر أربعون يرمز عمومها إلى تمام كلّ نشأة أو طور. وبعض الصورية الخلوة الأرمينية بنماذجها، وللتوسع في معرفتها وكيفية الدخول فيها ونفوسها ننظر في كتاب «معارف المعارف» للسهروردي الأبواب 26 / 27 / 28 قال تعالى: ﴿ وَزَكَتَ نُورٌ لَّيْلِيَّةٌ لَّيْلًا يَكْتُمُهَا غَشْرٌ كَتَمَ مِثْلُكَ زَيْدٌ فَزَيْدٌ فَزَيْدٌ لَّيْلًا ۝ الْأَحْرَافُ: 142 ﴾ وفي الخبر: «مشرق طينة آدم يده أربعين صباحاً».

(3) الشطرق: العالم بنفحات المسائل.

(4) في كتاب «حقله المسترزة» أعطى الشيخ أسماء ملائكة المراتب الكونية ومقدماتهم فقال:

- ملائكة العرش، هم الوعايت، ومقدمهم: إسرائيل عليه السلام.

أو مفرس يُقصد بين يديه؟ فقال: هنا مفرس شديد البحث والتأمل، صحيح النقل والخبر، يُكتفى: «أباً البشر»⁽¹⁾، يفرس بمسجد القمر، في أمره حجاب، ليس بينك وبينه حجاب.

فتنهت كُنُط من فقال⁽²⁾، أو شارد غيفة أهواء وأتقال، ودخلت عليه في درسه، لاسترلت ووحانية نفسه.

قوله: «دخلت عليه في درسه»: أي المحل الذي يُعلم فيه أرباب الهمم السارية إليه. وقوله «فاسترلت ووحانية نفسه»: أي غاطبني منه معناه، وإنْ ظهرت صورة متجسدة أريد كشف معناها.

فرايت شخصاً وشي بهجة، فصيح للهجة، فقام إليّ تعظيماً، وأتراني تكريماً. فلما أكرم نزلني، قال لأصحابه: هلما من أهلي. أي قال للروحانيين الذين هم أهل ذلك الفلك.

- ثم ملائكة الكرسي، هم المعنويات، ومقدمهم: ميكائيل عليه السلام.
- ثم ملائكة تلك البروج الأطلس، هم المقسمات، ومقدمهم: جبرائيل عليه السلام.
- ثم ملائكة تلك المنازل المكوكة، هم النقيات، ومقدمهم: روفان عليه السلام.
- ثم ملائكة سماء زحل السابعة وهم النازحات، ومقدمهم: هزرائيل عليه السلام.
- وملائكة سماء المشتري السابعة وهم الملقحات، ومقدمهم: المقرب.
- وملائكة سماء المريخ الخامسة، وهم الفارقات، ومقدمهم: الخاشع.
- وملائكة سماء الشمس القطبية القلبية الرابعة، وهم الصافات، ومقدمهم: الزابع.
- وملائكة سماء الزهرة الثالثة، وهم القفاقات، ومقدمهم: الجليل.
- وملائكة سماء الكواكب الثمانية، وهم الناشطات، ومقدمهم: الروح.
- ثم ملائكة سماء القمر الأولى، وهم الساجعات، ومقدمهم: المحي (وإسماعيل).
- ثم ملائكة كوكب النار وعالم الخوف بين سماء القمر وكوكب النار، وهم الساجعات.
- ثم تحته ملائكة عالم الشرق وكوكب الهراء، وهم الزاجرات، ومقدمهم: الزعد.
- ثم تحته ملائكة عالم الحياة وكوكب الماء، وهم الساربات، ومقدمهم: الزاجر.
- ثم تحته ملائكة عالم الذكر وكوكب القمر، وهم الناضرات، ومقدمهم...
- (1) أي آدم - عليه السلام -.

(2) كمنط من فقال: أي كمنط من رباط.

فرموا إليّ أبصارهم، واتخلوني من جملة إغوائهم وأنصارهم، فأدركني لللك عجل، أبود القلب عظيم فزق ووجل.

ثم قال لي: من أين؟ قلت له: من مجمع البحرين، ومعنى القبحين⁽¹⁾.
قوله: «من مجمع البحرين»: أي من نشأتني عالم الخيال والبحرين: المعنى والحس، وكذلك القمر مجمع البحرين: الرطوبة والبرودة.
قال لي: فأنت مني؟ قلت له: إنيك أعني.
وقوله «أنت مني»: أي أنا كذلك وجدت. وقوله «إنيك أعني»: وكذلك قصصتك لكوني منك وأنت مِنِّي⁽²⁾.

قال: لِمَ أُنَاكَ تَعْلَمَانَا؟ قلت: له بنفس ما اتحدنا.
أي: تَعْلَمَانَا بِحَقٍّ، وَاتَّفَقْنَا بِحَقٍّ، وَجَمَعْنَا الْحَقَّ وَالْحَقِيقَةَ، فَتَحَنُّ وَاحِدٌ مِنْ حَيْثُ الْحَقِيقَةِ وَالْحَقُّ ائْتَانٌ مِنْ حَيْثُ الشَّخْصَةِ⁽³⁾.
قلت له: يا سيدي عسى نالقد، أو حكمة زائدة، أعرس بصفاتها⁽⁴⁾، وأنخلق بمعانيها.
قال: عذ إليك، شرح الله صدرك ونور بجاتك، ووكر إيمانك وإحسانك: جليبي الحق مني، وأنتاني عني، ثم وجيني الكُلَّ، ليحسني الكُلَّ⁽⁵⁾.

قوله: «جليبي الحق مني»: أي أغضني عن نفسي. وقوله «ووجيني الكُلَّ»: أي لكوني على صورة العالم. وقوله «ليحسني الكُلَّ»: أي ليحسني تغييره وما فيه من المشقة.

- (1) وثما يعني بمعنى القبحين: كثرة الجسم ولطافة الروح.
- (2) قول الشاعر للوفد الأول: «وأنت مني» يعني أن روحانية آدم - عليه السلام - ما ظهرت لهذا العالم إلا لأن العالم توجه إليه بكليته، فكان توجهه أصبح سبباً للعالم ومخاطبة.
- (3) يقول ابن الفارض - رحمه الله - في مثل هذا المعنى في حمرته الميمية المشهورة:
«وقد وقع التفرقة والكُلَّ واحد فلو لمعنا حمر ولتباحتنا كرم»
- (4) أي أنزل بمنزلة أي أنهم دلائلها.
- (5) الكُلَّ - ينتج الكتاب - هو الصغيف.

فلما أودعني حُكمه⁽¹⁾.

قوله: «أودعني حُكمه وودعني إني» وجعل ما كان على ظهري بين يدي: أي جعلني متحكماً فيه، فاسترح في قبالة ذلك الثقل والتعب. فهذا مثل قوله تعالى: ﴿كُلُّهُمْ رُفُوٌّ نَاقِلٌ﴾ [الرحمن: 29] فكذلك العبد ههنا. وقوله «اتخلني سجير»: أي صاحباً.

واصطقتني سجير، وصير لي حرشه سروراً.

قوله: «سجير»: أي مُخَلِّدًا بلب، فمعناه حديث في غيب، وهو قرب اصطفتني، لأنه سبحانه ما بأسر إلا الضواص عنده. و«حرشه»: أي مُلكه⁽²⁾.

والملك خادمًا والتَّيَكُّ وزيراً. فألقتُ على ذلك برعة في الآن، لا أحرف لنفي مثلاً في الأحيان. ثم قسني شطرين.

قوله: «ألقت برعة في الآن»: أي في الوقت، فلا يحكم علي الماضي ولا المستقبل. قوله «لا أحرف لنفي مثلاً في الأحيان»: أي أنَّ العالم أجزاء، ولنا أمرٌ جامع. «وقسني شطرين»⁽³⁾: أي صورة حبة ومعنوية.

وصير الأمر أمرين. ثم أحياني، وأراني ما حبيبي عه وأهائي.

وقوله «أحياني»: بامتزاج الحس والمعنى.

فلقت: هذا أنا وليس غيري. فمنَّ النصف إلى النصف⁽⁴⁾، وصحَّ الفرق بين الذات

(1) أي أودع الله تعالى خلقة آدم في الأرض وعلمه أسماء كلها لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ كُنَّا نُنَادِيهِمْ أَفَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتٌ أَنْ يَسْمَعُوا أَوْ يَنْصِتُوا أَمْ عَلَيْنَا بُلُوبٌ﴾ [البقرة: 30] ولوقعتني على كل سرٍّ وجيئة، ودعني إني، وجعل ما كان على مني بين يدي، واتخلني سجيراً.

(2) أي مُلك خلافة آدم - تَكِيكًا - في الأرض، وسُفر له كُفُّ المواقف.

(3) المعنى الظاهر للشرطين هو خلق الله تعالى جزءاً من ضلع آدم - تَكِيكًا تَكِيكًا -.

(4) في الباب السابع من الفتوحات تكلم الشيخ عن سبب هذا الحين فقال ما خلاصته: (ولما ظهر جسم آدم ولم تكن فيه شهوة تكاح، وكان قد سبق في علم الحق إيجاد التوالد والتناسل، والتكاح في حله الفار إنما هو إيجاد النرج، فاستخرج من ضلع آدم من القصوى، وكانت من الضلع للاتحاد الذي في الضلع لتكوين يملك على ولدها وزوجها. فحز الرجل على المرأة حزنه على نفسه لأنها جزء منه، وحزن المرأة على الرجل لكونها خلقت من الضلع، والضلع له اتحاد =

والوصف. قللت: إلهي هذا النبي لأي؟ قال: إننا وُثِّمَ بالقلم في الفرج، وأبيض على مكوكك من نور يروح، ووقع الامتزاج، ولاحت لعينك الأشباح، علمت لأي، أوجدت لك هذا النبي⁽¹⁾.

فلما كتبت بالقلم، في لوح القدم، لاح سر القدم في وجه العلم. فلما الآن أندرس ما علمته، وأبث لهؤلاء ما علمته.

قوله: «هذا النبي لأي؟» مع جوابه: أي إذا تكلمت روحك جسمك حيث تعرف لأي. وقوله «فلما كتبت بالقلم» إلى قوله «وأبث ما علمته»: أي لما نظرت في اختلاف صفوف النظر من العقل والشرع والطبع وغيره، ظهرت الحكمة عند التناكح الذي بين الحس والمعنى⁽²⁾.

ثم أنشد:

بما قسم الأسرار بما لم يسي جلاله من أعظم المناس

• والتمطاف. وعثر الله الموضع من آدم الذي خرجت منه حواء بالشهوة إليها، إذ لا يلي في الوجود خلوة، فلما عثره بالهواء حن إليها حتى إلى نفسه لأنها جزء منه، وحسنت إليه لكونه موطنها الذي نشأت فيه. فحبب حواء حب الوطن، وحب آدم حب نفسه. ولذلك يظهر حب الرجل للمرأة إذ كانت عينه وأصابت المرأة القوة المحيرة عنها بالحباء في سعة الرجل، فلويت على الإغواء لأن الوطن لا يبعد بها اتحاد آدم بها. فلما نحتها في الفلج ولقاه ضرورتها وسرّامها وعلمها لنفخ فيها من روحه، فقامت حبة ناطقة أتت ليجمعها محلا للزراعة والحرث لوجود الإثبات الذي هو الاتصال، فسكن إليها وسكنت إليه، وكانت لباسا له وكان لباسا لها.

(1) المعنى الظاهر لهذا الكلام هو أنّ النصف الثاني والثاني عبارة عن حواء. وروى القلم في الفرج هو التناكح الذي تم بينهما. ومكوكه في لوح حواء هو الجنين المتولد منهما ونور يروح هو نور الشمس، يعني تنفخ الروح في الجنين في شهره الرابع عندما يكون تحت حكم روحانية الشمس في تلك السماء الزاوية. والأشباح هي الأغلاط. وذلك لكي يحصل التوالد وتستمرّ الخلافة في أبناء آدم - تكميلاً - إلى اقتضاء الدنيا.

(2) المعنى الظاهر للكناية في الفرج وظهور سر القدم في وجه العلم، هو أنّ الحق تعالى بتّ من آدم وحواء - تكميلاً - للزوجة، فمنهم من كانت لهم قدم صدق وسعادة ومين، في مقابلة من كانوا من أهل الشقاوة والمعدية والشمال. والله اعلم.

يريد نسخة من القمر. قوله «غلاظة»: أي صفة من صفاتها. وشبهها بالخضرة لأنَّ الخضرة أصنى للعين وأجمع لأشعة البصر.

أصبحت معشوق تُسرى يلبس سؤلاً لهيب النار لم ييبس
أي أصبحت معشوقاً للنفس الحيوانية. وإنما ليس لهيب النار من الوجد والاصطلام، ولهذا ما تنفخر إلا باللهيب النار⁽¹⁾.

حبست فيه زمناً عاجلاً للك تدعى صاحب المحبس⁽²⁾
أراد بالمحبس ارتباط الروح بالجسم المتصري أيام الدنيا.

وأست فيه بمعلوم يبدت فيك سؤلاً فك لم تُسْرائ
أي بالعلم وأست، كما رأى آدم - عَلَيْهِ السَّلَام - بالعلم.

فأنت تسري في ثمان وفي عشرين غنماً على الكنس
أي القمر يسري في ثمان وعشرين منزلة، كذلك الكلام يسري في ثمان وعشرين حرفاً. فكما يبرز عن ذلك السريان في الوجود تكوينات، كذلك يصدر عن سريان هذا الكلام نتائج وقوائد يتضح بها⁽³⁾.

على جواد صليح صيغ من نحلس قاضي، صنعة الفطلس
قوله: «جواد صليح»: يعني الجسم الطبيعي في حق الإنسان، كما هو الفلك في القمر، وهو قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُسَبِّحُ لَهُ﴾ [الأنبياء: 33]. وقوله «صيغ من

(1) في هذا البيت إشارة إلى المتاعر الأربعة المشكّلة للجسم، حيث ستر الشيخ هذه السماء: أسماء الجرم، أي الطين الترابي المائي ثم الهواء وحرارة النار كما سبق ذكره.

(2) صاحب المحبس مثلب للحديث النبوي: «فلنأخذ سجن المؤمن وجنة الكافر» - «رواه الإمام مسلم في صحيحه، وغيره».

(3) غنماً على الكنس: الكواكب السيارة السبعة، قال تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُسَبِّحُ لَهُ﴾ [التكوير: 15]. حول التناسب بين منازل القمر ومراتب الحروف يخطر الفصول 27 من الباب 198، وهو الفصل المتعلق بالسماء الأولى، وقد سبق الكلام من التناسب بين منازل القمر ومقامات السور. ويخصص الشيخ للسماوات الأخرى ستة نزولاً من السابعة إلى السابعة على التوالي من الفصل 25 إلى الفصل 26 من نفس الباب 198.

نحاس⁽¹⁾: أي من دخان، والسموات من دخان⁽²⁾ والقاضي: النار. وصنعة المفلس هي الكيمياء، والمشتغل بها المفلس.

قال السالك:

ففرحتُ بما أودعني، وسررتُ بما منحني. ثم قال: لرتق واستبق، يبلو لك في السماء الثانية، ما أعفى لك من قرّة أعين في هذه الآية.



(1) قال تعالى: ﴿لَمَّا سَأَلْنَا آلَ نَاحِثٍ عَنْ نَفْسِهِمْ قَالُوا لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ سِرَّهُمْ لَنُخْبِرَنَّكُمْ بِهِمْ وَأَنَّا لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (ص: 11).

سماء الكتاب وهي الثانية

حيث سر روحانية المسيح عَزَّيَّاتَكَم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال السالك:

فاسطخ الرسول الوضاح⁽¹⁾، سماء الأرواح، فنضج في الصورة الروح، بمشاهدة المسيح.

قوله: «سماء الأرواح»: لكون روحانية عيسى - عَزَّيَّاتَكَم - تمرُّها، وهو روح الله. قوله «الوضاح»: لأنه نهار واضح لا ليل فيه، إذ الليل هو الشهوة الطبيعية. وقوله «فنضج في الصورة الروح بمشاهدة المسيح»: لأنه قد تقدّم تسوية آدم - عَزَّيَّاتَكَم - في الأولى، فلها قال «فنضج فيه الروح»، إذ هو يحي الموتى. والمناسبة بين عيسى - عَزَّيَّاتَكَم - وبين عطارده⁽²⁾ بحيث جمعهما هذا الفلك من وجود: منها أنَّ عيسى - عَزَّيَّاتَكَم - ارتبط بالجسم وقد كملت فيه كل الطبايع، وكذلك حكم عطارده فيه حكم كل طبيعة. وكون عطارده لا يخلب بعض طبائعه على بعض، كذلك عيسى - عَزَّيَّاتَكَم - لم يوجد عن غلبة شهوة طبيعية فتكون قد غلبت بعض طبائعه على بعض.

فلما اتصلت حياتي بوجوده، وتنشئت فاني بشهوته، وحمّ النور جهاته وزواياه، وغمرت حياته وسجاياه، طوى بساط الظلام، في يوت الأجسام.

قوله: «بساط الظلام من الأجسام»: أي لو بقي الجسم وما فيه من ظلمة الطبيعة لم يدرك ما أدركه من المعلوم والأنوار، للقوى التي أوجدها الله تعالى بوجود الروح. فلذلك

(1) أي رسول التنوير.

(2) عطارده هو تركيب الكتاب، طبعه مستخرج من كلّ الطبايع، علافا للكراتك السة الأخرى: فالقمر والزهرة لهما طبع الماء الرطب البارد. والشمس والدمرغ لهما طبع النار الحار اليابس. والمشتري طبع الهواء الرطب الحار. وزحل طبع التراب البارد اليابس.

هو الظلام الذي قيل فيه: ﴿تَبَسَّطُوا فِي الْفُتُوحِ أَيْدِيَكُمْ إِلَى السَّمَاءِ﴾ (٤٦) (نور: ٤٦) وهو إذا أخذته من مشاهدة طبعه إليه.

قال لي: مرحبا وأهلا، وسعة وسهلا، يا أيها السالك حَقَّقْ ذاتي، وانظر في صفاتي، أنا الصادر من خزائن الجود.

قوله: «حَقَّقْ ذاتي»: هو كلام الخليفة^(١) وهي المرتبة، وهكذا في كل رتبة الكلام له. وقوله «أنا الصادر من خزائن الجود» أي إنما وقع الجود من خزائن الجود.

والعقيد على أول موجود لولاي ما عَلَّمَ الأسماء.

أي أنَّ المرتبة الخلافية تقول: بي شرف آدم ويترو.

ولا سما قدرا على من سما، بي نطق، ومن أجلي خلق، بي فن أرضه وسماؤه
وعلي قام عهده ويناله^(٢)

ثم رَدَّ وجهه إلى فن رافع الجمال، ساحط اليها، مشوق القامة كالصنعة السمره^(٣)، وقال له: قم يا كاتب الإلهام، فَعُدَّ الدُّعَا والأقلام، واكتب في ديوان الأجسام من أمر الإمام ما يسلك هذا الغلام.

قوله: «فن رافع الجمال»: يشير إلى روحانية عطار. وعطار مسترج فيه جميع الطابع. وقوله «عدَّ الدُّعَا والأقلام» يريد بالدُّعَا الإجمال، وبالأقلام التخصيص، أي عدَّ الأمر المجلد وفصله.

(1) المتكلم هو عيسى - عَلَيْهِ السَّلَام - بعينه خليفة عن الروح المحتدي، فكُلُّ نبي مظهر من مظاهر الخلافة المحتدية.

(2) قال تعالى عن مريم - عَلَيْهَا السَّلَام -: ﴿فَلَمَّا دَنَا بِهَا وَاللَّهُ يَلُوكُ لَهَا وَهُوَ مُسْتَنِيٌّ بِهَا فَقَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَى الْأُفُوكَ وَالْأَلْجَمَ الْغُلُوكَ انزِلْنِي بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ﴾ (٤٧) (النحل: ٤٧).

(3) من مظاهر الروح المحتدي الروح الكلي السابق ذكره وهو التلغ في كبد روحه فنن أرض جسمه وسماه نفسه. وقوله «من أجلي خلق»: أي أنَّ كبد - عَلَيْهِ السَّلَام - أول وأكمل مظهر إسمي للروح المحتدي الذي من أجله عُقِدَ العلم لك - عَلَيْهِ السَّلَام - أول المبدئين. والله أعلم.

(4) الفن هنا عبارة عن روحانية كوكب الكتاب في هذه السماء الثانية. والصنعة: القناع في الفنّ المشوق المستطعم.

فخرج إلي كاتبه ووزيره وحاجبه، ففتحا لبعثته مقبلا، قمت إليه مرتجلا:

يا أيها الكاتب اللبيب أسرك عند السورى عجيب

قوله: «البيب»: من اللب، وهو روح العقل.

فزيك السيد المصلى قيسمت نحرك القلوب

قوله: «قيمت» تحرك القلوب: أي تطلب إليها.

لما تغيبت عن جفوني تاهت على المقاهر الغيوب

أي: لما كنت في الغيوب تاهت عوالم الغيب على الشهادة وزهت، ولو كنت في

الشهادة لزهت على عالم الغيوب.

لولاك يا كاتب المعاني ما كان لي في السلا نصيب

أي: لولاك في السلا ما طلبت السلا، إذ أنت مطلوبى لا السلا، ولولاك لكان الكمل

عندي سواء.

فاكتب ظهير الأمان حتى يؤمن الخائف المريب

أي: أعطني أمانا لأنك لما غبت، واشتغيت إليك، غفقت من الغيبة، فاكتب لي

الأمان أنك حيث كنت أغلقتي معك إلى تلك الحضرة، وأنت لطيف المعاني، تدعوك

الحضرات إليها، فغلني معك في كل موطن، لأمن من فرقتكم، فالأمان في هذا الموضع

لهذا، لا للخوف.

قال السالك:

فقال: نعم ونعمى عين، دون ريب ولا من.

أي: أخيك وأجيك فيما تقربه إليك، فلذلك قال: «ونعمى عين».

قال السالك:

ثم كتب، وأوجز وما أسهب ووافق المطلب:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد الكريم

هذا ظهير ولاية وأمان، أمر به روح الأرواح خليفة الرحمن، لما تحقق لديه، وثبت

له عتقا أوحى إليه، أنه إليه انتهت الدورة الأتمية، وطرب له بسهم في الدولة المحمدية.

قوله: «انتهت إلى الدورة الأدمية»، أي دورة الملك⁽¹⁾، إذ قال فيها: ﴿يَكُنْكَ كَيْسَنَ جِدَّ أَفْوَ كَشَلَّيْ مَادَمَ﴾ [إبراهيم: 59]. ثم جاء محمد-ﷺ وله دورة السيادة، فقال: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر)⁽²⁾ والسيد هو من لا يُكافَر. فلعلها انتهت الدورة في عيسى، وهو روح الأرواح، إذ نحن مغرور فينا، وهو له الضخ، فأقامه الحق مقام نفسه. وقوله «وغير» لي بسهم في الدورة المحمدية: لكونه ينزل آخر الزمان، فهو النبي الولي في الدورة المحمدية.

وإنَّ سهمه يصيب قرطاسها، وعُذْلُه يقيم قسطاسها⁽³⁾ فمتعما علم أن سهمه لها مصيب، وله منها أوفر حظ وأكمل نصيب، كتب هذا الظهير الجسيم إلى هذا الولي الكريم.

أي: كتب هذا الظهير إلى الأرواح الأدمية:

عَهْدُ الله عليه، وأمانته لديه، بالنظر الشديد فيما قلَّده، والوفاء بما عليه عهد، وقد حمله الخليفة أمانته.

قوله: «عهد عليه فيما قلَّده»: أي من تدبير هذه المملكة على حكم ما شرع.

عندما غلب على قلبه وقال: ودعائه، وعفائه وصيائه.

أي أدبا مع الله تعالى لئلا يقطع على الله تعالى شيء، لقوله تعالى: ﴿عَلَّا تَزِرُكُمُ أَثْمَارُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النجم: 32]، وقول الرسول -ﷺ: «(لا أُرْثِي على الله أحدا)⁽⁴⁾».

وتوفوه في الأحكام، وانتهازه في مشكلات الأوهام، ووقوفه عند حدود الإمام. فإنَّ صيرَ ظنَّ الإمام عُدْلاً، وسلس وجهه حرماً ويطمأ، وعدل في قضايه وأحكامه، وتوزع في

(1) حول دورة الملك حتى جاء ملكها، ينظر في الفتوحات الباب المنشور، وحول دورة سيد العالم محمد-ﷺ وإنَّ الزمان في وقته استدار كهيئة يوم خلقه تعالى يُنظر الباب الثاني عشر.

(2) الحديث أخرجه الترمذي وابن ماجه.

(3) -: قرطاسها: هنا يعني غرضها وعندها. وقسطاسها: ميزانها أي أن عيسى -ﷺ- عند نزوله في آخر الزمان يحيي السمل بالشرع المستحدث.

(4) رواد البخاري ومسلم في صحيحهما.

وَلَا تَهْجُرْهُمْ، أَبْقِيَهُمُ الْيَا وَيْلَهُ. وَإِنْ جُدَّ مِنَ الشَّرْطِ عَزَلَهُ وَاسْتَبَدَلَهُ.

قوله: «فَلَنْ صَيَّرَ عَنِ الْإِمَامِ عُلَمَاءَ: أَيِ إِنَّا عَمِلَ عَلَى حَدِّ مَا عَهْدَ إِلَيْهِ. وَقَوْلُهُ «سَأَسْ رِعْيَتَهُ حَرَامًا وَسَلَمَةً: أَيِ يَقْبَلُهُمْ فِي مَوَاضِعِ الْقَهْرِ بِالزَّجْرِ وَالشَّقِّ، وَفِي مَوْضِعِ الصَّلَاحِ بِالرَّحْمَةِ. وَقَوْلُهُ «تَوَرَّجَ»: أَيِ اجْتَنَبَ الشَّيْئَاتِ وَالْمَحَارِمَ. وَقَوْلُهُ: «هُمُ الْقَوِيُّ الَّذِي فِيهِ كَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ».

وَلَمَّا بَلَغَ الْوُقُوفَ عِنْدَ ذَلِكَ، وَالْمَشْيَ بِرِعْيَتِهِ عَلَى أَسْهَلِ الْمَسَالِكِ.

وَأَنْتُمْ مَعَاشِرَ الْكَافَّةِ عَمُومًا وَغَيْرُهَا، لَا تَجْنُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَحِيصًا، وَهَذَا نَحْنُ لَقَدْ نَا أَمْرَكُمْ جَزَاءً شَتِيحًا⁽¹⁾، وَهَزِيئًا مَسْتَهْزَأًا، وَقَصِدْنَا أَنْ نَتَخَفَكُمْ بِأَسَدٍ سَهْبٍ، وَنَقْلَكُمْ بِأَجْرٍ سَهْمٍ. لَمَّا قَالِ نَحْنُ لِقَائِهِ، وَمَا قَدَّرْنَا لِقَائَهُ، لِبِلْسَانِنَا يَتَكَلَّمُ، وَهَذَا خَمَلْنَا بِرُجْمٍ.

وَوَقَفْنَا⁽²⁾ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ مَوَاتِكُمْ، وَيُؤَلِّفَ شَتَاتِكُمْ، وَيُؤَثِّرَ بَيْنَكُمْ، وَيُعَلِّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ، وَيُزَيِّرُكُمْ أَنْتُمْ إِلَيْنَا تَرْجِعُونَ.

وَإِنْ طَلَّتِ الشَّمْسُ، وَتَضَاعَفَتِ الْوَيْدَةُ⁽³⁾، فَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، وَلَا تَقُولُوا كَمَا قَالَ مِنْ قَبْلِكُمْ: «تَسْمِعُنَا وَتَعَصِينَا» (النساء: 46)، فَقَرَنَانِمْ أَيْدِي سَبَاءٍ، وَقَتْلَانِمْ بِالْأَهْطَامِ⁽⁴⁾ وَالزَّيْرِ، وَتَبَرَنَانِمْ تَبِيرًا، وَحَتَّ عَلَيْهِمْ كَلِمَةَ الْعَلَابِ فَتَبَرَنَانِمْ لِلْعِمْرَاءِ حَتَّى مَا تَرَكْتُ بِالْغِيَارِ مِنْ إِرَامٍ، وَهَمَّ بِإِلَاحَا كَيْمَا وَإِرَامٍ⁽⁵⁾.

قوله: «مَا تَرَكْتُ بِالْغِيَارِ مِنْ إِرَامٍ»: أَيِ مِنْ أَحَدٍ.

فَلَا تَعْتَرِضُوا بِالْمُخَالَفَةِ لِسُلْطَانِنَا، وَلَا تَسْتَطِشُوا عِنْدَ احْتِفَالِكُمْ رَسُولَ تَقَاتِنَا، فَكَأَنَّنِي لَدَّ حَلَّتْ بِكُمْ التَّنْزِلَاتُ⁽⁶⁾، وَمَا تَرَفَّضْنَاكُمْ بِهِ عَنْهُ مَخَالَفَتَكُمْ آتٍ.

(1) مَحِيصًا: قَابِلًا لِلْأَخْلَاقِ. جَزَاءً: أَشَدًّا، شَدِيدًا. شَتِيحًا: سَيِّئًا كَرِيمًا.

(2) أَيِ حَافِظِنَا هَذَا السَّالِكِ الَّذِي جَعَلَنَاهُ خَلِيفَةً عَلَيْكُمْ.

(3) الْجَيْدَةُ - كَسْرُ الِهْيَاءِ -: جَمْعُ عَدَدٍ وَهُوَ الْجَمَاعَةُ.

(4) الْأَهْطَامُ: جَمْعُ هَظْمٍ وَهُوَ يَطْنُ الْوُثْيَ.

(5) تَبَا وَإِرَامٍ تَحْتَلُّ مَعْنَايَا: أَيِ الْقِتَالِ وَالْمَجْلُودِ، أَوْ قَوْمِ نَجْعٍ وَقِيلَ إِرَامٌ ثَلَاثُ الْمَعَادِ.

(6) التَّنْزِلَاتُ: جَمْعُ مَقَالَةٍ: أَيِ الْمَقْبُورَةِ وَالْتِكْوِيلِ.

وها نحن منتظرون لخطابه بما يكون منكم، وينقله إلينا حكمكم، وكان ما كان فهو
 مصروف إليكم، وإنما هي أعمالكم تُرد عليكم، إن غيرا غيرا، وإن شِرا شِرا: ﴿فَمَنْ
 يَسْمَلْ يَفْشَلْ دَرَجَاتُ خَيْرَ يَسْرُدْ﴾ (١) وَمَنْ يَسْمَلْ يَفْشَلْ دَرَجَاتُ شَرِّ يَسْرُدْ﴾ (٢) [الزبور: ٨١/٨٢]
 ﴿عَلَيْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ﴾ (٣) [المائدة: ٣٨] ﴿اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنِ التَّائِبِينَ﴾ (٤) [آل عمران: ٩٧]
 ﴿وَبَلَّغْ لَكُمْ قَوْلَ مَنْ سَلَّى اللَّهُ مَوْلَاكُمُ﴾ (٥) [إبراهيم: ١١].

وصلَّى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين، والحمد لله رب العالمين، والسلام
 عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

قال السالك:

فَأَعْلَتْ ظُهُورُ الْأَمَانِ، وَصَرَّتْ يَتِّ وَبَيْنَ ثُلُكِهِ تَرْجَمَانِ.

فلما رأى عجلي فيما به نصبت، وإصابتي في كلِّ ما حكمت به وأصبيت، قال: ينم
 ما به جئت، وأنا أجازيك، إذ لا نظير يماثلك ولا عدل يوزنك، وإن فوق هذا المقام مقاماً
 عظيماً، ومشهداً كريماً، ومنزل فرح، لا ترح، وهو مقام الجمال^(١)، وسطر الإجلال.

قال السالك:

فَارْتَفَعَتِ الْهَيْمَةُ لَطْلِبُهُ، وَبَادَرَتْ لِاخْتِرَاقِ حُجَّتِهِ.



(١) اختص الشيخ بهذا الظهور من عيسى - عليه السلام - للملافة المستمرة بينهما، وقد ذكرها الشيخ في
 العديد من نصوصه، ومن أهم مظاهرها اشتراكهما في مقام الخفية، حيث بين الشيخ أن عاتم
 الولاية العامة هو عيسى - عليه السلام - عندما ينزل في آخر الزمان، وأن عاتم الولاية المحمدية
 الخاصة هو الشيخ نفسه. وعبر عن هذه الملافة في خطبة الفتوحات عند وصفه لارتقائه منبر
 الخلافة المحمدية، فقال من النبي - ﷺ - مخاطباً الختم عيسى - عليه السلام - فراقني وواد الختم
 لا اشتراك بيني وبينه في الحكم، فقال له السيد: هذا عليك ولبيك وعليك، انصب له منبر الفتره
 بين يدي^(٢).

(٢) يعني سماء الزهرة الثلاثة التي لطها يوسف - عليه السلام - واسم مقام روحانياتها: الجميل.

السماء الثالثة سماء الشهادة

حيث سرّ روحانية يوسف عَلَيْهِ السَّلَام

بسم الله الرحمن الرحيم

قال السالك:

فاستفتح لي سماء الجمال، ومعدن الجلال، فُتِّحَتْ وَسَلِّمْ، وتَمَلَّك لي زمام أمنها
وسَلِّمْ، ففصلت ساكن قصرها، ودعيت مصرها.

يعني أنَّ الجمال هو معدن الجلال. وقوله «سَلِّمْ إلَيَّ زمام أمنها»: أي من أجل
 الجلال الذي ذكر فيها، فأمن من سطوات الجلال. وقوله «فصلت ساكن قصرها»: أي
 روحانية يوسف - عَلَيْهِ السَّلَام -، وهي ساكن القصر⁽¹⁾.

فرايت بفناءه كافة أصحابها، فعملت إلى غلام بابها.
قوله: «كافة أصحابها»: أي الملازمة - عَلَيْهِ السَّلَام -.

فسألت: ما الخبر؟ وما هذا الجمع المستتر؟ فقال: تكاح خُود، وعُرس شُهد.

قال السالك:

فشاوَرْتُ عليه فلُزْن، ودخلت عليه غير رُعيح ولا زُجْن، وبانورت بالسلام عليه فردّ
ولقن عني جناح الخجل وقْدَ⁽²⁾. ودخلت جُرْثُه جُفْرها، وأسفلت دوننا سترها.

(1) المستفتح لهذه السماء هو كما سبق رسول التوفيق. وسَلِّمْ الأولى: لقرى السلام، وسَلِّمْ الثانية
 تعني أعلى من التسليم. وسَمَى الشيخ هذه السماء: سماء الشهادة، باعتبار المسئلة الأرضية
 مضاعفة للمملكة السماوية. فالإمارة لسماء الشمس القطبية الأرضية. والوزارة لسماء القمر
 الأرضية. والكتابة لسماء الكاتب العيسوية والشرطة والمسكر لسماء المرمخ الهارونية الفخمية.
 والقضاء لسماء المشتري الموسوية السادسة. ولا يَدُ للقاضي من شهود عدول خاصة في عقود
 التكاح الذي هو من خصوصيات هذه السماء الثالثة اليوسفية.

(2) أي سَلِّمْ على ساكن قصرها. ومعنى «قَدْ»: قطع واستكمل، أي أزال مَنِي كُلِّ عَجَل.

قوله: «دخلت حرمه بغيرها»: يريد «الزهره»⁽¹⁾.

قلت على ساق الفتاة، وبدأتُ بذكر من له الأسماء الحسنى، وثبتتُ بالصلاة على من كان قاب قوسين أو أدنى، وثلثتُ بالثناء الأعظم الأجل على صاحب ذلك المعجل الأسنى⁽²⁾، وقلت: مرحبا بهذا الابتداء السعيد والانتظام الجميل الحميد. قوله «مرحبا بهذا الابتداء»⁽³⁾ السعيد والانتظام يشير إلى انتظام روحانية يوسف والزهره في عالمه، أي نسبتها في وجوده.

الذي عم سروره القلوب وغمرها، وأقل المهامه⁽⁴⁾ وعمرها، بسيدة البينات، ومثيرة الظلمات، التي سحرت بابل، ودمتهم بنابل، فلم أرَ كُنُهاك بين أملاك⁽⁵⁾، ولا كبرياء سحر الألفاك على عرش الشماك⁽⁶⁾، ولا كشوف تبه على شرف أبل، ولا كسعد أنرت له السعده بالضليل، ولا كسبة أنكت بالجراد الأمل، والقرباب الشمس في بيت الحنن⁽⁷⁾. هنيئا بما اقرن من سماعات، وتضاف من قطع حسن متجاورات، واتسق من أنمار مجد وتيرات، ذ «وَالْقِيَمَةُ وَالْقِيَمَةُ وَالْقِيَمَةُ» (الفرز: 26). إليكوها - ساعدكم السمح - صفحة رابعه، وحالة مباركة صالحة، أملا للاختياط، وصحلا للازدياد، ودعولا «وَمَنْ يَكُنْ تَابِينَ»⁽⁸⁾ (الحبر: 46) وميشرا بالزناه والبنين. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

قوله: «ميشرا بالزناه والبنين»: أي ما ينتج انتحاشهما من العلوم.

- (1) أي مظهر من روحانية كوكب الزهره.
- (2) أي نبي الصلاة على سيدنا محمد - ﷺ - وثلث بالثناء على يوسف - عليه السلام -.
- (3) الابتداء هو الزواج، والانتظام واقع في عالم ذات السالك ووجوده مضافا لانتظام روحانية يوسف بروحانية الزهره.
- (4) المهامه: جمع مهمه: وهي البلاد البعيدة المطفرة.
- (5) الأملاك هنا يعني: الزوج، والأملاك جمع تلك من الملائكة.
- (6) السماك: نجم هو أشد النجوم تألقا في كوكبة برج الممراء.
- (7) برج الحمل هو برج الشمس في شرفها، أي في أشرف درجاتها خلال دورتها السنوية.

قال السالك:

فندمنا فرحاً من الكلام، وخمت بالصلاة والسلام، تحرك السر قليلاً.
أي أنبات من نفسها كما تفضل المختبرات المصنونات إذا أشرن من خلف الستور.
واقبعت صوت كما هب التسيم علينا، وقال:

ومن تكن الزهرراء جبرشا له فقد تنزع بالجوزاء وتكمل الفشوى⁽¹⁾
أنا زهرة الروض الممتك عزله وهل زهرة أخرى تضاهي سائر الزهر⁽²⁾

قال السالك:

قلت لها: أما أنت فمررتك، وتعتك أنا ووصفتك، وأريد منك أن تعرفني بمقام
سيدك هذا وخبره، وتظلمني على شجرة ويبره⁽³⁾. فقلت:

أيها العرب الغريب، والطريف الطريف، فديتك بالتالد والطريف، على الخير
سلطت، وعند ابن نجندتها حططت.

قوله: «عرفني بمقام سيدك»: أي مقام يوسف - عليه السلام -، قوله «عجبه ويبره»:
أي ما خفي من أمره. قوله: «العرب الغريب»: أي العرب في السماء والغريب في
معانيه. قوله: «الطريف»: أي الحاوي على الأدب، و«الطريف»: المعجب منه. و«التالد»:
المال الموروث و«الطريف»: المال المحدث⁽⁴⁾.

لكنك لتساأل عن خاية لا تترك وصفة لا يحاط بها علماً ولا تأمك، تعين علي
أن أخرج لك منها على مقدار فهمك، وأوقفك من شأنه على ما أقرر أن يكون في علمك.
ثم أشارت إلي من وراء ستراها، ومصون عذرها، وقالت: هذا أمين الأمانة.

- (1) الشعري كوكب يطلع في شدة الحر يبرج الجوزاء حيث تكون الشمس في أوجها.
- (2) حره: وافته. الزهر: كوكب الزهرة وتسمى البيضاء.
- (3) سيد وروحية الزهرة هو يوسف - عليه السلام -، وعجبه وشجرة تسمى قوله العرب عند طلب
الأطعام عن كل ما يسلق بشخص.
- (4) العرب: الرجل. والتالد: القديم. والطريف: هو الطرف أي الجديد. وابن نجندتها: عبارة قال
عن العالم المعن، وكذلك قال للذليل الهادي.

قوله: «أَمِينَ الأَمَانَةِ: أي لِمَا وقعَ منه في حق امرأة العزيز.

وجعل الأَمَانَ، وسمل الزَّهْرَاء، أَمِيرُهُ القَوَاعِي: ففُتِرَت التَّوَابِيتُ⁽¹⁾

أي أرواح النسوة. وقوله «التَّوَابِيتُ» لَمَّا تَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ، فَكَانَ أَرَوَاهُنَّ تَخَيَّكَتْ
أَنهَا تَخْرُجُ بِذَلِكَ الشَّيْءَ مِنْ سَفَلِ الْأَجْسَامِ وَحُجُبِ الظَّلَامِ.

ودامت الخروج إليه عشقا، وثقافت له وَلَمَّا كَانَا قَدْ كَانَا، فصرف وجهه وأعرض⁽²⁾،

وَلَدَ أَرْضَ وَمَا تَرْضُ⁽³⁾، وإلى طلب الزيادة تَرْضُ⁽⁴⁾ وسحر الأَنْعَامِ، وعَطَلَ الْأَدْبَانِ

وكان سيف نعمة على كل عتو بعيد أو دَنَ، وسبب نعمة على كل محب قُرب أو بَانِ،

سجدتْ إليه زُفَرُ الكواكب، ولزَّاتْ لمواضي أَيْسَتِ قلوب المَوَاكِبِ، وأعطتْ المملَكة

مقابلتها، ووجهه مطاريها ومنايلها، ومَلَكَةُ الْخَلَاةِ أَرْزَنَهَا⁽⁵⁾.

أراد بالخَلَاةِ النِّبْذَةَ.

فخضر عهدا وثقتها، ولم يزل يوسس مملكتها بحسن النظر، وبقيها بسديد نتائج

الفكر، حتى قامت الفتوة على ساقها، وعمتها خبراته على بعد أنظارها وأَنَالَهَا، وتجلَى

شمسا بأهراء بين أُرُونَهَا وَأَطْرَافِهَا، وحيد دهره وفريد عصره في بحبوحة مُلْكِهِ، ولا

(1) التَّابَاتِ: الأَيَّامُ. القَوَاعِي: جمع لاهوت، هنا بمعنى الروح. التَّوَابِيتُ: جمع تَابِيت: بمعنى الجسم. يشير إلى قوله تعالى عن موقف النسوة مع يوسف - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: ﴿وَلَمَّا رَأَتْهُنَّ أَفْرَتْنَ لَكُنَّ فِي يَدَيْهِنَّ رِبَاسٌ فَمَا كَانَ بِهِنَّ عَلَوٌ وَلَهُنَّ الْكُفْرَانُ﴾ (يوسف: 31).

(2) أي إعرضه عن فئة النساء، قال تعالى عن امرأة العزيز والنسوة: ﴿فَلَمَّا تَرَ إِلَى اللَّهِ تَوَلَّى دُبُرَهُ فَقَدْ وَقَعَتْ فِي ذَمِّهِ فَغَضِبَ عَلَيْهِ وَنَادَى مَلَائِكَتَهُ أَنْ أَنْزِلُوا بِهِ الْمَائِدَةَ فَأَنزَلُوا بِهَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَتَنَزَّلُ أَعْيُنُ النَّاسِ عَلَيْهَا وَمِنْهَا خَبَأَ لُتْفَ رَبِّهِ وَالْأَنبِيَاءُ هُمْ أَكْبَرُ عَلَيْهِمْ﴾ (يوسف: 32/33).

(3) وما تَرْضُ: أي ما دوى.

(4) تَرْضُ ليكون على خزائن الأرض فتضع الأتة بحسن تدبيره، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مِنْ دُونِ الْأَرْضِ لِلْأَرْضِ عَلَيْهَا حَسْبٌ﴾ (يوسف: 35).

(5) قال تعالى: ﴿وَلَمَّا تَرَ إِلَى اللَّهِ تَوَلَّى دُبُرَهُ فَقَدْ وَقَعَتْ فِي ذَمِّهِ فَغَضِبَ عَلَيْهِ وَنَادَى مَلَائِكَتَهُ أَنْ أَنْزِلُوا بِهِ الْمَائِدَةَ فَأَنزَلُوا بِهَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَتَنَزَّلُ أَعْيُنُ النَّاسِ عَلَيْهَا وَمِنْهَا خَبَأَ لُتْفَ رَبِّهِ وَالْأَنبِيَاءُ هُمْ أَكْبَرُ عَلَيْهِمْ﴾ (يوسف: 36).

يصر شيئا خارجا عن ذلك، فرداه جلا، وقلده عبي⁽¹⁾.

قال السالك:

فسمعت حجابا، وودعت أمتي في السماء الرابعة نساء، وأطلب لها سيبا. سمعت شيئا - ~~تلك~~ - يقول: إلى هاهنا وصل القنوي إبراهيم من المشايخ الكبار برنق، وهي قلعة إشبيلية.



(1) غفر: حفظ. لزوجتها وأطرافها: عطاء الدولة وأتباعها. ورداه جلا يشير إلى تمجيده الذي جلا الممي من والده بطوب - ~~تلك~~ - فارتد بصيرا.

السماء الرابعة

سماء الإمارة، حيث سز روحانية إدريس عَلَيْهِ السَّلَام

بسم الله الرحمن الرحيم

قال السالك:

فاستفتح⁽¹⁾ بي سماء الاعتلاء⁽²⁾.

وقيل: مرحبا بسيد الأولياء، الاعتصام محيط بجوهر ك البسيط⁽³⁾، فقلت: زُفم ما
بشَرَّتْ به ويَسَّرَتْ، فبملاكك العليّ من أنت؟ قال: أنا معدن الجلالة، والطَّيْب السَّلالة، أبو
العلاء سيد المهابة والفرزاة⁽⁴⁾.

(1) أي رسول التوفيق وليفه ودليف في هذا المراجع.

(2) هي سماء الاعتلاء لقوله تعالى عن إدريس - عَلَيْهِ السَّلَام -: ﴿وَنُفِثْنَا مَكْفُوفِينَ﴾ (مريم: 57)،
ومظهرها المحسوس هو فلك الشمس غلب عالم الدنيا، ومولمها الربيع في مركز السموات،
ولها المرتبة الوسطى في مراتب الوجود الثمانية والعشرين كما فضلها الشيخ في الباب 198 من
الفتوحات.

(3) من هذه الأوصاف يظهر نسط من التطابق بين المقام الإدريسي الشمسي الفلكي، ومرتبة الشيخ
الأكبر في الولاية.

(4) المهابة والفرزاة من أسماء الشمس. وقد ذكر الشيخ في الباب 73 من الفتوحات إن
إدريس - عَلَيْهِ السَّلَام - هو القطب القائم لعالم الدنيا، والقطب في كل زمان تزويد، فقال ما
خلاصة: فإني لله تعالى بمد رسول الله - ﷺ - من الرسل الأخياء بأجسادهم في هذه الدار
الدنيا ثلاثة وهم إدريس - عَلَيْهِ السَّلَام - بني حوٍ بجسده وأسكت الله السماء الرابعة. وأبقى أيضا
إلياس وعيسى والمغفر. فهؤلاء بقرن بأجسادهم في الدار الدنيا فكلهم الأوتاد وثلاث منهم
الإيمان، وواحد منهم القنط الذي هو موضع نظر الحق من العالم. والقنط - الشيخ يحيى
به إدريس - وهو أحد أركان بيت الدين، وهو ركن الحبر الأسود. وثلاث منهم هما الإيمان.
فإلواحد يحفظ الله الإيمان، والثاني يحفظ الله الولاية، والثالث يحفظ الله النبوة، والرابع =

فأنشأته من عظيم ما وجفته:

قوله: «فاستخرج بي سماء الاعتلاء»: يريد السماء الرابعة. وقوله «الاعتصام محيط بجوهر ك البسيط»: أي فيما يلي إليه، لأنَّ الخلل إنما يدخل في التركيب، لوجود الاثنين فصاعداً، والواحد معصوم اعتصام ذاتي. ونسبة إدريس - عليه السلام - مع الشمس: كون الشمس في الوسط، ومدار الأسفل والأعلى عليها، وهي بمنزلة القطب. ولنا قيل فيه - عليه السلام -: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكَ﴾ [مرم: 57] ناسبها بذلك. وهو أول من خط بالقلم، فله الرزمة في الكتابة والتصوير، فكانت منزلة في العلو منزلة القلم الذي لا أعلى منه، فأعطى السماء الرابعة.

هنا لأهل الشرق في حضرة القدس بشمس جلت أنوارها قلعة الزمزم⁽¹⁾

قوله: «لأهل الشرق»: أراد أهل العلوم التنويرية، وهو كل علم يكشف نفسه وغيره، خلاف الأسرار فإنها تكشف نفسها ولا تكشف غيرها. ويريد بالقدس هاهنا طهارة المحل، وهو أن لا يحجبها سحاب ولا غيرها. وقوله «شمس»: يقول إن هذا العلم لمن قام به يحكم به على الطيبة، ولا يحجب الطيبة كما يحجب في حق بعض الناس.

وجلّت عن تشبيه فهي فريدة وليست بفصل في الحدود ولا جنس

أي ليست بمركبة في جنس ولا فصل. فالجنس كالحوياتية، والفصل كالنطق، والفصل هو الذي يقوم أمراً. وتم قسم من الفصول يسمى المقسمة، كقولك: هذا ثوب

= يحفظ الله الرسالة، والمجموع يحفظ الله الدين الحنيفي. ولكل من هؤلاء الأربعة من هذه الأمة في كل زمان شخص على قدرهم مع وجودهم، هم نوابهم. فآثر الأولياء من عاقبة أصهارنا لا يعرفون القطب والأمين والوند إلا التواب، لا هؤلاء المرسلون الذين ذكرناهم، ولهذا يتناول كل واحد من الأمة لتبيل هذه المقامات، فإنما حصلوا أو عجزوا بها عرفوا عند ذلك أنهم نواب لذلك القطب. ونائب الإمام يعرف أن الإمام غير، وقته نائب عنه، وكذلك الوند. فمن كرامة رسول الله محمد - ﷺ - أن جعل من آتة وأنباءه رسلاً وإن لم يرسلوا فهم من أهل المقام الذي من يرسلون، وقد كانوا المرسلين. ولهذا صلى رسول الله - ﷺ - ليلة إسرته بالأنبياء - عليهم السلام - في السموات لتصح له الإمامة على الجميع حاضراً بجسمته وجسمه. فلما اتفق - ﷺ - بقي الأمر معطوفاً هؤلاء الرسل، ثبت الدين قائماً بسعد الله ما أتهم منه ركن إذ كان له حافظ يحفظه.

(1) الزمزم: القبر.

حرير أو كان أو قطن، فالثوب جنس واختلاف أنواعه تقسيم. وأما المقوم فكانتلق
للإنسان، والصهيل للفرس، وما أشبه ذلك.

ونسودك منها في كمال وجودنا كما يدرك الخفاش من باهر الشمس
أي: أدركنا منها على قدر نورنا⁽¹⁾.

فسلقه من نسور أئتمه رسالة تصان عن التعمين والظن والحس
أي: هي عند الله تعالى، ولا يشوبها شيء.

أئتمنا بها والغلب ظمان تائق إلى الملأ الأعلى إلى حضرة القدس
أي: أئتمنا بها على حاجة وتشوق منا وشوق.

فجاء ولم تحفل بيوت كثيرة لغاطبها من حضرة النعل والكرسي
أي: جاء ولم تحفل به نفوس كثيرة ممن هي معه في زمانه، لأن كل نفس هي مهيئة
لهذا المقام، ولكن لم يدركه غيره، ولهذا قدحوا فيه، فلما حلهم خط الزمل عرفوا حيث
بالدليل أنه هو الرئيس⁽²⁾.

أنا البعل والعزيز الكريم رسائي فلله من يحمل وه من جرس
أي: رسائي هي زوجتي، وهي مشبهة بالشمس. كما أن الشمس لا شك فيها،
فكذلك رسائي لا شك فيها من النور والوضوح. وما طلب من الناس إلا أن يقولوا: «لا
إله إلا الله قط»، وهم الذين ستأتمهم الله: «هاتوا الأولى». ونسبة المرتبة التي هي الرسالة
بالزوجة لأنه لما اتصلت به حصل الاتصال والانتعاش، فللهذا قال: «فناهيك من يحمل
وناهيك من جرس».

غرسك لكم الأمانة ياأنا وأني لجاني بمحمد نور الشمس
يريد ما أكرمهم به من الأعمال المستجبة للعلوم من قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَاكَ
وَيُسَبِّحُكَ كُلُّ نَفْسٍ وَاقِلَةٍ﴾ [البقرة: 282]، والأمانة هي نفس العمل.

تولعست بالتبليغ لما تبيئت أمور ترقيني عن الإيس والأيس

(1) الخفاش: الطوط، وهو لا يصير في النور. والمعنى أنه لا مجال للتفكير في الذات المعبدة.

(2) خط الزمل علم إدرسي عتيق تُعرف به المناسبات بين الخروج الفلكية والحوادث الواقعة في
الأرض. والمعد 12 هو عدد هذه الآيات على عدد الخروج.

أي: تولعت بالتبليغ لما رأيت أنه أفضل الأعمال، وهو اختص أوصاف الرسل التبليغ عن الله تعالى، وما عدا هذا الوصف فإنه يشترك فيه، والأمور التي ترقيه عن الإنس (ومن) الأنس بهم هي معرفته بأمور التبليغ.

وَرَحَّتْ وَقَدْ أَبْدَتْ بُرُوقِي وَمِيزَهَا وَجُزَّتْ بِحَارِ الْغَيْبِ فِي تَرْكِبِ الْحِسِّ
«الوميض»: اللمعان، أي زمان إقامته بهذا الهيكل، فيه قطع بحار الغيوب، فإنه إذا فارقه صار الغيب في حقه شهادة.

وَنَمَتْ وَمَا نَامَتْ جِفُونِي خَفِيَّةً⁽¹⁾ وَتَهَتْ بِلَا تَبِهِ عَلَى الْجَنِّ وَالْإِنْسِ
قوله: «تهت»: أي حرت بلا تبه، أي بلا عجب. وقوله «على الجن والإنس»: أي في الجن والإنس، قال: فحرت فيهما⁽²⁾.

فِيَا نَفْسَ هَذَا الْحَقِّ لَاحِ وَجُودِهِ فَلْيَاكُ وَالْإِنْكَارِ مَا نَفْسُ يَا نَفْسِي
أي: المقام لك فصل لك ذوقك، فلْيَاكُ وإنكاره على من يدعيه.

قَالَ الْهَالِكُ:

لَمْ أَفْتَرْ⁽³⁾ عَنْ وَمِيزِ بَرَقِ شَقَّ بِهِ دُجْنُتُهُ الْفَرْقِ
أي: تبسم، أي تكلم بعلم مثل لمعان النور، فشبهه بياض بريق الأسنان. وقوله «شق به دجنة الفرق»: ودجنة الفرق هو كل شيء أدى إلى التميز، ولا يقع إلا بين اثنين فصاعداً في عالم التركيب⁽⁴⁾.

(1) خفيفة: ما بين القمر وطلع الشمس.

(2) الجن عبارة عن عوالم الظلمات، والإنس عبارة عن عوالم الكثافة. ومن أنص المعلوم الإدمية الكيمياء، يختلف مستنبتا الإلهية والروحانية والنفسية والطبيعية والمادية، ومن لمع القسماها تلطيف الكثيف وتكتيف اللطيف، كزود عن الأجسام- كما حصل لإدميس- «تَكْهَكْتَكْهَكْ» حتى ارتفع جسمه إلى فلك الشمس القطبي- وتجنب الأرواح كشهود جبريل- «تَكْهَكْتَكْهَكْ» في صورة الصلحي دحية- «تَكْهَكْتَكْهَكْ».

(3) أي الفتر فتر لإدميس «تَكْهَكْتَكْهَكْ».

(4) يشير هنا مرة أخرى إلى التطابق بين المقام الإدميس الشمسي وعربة الشيخ الأكبر في الرواية.

وقال: كيف رأيت أيها السالك؟ أردت أن أعرب لك عن معاني، وأعرب عليك

بجميع هويتي.

«أعرب: أي لَينَ. ومعاني: حقيقي. «وأعرب: أي أتى بأمر غريب. قوله بجميع هويتي: أريك الغيب في الشهادة مثل قوله: (اعبد الله كأنك تراه)⁽¹⁾.

رأيت أيها السالك كيف فتيت الأغيار، وطُغست الأنوار، وسرحت الأفكار، ونمت الأنهار، ونشت الأزهار، وتبَيَّنت حقيقة الاصطلام، وأشرقت أرض الأجسام.

قوله: «فتيت الأغيار»: أي بطلوع الشمس فتيت الظلم التي هي غير الله. قوله «وطُغست الأنوار»: أي ما اندرج فيها من نور الكواكب، فهي علم عالم يتضمَّن جميع العلوم، ولهذا قال بعض السادة: (ما ظنك بعلم جُلُم العلماء فيه نعمة)، أي يقولون: بالنسبة إليه ما نحن عالمون، فيتهمون أنفسهم في علمهم. قوله: «وسرحت الأفكار»: أي لأنها سرحت من التقييد بالمقدمات التي تنتج العلوم بما حصل لها من الانكشاف التي استراحت به من فكرها. قوله «ونمت الأنهار»: أي زادت المعارف الواسعة. قوله «ونشت الأزهار»: أي أظهرت ما فيها برواحها. وقوله «تبَيَّنت حقيقة الاصطلام»: أي تار الوجود الذي يجده أهل الله تعالى، فإنها من هذه المرتبة. قوله «أشرقت أرض الأجسام»: أي بظهور المعارف الجسدية ظاهراً.

طلعت على البقاء، وصرت محلَّ الارتقاء، إلى وجود اللقاء.

قوله: «طلعت على البقاء»: يريد الثبات، لأنه منزلة القطب، والقطب عبارة عن الثبوت، والمقامات تدور عليه وهو لا يرح، ويضاهيه في الإنسان القلب. قوله «وصرت محلَّ الارتقاء»: أي كارتقاء المخطوط من نقطة الدائرة إليه، كذلك القوى كلها مهما أخلت ارتقيت به إلى القلب: فالبحر يؤدي إلى المبحرات، وهكذا كل قوة من القوى تؤدي إليه.

أنا سة دليل، على أوضح سبيل، لا يَخْفَى عليّ، ولا يَخْفَى ليّ.

أي أنا أوضح دليل على ثبوت الحق تعالى، أي ظهرت فيكم بصورة الحق، وقمت فيكم مقامه، لأنه تعالى يقول: ﴿أَلَا لَكُمْ مَوْجِدُ الْكَافِرِينَ﴾ (الشورى: 53). ﴿وَأَنذَرْتُكُمْ﴾

(1) المحبب أنرجه البخاري ومسلم.

أَلَمْ يَكُنْ لَهُ؟ [مر: 123]، فأنا مع العالم كالعالم مع الحق. قوله «لا يقضي علي ولا يتمي إلي»: أي لأني قمت مقام الحق، فهو يقضي ولا يقضي عليه، لأن الكل يرجع إليه. قوله «لا يتمي إلي»: أي إنما تنتهي إلي المخطوط من حيث هي، لا من حيث هي حقيقي. فالذي يعرفني البصر، لا يعرف السمع، ولا يعرف الشئ، فكل واحد منهم لا يعرف من سوي ما جاء به هو، فلا يقدر يخاطب بما ليس هو عليه، فكل منهم مقيد بوصفه، وهو ليس كذلك لأنه هو البصر السميع، إلى غير ذلك. فالسمع يقول: «أسمع»، والبصر يقول: «أبصر»، إذ كل منهم لا يقدر أن يخرج عن حقيقته، ولا يرى من سوي نفسه. وهكذا هو الإنسان مع الحق - مُتَعَلِّقٌ بِتَقَاتٍ - بل الحق - تعالى - أجل وأعظم. سبحانه ما أعظم قوله: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الْعَرْشِ﴾ (الغافات: 21).

استويت على عرشي، واضطجعت على معالم فرشي.

قوله: «استويت على عرشي»: أي على ملكي الذي ملكني الله. «واضطجعت»:

إشارة على الراحة. وقوله «معالم فرشي»: يريد بالمعالم موضع الأدلة التي يعطيها الملك فلا يشك فيما يرى أو يسمع.

وصح لي مرادي، وحملت عاقبة اعتقادي.

قال السالك:

لقد كنت بما أفاد ولو استزدته لزد.



وإنهاته؟ ولولا ما نشأت ناشتة، وخشيت خاشية، لآتت إلى تحريك الحُور، والاستظهار بالزَّفير على الحُور، ما قطعت هذه الأقطار.

قوله: «قطع القو»: أي المفازلات، وهذه الجزة معلوم. وقوله «نشأت ناشتة»: أي لولا ما طرأ أمر مزعج، أي إلى تحريك الحُور، والحُور ولد الناقة إذا ماتت فسكت لبنها، وهم يريدون أن يحلبونها، أعطوا ولدها وسلخوه من جلده، وجلوا به على صورة ولدها ويحزكوه، فإذا أبصرته الناقة حزت عليه، فأعطوا اللبن فالتفتوا به. والزفير صوت الأسد، أي استظهر من هو بمنزلة الأسد، لا ظهر به على من هو بمنزلة البقر⁽¹⁾.

فيأمر صاحب شرطة الأحمر⁽²⁾، وقال: مرحبا بسيكنا الأكبر⁽³⁾، أنا المتكفل بإيها، في حلة بيهاته، وهل يُذكر السهم السيد إلا ليوم القفال، أو تنتشر كتب جالينوس إلا لمعالجة الفاء المطال⁽⁴⁾؟

ثم أذعنني عليه، وأتعدني بين يديه، فلما أبصرني أطلق صيحته، وقال: سيّا لله السيد. ويته. ثم قال لوزيره⁽⁵⁾: خاطبني عني بلسان الصواب، وعزّفه بي بين الحكمة وفصل الخطاب، فجزد الوزير عن ساعده الأشفّ وضرب بلسانه أرتبة أنفه⁽⁶⁾ وأنشد:

- (1) الحور: هو صوت المجل والبقرة والغنم. ويلاحظ أنّ في العبارات المستعملة في هذه السام شدة وإس، وذلك لأنها مفصولة بالأدوات الجاس كالغروب والفتن، والاسم المنزوعة على إيجاده هو «الغمر» حسبما ذكره الشيخ في الفصل 23 من الباب 196.
- (2) الأحمر هو اسم تركب المريح في هذه السام، والمعدن المناسب لها هو الحديد، كما أنّ المعدن المناسب للشمس هو الذهب، وللشمس الغشة، وللزهره التماس.
- (3) ويما يكون في حلة الشريف: «سيكنا الأكبر» تلويح إلى القلب الذي سيظهر به بعد ذلك، أي: الشيخ الأكبر.
- (4) جالينوس هو من أشهر الأطباء اليونانيين عند أمّية العرب، عاش في القرن الثاني قبل الميلاد وله اكتشافات في التشريح.
- (5) أي: أنّ صاحب الشرطة -وهو روحانية المريح- أدخل الفالك على حارون -تجّ بالكم-، ووزيره هو تقدّم ملائكة هذه السام.
- (6) أرتبة أنفه: أي: طرف أنفه، وضربها بلسانه كتابة عن توبيخ لحسن الخطاب.

هنا الخليفة العلمي، المتبحر السني، سجد كأس اللذة، من أوى إلى الظل⁽¹⁾، فناداه
بذلت الزجيم وقد علم أنه ﴿لَا يَكُونُ الْيَوْمَ مِنْ أَشْرِكٍ أَقْوَى لَأَنْ دَجَّهَ﴾ [مود: 43]، فسوى بينهما
في النور والضياء، وتبرزا في صدور الخلق، فما حلك امرؤ عرف قدره ولا تحيد نور
شمس لم يبر بدره.

قوله: «ولا أحمد نور شمس لم يبر بدره»: أي تعفى المضمة.

قال السالك:

فالتقطت من شلوره، وانجبت من نوره وأزال غاشيتي على ما أعطه الحال
وأخذت في الترحال.

قوله: «شلوره»⁽²⁾: أي قطع كلامه، وقوله «وأزال غاشيتي»: أي ما تقدم ذكره.



جسلة العلماء بالله، فما كانت رؤية الله عليك حين سألت إماماً فقال: واجبة وجوباً حقيقياً. قلت:
لهيأتنا انحصمت به دون غيرك؟ قال: كنت أراه وما كنت أعلم أنه مر. فلما انحطفت على السرطن
ورأيت علمت من رأيت، فلما ألفت ما انجبت، واستصحتني رؤيته إلى أبد الأبد، فهنا الفرق
بيننا وبين المحجورين عن علمهم بما يرونه، فلما ماتوا وألوا الحق فسره لهم السرطن، فلما رأوا
للأول ما قلنا. قلت: فلما كان الموت موطن رؤيته أراه كل ميت، وقد وصفه الله بالحجاب
عن رؤيته؟ قال: نعم هم المحجورون عن العلم به أنه مر، ولما كان في نفسك لقاء شخص است
تعرفه بهمه وأنت طالب له من اسمه، وحاجتك إليه فلقته وسلمت عليه وسلم عليك في جملة
من لقيت ولم يصرف إليك، فقد رأته وما رأته، فلا تزال طالبا له وهو بحيث تراه. فلا معزول إلا
على الملأ، ولها فلما في العلم به عين ذاته، إذ لو لم يكن عين ذاته لكان المعزول عليه غير إله،
ولا معزول إلا على العلم. قلت: إذ الله ذلك على الجبل، وذكر عن نفسه أنه تعالى للجبل؟ فقال:
لا يثبت شيء لتجليه، فلا بد من تأثير الحال، فكان ذلك للجبل كالصق لموسى، يقول موسى:
تألفني دة أصغني).

(1) موسى هو من أوى إلى الظل، قال تعالى عنه: ﴿لَمَّا رَأَى أَنَّهُ يُدْرِكُهُ الْيَوْمَ﴾ [القصص: 24].
وتلقى هارون موسى بذلت الزجيم في قوله: ﴿وَلَا يَكُونُ الْيَوْمَ مِنْ أَشْرِكٍ أَقْوَى لَأَنْ دَجَّهَ﴾ [مود: 43].

(2) شلوره: جمع شقرة وهي اللؤلؤ الصغير.

السماء السادسة

سماء القضاة، حيث سَر روحانية موسى - عَلَيْهِ السَّلَامُ -

سمعت الشيخ يقول: وهي حارة رطبة: طبع الحياة، ليس في السموات أحدل منها⁽¹⁾.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال السالك:

فاستفتح لي رسول الإلهام⁽²⁾، سماء الكلام، فرأيت سَر روحانية موسى - عَلَيْهِ السَّلَامُ -.

قوله: «سَر روحانية موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ»: أراد بالسَر ما حصل منه.

فباهرته مسلماً، وقعدت بين يديه مستسلماً، وعلى رأسه شيخ جميل، ليس بالقصير ولا بالطويل.

يريد بالشيخ روحانية المشتري.

فقال لي: هذا الشيخ هو قاضي القضاة، ورئيس القُلُود، وإليه ترجع أسكّام السموات، وقد أتى إليّ في نازلة صيت عليه، وأنا الآن أودعها لديه، فخذ حظك منها، واحلم أنك مسؤول عنها.

قال إسماعيل -رضي الله به-: سألت شيخي وإمامي -عَلَيْهِ السَّلَامُ- عند قوله «وأتاني في نازلة صيت عليه»، فقلت: أيّ الروحانيين تؤثر في الأخرى؟ فقال -أيّده الله تعالى-: «روحانية موسى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - تؤثر فيه من حيث روحانيته، وهو يؤثر في جسم موسى - عَلَيْهِ السَّلَامُ -. وكذلك حكم النبي - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مع آدم وجميع النبيين - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ -: هو المؤثر فيهم بحقيقته، وكان آدم مؤثراً في النبي - عَلَيْهِ السَّلَامُ - من حيث جسمانيته. وإذا رأينا روح نبي قد عاد بعد الموت إلى ذلك ماء، تحققت أنه رجع

(1) الاسم المتوجه على إيجاد هذه السماء هو: «العليم» حسبما ذكره الشيخ في الباب 198.

(2) وهو نفس رسول التوفيق المرافق للسالك في معراجه.

إلى أصله الذي كان له أولاً، وكانت روحانيات ذلك الفلك مستمدة من روحانية هذا النبي، ولذلك قيل جسّد ذلك النبي أثر هذا الكوكب في ظاهره. وجميع الروحانيات فإنما أخذت موافقا عن الأرواح الإنسانية.

ثم صرف وجهه إليه وقال: أيها القاضي لمعنى سؤالك في أوجز عبارة واقع في الجواب بأدنى إشارة.

قال القاضي: سأل العبد اللليل الأدنى سيده العزيز الأسمى، هل يصح فناء الاسم مع بقاء الرسم؟

قوله: «هل يصح فناء الاسم مع بقاء الرسم؟» قال إسماعيل: سمعت شيخي وإمامي -عليه السلام- يقول: أجمعتنا كلتا على بقاء الرسم، واختلفنا في فناء الاسم، وهو عبارة عن ملاحظة وجوده الذي به يُعرّف اسمه، لأنّ الاسم هاءنا هو المستى. فإن كان التجلي شمس لم يكن الاسم، فمن شاهده في هذا التجلي قال بقاء الاسم مع الرسم؛ ومن شاهده في غير هذا المشهد النوري من المشاهد التي تفني الاسم حال فناء الرسم. فعلى الحقيقة لم يختلفوا، إذ كل واحد قال: ما أشهد؟ إذ الخلاف في هذا الطريق لا يُصوّر. وكان موسى -عليه السلام- في مقام من لم يكن عن اسمه. وإنما كان مشهد القمر يعطي الفناء لكونه محو في حقيقته، فيمن شأنه أن يمحو. والشمس نورها حقيقي، ومن شأن النور أن يظهر ويظهر، فلذلك كان البقاء لتجليها. وانظر إلى قوله -عليه السلام-: (كما ترون القمر ليلة البدر)⁽¹⁾، فذكر الليلة، إذ هي محلّ المحو، ومحلّ القمر المحو، فلو زال النور لبقي محو في محو.

فقال له الإمام⁽²⁾: ألم تعلم أيها القاضي أنّ كلّ مخلوق مجبور؟ كيف يحيط بالحقيقة محصور؟ المعارف كلاله مُغرب، ويتّكّه بالمغرب، والوارث كلاله مُشرق، ويمتّه بالمغرب والمشرق.

قوله: «المغرب يتّكّه بالمغرب»: أي لا يتكلم إلا في الأسرار والوارث يتكلم مع أهل الأسرار بالأسرار، ومع أهل الأنوار بالأنوار، لأنّ الوارث مع نفسه وجسمه فله

(1) الحديث أخرجه مسلم وإبراهيم دارود وغيره مطي واللفظ له.

(2) أي موسى عليه السلام.

المقارب والمشارق، وللمقارب فقط، كما للفقهاء المشارق فقط، فاعلم. ولذلك قال: «الوارث كلامه مشرق، ويث بالمغرب والمشرق».

فالمحمدي يُعري الأسرار، ويكسو الأسوار، وقلبه بالحقيقة مغمور، وشاهد الطريقة عليه مشور.

قوله: «يعري الأسرار»: أي الدعاوي ليس محلها الأجسام، أي محلها الأرواح، ليعزها من ذلك بأن العمل ليس لها، وإنما هو دعوى بحجاب. وقوله «يكسو الأسوار»: أي يثبت الفعل ظاهراً بلسان السنة، كما نفاها باطناً بلسان الحقيقة، كقوله تعالى: ﴿وَمَا دَعَيْتُ إِذْ دَعَيْتُ وَلَكِنَّكَ أَفْهَمٌ﴾ [الأنفال: 17]، فعره من الرمي باطناً، وكساه ظاهراً.

وشاهد الطريقة عليه مشهور، جُرد عن الغير، وأُوضح له المراد فجدّ في السير، فشاهد من ذاته ذاته، ومن صفاته صفاته، ومن أفعاله أفعاله، ومن أرضه سماته، ثم فني عنه بالكلية، واستوت على عرشه صفات الإلهية.

قوله: «جُرد عن الغير»: أي عن نفسه وعن سواه من الكون. وقوله: «فشاهد ذاته من ذاته»: أي من عبوديته ذات الحق الغنية المزينة، وكذلك من صفاته صفاته. قوله ثم فني عنه بالكلية: أي من وجوده المحدث، وذلك لما صيرَه خليفة، فكان عرشاً لمستوى الأسماء الإلهية، لأنه من كونه خليفة لا ينظر عبوديته بالكلية، بل يكون مع المرتبة، وإن كان يخلو في نفسه مع عبوديته بأسماء أخرى.

فصح هناك بقاء رسم العبودية. ومن هنا قال من قال: «إِنَّكَ وإفشاء سرّ الربوبية»، أي إذا تحي الوارث عن نفسه فلا فائدة له إلا قيامه من نفسه⁽¹⁾، وفناءه عن حركته وحده، فإذا فرق في هذا البحر فرق في بحر المنة، فوجب عليه إقامة الفرض والسنة.

فأثر القاضي بشفاؤه واعتزله، وشكر على ما سمع وانصرف.

(1) قيامه من رسمه أي من قبره، أي يصح مشاهدته قيامه بالله لا تعالى، كما قال النبي -ﷺ- في بعض خطبه: «فإنما نحن به وله» -أخرجه أبو داود في سننه-. وقوله «فناءه عن حركته وحده» أي لا يشهد فاعلاً إلا الله تعالى، كما ورد في الدعاء النبوي: «ما حق يا قوم برحمتك أستغث، أصمعي شأني كله، ولا تكلمي إلى نفسي طرفة عين» -رواه الشافعي في «السنن الكبرى» وفي «عمل اليوم والليلة»، والحاكم في «المستدرک»، والبيهقي في «الأسماء والصفات»-. وبحر المنة هو العطاء الزهبي المعروف بلا حصر.

قال السالك:

ثم صرف إلي وجهه⁽¹⁾، وتلا علي قوله تعالى: ﴿طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ قَرَّتْ عَلَيَّ﴾ (البقرة: 148)، ثم قال: احمل أنك قادم علي ريك، ليكشف لك عن سر قلبك،

قوله: «إنك قادم علي ريك ليكشف لك عن سر قلبك»: أحال علي رتبة عطائية، إذ كانت هذه الصفة هي أنوى حالة، ولذلك ردد النبي -ﷺ- في الصلاة خاصة لمناسبتها أيضا للمخاطب، من كون المصلي يتأجي ربه.

وينتهي علي أسرار كتابه، ويعطيك مفتاح قفل بابه، ليكمل ميراثك، ويصح إيمانك، وهو حطك بين: ﴿فَتَنَزَّلُ عَلَيْهِ السَّلَامَةُ﴾ (٢٠)، فلا تطمع في تخصيصك بشرعة ناسخة من عنده، ولا في إنزال كتاب، فقد أخلق ذلك الباب.

قوله: «فلا تطمع في تخصيصك بشرعة ناسخة من عنده»: أي نهاية الولي أن يُسرف علي خطاب شرعية نيء، وتزول القدم من قدامه، فتكون له درجة ميراث النبوة في أخذ الشريعة التي هو عليها، لا شرعية ناسخة لها، يخفى الشريعة عليه محظوظة، ويحلو سنه فيها، إذ كان محمد -ﷺ- لبنة الحائط، فكل دليل علي مخالفته ساقط.

ثم أنت بعد حصولك في هذا المقام، وتحصيلك لما نطق به صريف الأكلاب، ترجع بيعوتك، وكما أنت وارث لا بد أن تكون موروثا، فملكك بالرفق في تكليف الخلق، فإن حطرة الملقى⁽²⁾ ضميعة عن حمل المهيب والوقوف عند الحنف قبل مولاك إذا ناجاك، وسل فتغلب من دمتك في كل شيء، ما لم يقل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ﴾ (آل: 129)، فإذا سمعت هذا الجزم، فلا تالدة في الإلتصاح في المسألة والعزم. وسأل العون، ما دعت مذهب الكون، فقال والله ما أتيتك المشقة، وقطع بي بُعد الشقة. وهذه وصيي فاعلمك ذلكك بها علي الطريق الأرق فالزم⁽³⁾.

(1) أي موسى عليه السلام.

(2) أي حطرة المخلوقات، خاصة الناس المكلفون.

(3) هذه الوصية الموسومة للسالك مناسبة لوصيه النبي -ﷺ- تخفيف هذه الصلوات من خمسين إلى خمسة، كما هو ثابت في قصة المعراج.

قال السالك:

والله يا سيدي لقد علمتُ أنَّ المعارف لديك قد استقرت، وجائلت الحقيقة إليك قد استبطزت⁽¹⁾. فقال لي: ومن لي بصدق هذا التقى؟ ولعلها دعوى بيرة من الحق. فقلت له: في نظمي، يتبين لك ما استقر في علمي. فقال: أتريد حتى أعرف أين أنت، وأجيزك إن أهرت عن دعواك ويست.

قال السالك:

فأنشده:

السِّر ما بين إسراري وإنكاري في المشتري لي ونعم في الفلج التاري
قوله: «السِّر ما بين إقرارِي وإنكاري»: أي البرزخ الذي بين الشينين هو موضع الأسرار، إذ له وجه إلى الإقرار ووجه إلى الإنكار. فلو كان في الإقرار لما أنكر، أو في الإنكار لما أقر، ولكن السِّر أن يكون في مرتبة لا يملكه أحد الطرفين بالكلية، بل يملك الطرفين. وقوله «في المشتري»: لأنَّ المشتري صاحب العلم، فذلك ذكره. قوله «الفلج الساري»: يريد الممرج، إذ فيه رؤية الآيات وتحصيل العلم.

يَسْمُ لا تقول وقد أودعت سَرهما أنا المعلم لسأرواح إسراري
قوله: «يَسْمُ لا تقول»: الخطاب لموسى - عليه السلام - صاحب هذا الممرج. وقوله «أودعت سَرهما»: أي سر الزوجين اللذين بينهما البرزخ.

أنا المُكَلَّم من النار عجبتُ به نورا فضاخبتُ ذات النور في النار
قوله: «أنا المُكَلَّم من النار»: هذا على لسان الحق لنا غاطب موسى - عليه السلام - في حاجته في النار، ولو كانت حاجته في غير النار لغاطبه فيها. وهنا يطأ التليس على الإنسان لملاقة يعرف بها خاطر الحق من خاطر نفسه.

أنا الذي أوجد الأكوان مظلمة ولو نشاء لكانت ذات أنوار
قوله: «أوجد الأكوان مظلمة»: أي حقيقتها العدم. قوله «ولو نشاء لكانت ذات أنوار»: إنما هذا لتبسط القدرة على المحالات، فتظهر سعتها عظمة إلهية، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ قُدْرَتُكُمْ لَأَبْتَدَعْتُكُمْ أَزْوَاجًا﴾ (نمل: ٥٠) «وما شاء ذلك أبدا، إنما العباد

(1) أي: مضت.

بذلك التوسّع، وهذا معهود حرف «لوا»، فاعلم.

أنا الذي أودع الأسرار في شبح مجموعة لم يتلها بؤس أغيار
أي تنزعت عن تأثير الأغيار فيها، فلم يكن للغير فيها أثر، ولهذا نطق العارفون
بالمعلم الخاص، إذ لا يقبله إلا صاحبه.

بما ضاربا بمصاة صلد⁽¹⁾ ولبية شمس ويدور وأرض فلت أحجار
أشار إلى ما يُعطى البدر من المذّ بواسطة نور الشمس.

فأعجب على شجر قافض على حجر وانظر إلى ضارب من خلف أستر
قوله: «ضارب من خلف أستر» يشير إلى مضاعفة الضغ من عيسى - عليه السلام -.

لقد ظهرت لما تخفى على أحد إلا على أحد لا يعرف الباري
قطعت شرقا وغربا كني أنالكم على نجائب⁽²⁾ في ليل وأسعار
ظلم أجد ولم أسمع لكم عبرا وكيف نسمع لأن خلف أسوار
أم كيف أدرك من لا شيء يشبهه لقد جهلك إذ تجاوزت عقدي
عجبت نفسك في إيجاد إنسية فأنت كالسرّ في روح ابنة القاري

قوله: «ابنة القاري»: أراد بها الخلق. و«عجبت نفسك»: أي تسترت بخلقك⁽³⁾.

أنت الوحيد الذي ضاق الزمان به أنت المنزّه عن كون وأقطار
قال السالك:

فالحمد لله الذي أتر عيني بما وعيك، وكشف لك عن الأسرار بما حجبك.



(1) أي الصلب اليابس.

(2) النجائب: هي الثوب جميع ناقة.

(3) أي لأنّ إيلات المخلوقات - أي قول المخلوق أنا لا وجود لها ولا قيام لها إلا بالله تعالى الموجود الحق.

الإشارة ما بدت الأسرار.

قال السالك:

قلت له: أريد الدخول إلى البيت المعمور، والمقام المشهور، قال: له شروط في الكتاب المصور، في الفرق المنشور⁽¹⁾. قلت: أوتفتي عليه، حتى أنظر إليه.

قال السالك:

فدعا بكريوان الغاية، عند أهل الولاية، ما عفا الولاية المحمدية. والمقامات الصليبية. وهذا كيوان صاحب عزاته، وقابض جباهه.

قوله: «فدعا كيوان الغاية»: أي «رحل» هو متهم المزارعي السجدة.

فأقبل سرعاً، ووقف بين يديه مقبلاً، وقال له: افتح خزائن النور، وجني بالكتاب المصور. قال: فأقبل به من حيث، وقال: أعطه له يمينه ففضضت ختامه، وتصفحت سطوره وأكلامه، فلما فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

لا إله إلا الله محمد رسول الله

هذا بيت الحق، ومقدم الصلوة، ومنهج الجمع والفرق، وسرّ الغرب والشرق، وهو حرام، على كل صاحب مقام، إلا على من دنا من الفرق الأعلى.

قوله: «هو حرام على كل صاحب مقام»: يشير إلى المقام المحمدي المطلق بقوله: ﴿يَكْفُرُ بِكُفْرِي لَا كُفْرًا لَكَ﴾ [الأحراب: 13]، فهو يسري في الأشياء ولا تسري فيه. قوله «إلا على من دنا»: يشير إلى المقام المحمدي⁽²⁾ الذي لا مقام له.

(1) قرن الشيخ البيت المعمور بالكتاب المصور وارق المنشور لآثارهم في بداية سورة الطور: ﴿يَكْفُرُ بِكُفْرِي لَا كُفْرًا لَكَ﴾ [الأحراب: 13]، ﴿يَكْفُرُ بِكُفْرِي لَا كُفْرًا لَكَ﴾ [الطور: 1/ 4].

(2) الفوارق المحمدي الكامل هو من أهل بزر، أي من الذين استوعبوا جميع المقامات وتخلصوا من الانحصار فيها، وهذا الاصطلاح مستط من تأويل إشاري - لا تفسري - ثلاثة: ﴿يَكْفُرُ بِكُفْرِي لَا كُفْرًا لَكَ﴾.

وقد ذكر الشيخ الأكبر في حقه أبواب من الفتوحات هذا المقام المحمدي، منها الباب 462 حيث يقول فيه ما خلاصته:

• «إِشْرَاقِيٌّ» الذي لا نعت بهيبة ولا مقام ولا حقل مُحيَّنة
شُرعي الجنان على الإطلاقي نشأة
سُنن قال إنَّ له تَشْتَعْلُ فليس له
فَجَلَسْنَا إِنْ عَلِمْنَا مُشِيرٌ بِو
وَجَهَلْنَا هُوَ فِي عِلْمِي مُرْشِدٌ

فالأكابر المحمديون هم الذين ورثوا محمداً -عليه السلام- فيما انحصر به من الشرائع والأحوال ممَّا لم يكن في رسول الله. وليس أمر في الانحصار من عدم التقليد بمقام يشترط به، فما يستمر المحمدي إلا بأنه لا مقام له يتعين، لمقامه: «أَنْ لا مقام».

ومعنى ذلك أنَّ الإنسان قد تغلب عليه حاله فلا يُعرَف إلا بما يُسب إليه، والمحمدي نسبة الطامحات إليه نسبة الأسماء إلى ذاته، فلا يتعين في مقام يُسب إليه، بل هو في كل نفس وفي كل زمان وفي كل حال بصورة ما يتنصبه ذلك النفس أو الزمان أو الحال، فلا يستمر هُيئته، لأن الأحكام الإلهية تختلف في كل زمان فيختلف باختلافها، لذته -عجل- ﴿وَالْقَوْمُ خَرُّوا عَلَيْهِ﴾، فتلك المحمدي.

فالغلب المحمدي أو المعرّف هو الذي يتغلب مع الآخر على علم كما يتغلب معها حالاً، كل واحد من خلق الله. فما زاد هذا الرجل إلا بالعلم بما يتغلب به وعليه، لأنَّ الغلب أمر يسري في العالم كله ولله، وتكرّر أكثر الشيء لا يتكوّن ذلك على التفصيل والتعيين، وإن علموه على الإجمال، استلزم لهم على قدر علمهم فيما يتكوّنون به وعليه انتهى.

وفي الباب (194) وهو في معرفة المكان بقوله ما خلاصته:

تَنَسَّقُ الْمَقَامُ شَرْ الْمَكَانُ وَشَيْءٌ لِلْخَبَرِيَّةِ بِسُورَةِ الْأَحْزَابِ

اعلم أنَّ عبور المقامات والأحوال هو بين عصاص المحمدين، ولا يكرّر إلا لأهل الألب، جلساء الحق على بساط الهيبة مع الأئمة العاقبة لأصحاب الاعتدال والقياس والكثرة غير أنَّ لهم سرعة الحركات في الباطن في كل نفس، ﴿وَلَا تَرَى إِلَيْهَا كَيْفَ تَصِفُ كَيْفَ تَصِفُ كَيْفَ تَصِفُ﴾، إن تجلّ لهم الحق في صورة محدودة أطرافها، فلو في إطارهم تغلب أحوالهم على غير الصورة التي تجلّ لهم فيها، فأورثهم الإطراف، فهم بين تقييد وإطلاق، لا مقام يحكمهم عليهم، لذته ما تمّ فهم أصحاب مكان في بساط نشأته وهم أصحاب مكانة في عدم القرو، فهم بين حيث مكانتهم متزعمون، وبين حيث مكانتهم لغيرهم، فهم بالذات في مكانتهم، وهم بالأسماء الإلهية في مكانتهم، فبين الأسماء لهم المقام المحمود والمكانة التي في اليوم المشهود والقرن والقرن والقرن وبين الذات لهم المكان المحمود والمعنى المقصود والذات على الشهود وحالة الوجود ووليّه =

فتلقى على المقام الأعلى، ﴿لَنُكَفِّرَنَّ تَوْبَتَهُ وَلَنُعَذِّبَنَّهُ﴾ [النجم: 9] مقام محمود للمحتسبي المجسى، ﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُ سَاءَ مَا أَقْرَبَ﴾ [النجم: 10] ففهم عنه به صريح المعنى، ﴿مَنَّا كَذَّبَ الذُّكُورُ مَا زَكَا﴾ [النجم: 11] من حقائق القرب في الإسراء، ﴿وَلَقَدْ وَدَّعْنَا زَيْلَهُ لَمُزْنًا﴾ [النجم: 13] وأدم بين الطين والماء مسوى، ﴿وَمَدَّ يَدَهُ لَكُمُتًا﴾ [النجم: 14] حيث تجتمع البلية والانتها، الأزل والوقت والأبد سواء، ﴿وَمَعَا جَنَّةُ لَدُنَّا﴾ [النجم: 15] مستقر الواصلين الأحباء لما شاهدوا اللغات أوزاهم بجنة الصفات عن الوري.

قوله: «أوزاهم بجنة الصفات»: أي سترهم بالصفات.

﴿يَذْهَبُ السَّيْلُ لَمُتًا مَاتَيْنِ﴾ [النجم: 16] من طرف الأسرار والفتنة في الشئ، لما زاح البصر -الغیر- وما طغى، وكيف يزيغ لعدم لا يرى.

قوله: ﴿مَنَّا كَذَّبَ الصُّرُورُ مَكَّنَّ﴾ [النجم: 17]: أي ما مال إلى الخير، وما ترك الميل تكبيرا على الغير، إنما شغل برته حال بينه وبين الغير، فلهذا قال: «وما طغى» أي ما طغى زيفه، إذ كان الزيف شغل برته، لا زيف تكبر.

فتوسط الكرسي، وأمد العلوي والسفلي، فظهرت القدمان بالهوية.

يشير بالتوسط والإمداد إلى صاحب المقام المحتسبي، إذ كل واحد في المقام الواحد إلا المحتسبي الجامع.

وأشرقت الأرض بنوره، فاستمسكت الملائكة بالقدم الواحدة، واستمسك العارلون بالقدمين الثانية والثالثة.

- في كل موجود في سكون وصور يشهدونه في السماء، بالعين التي يشهدونه بها في الأستواء، بالعين التي يشهدونه بها في السماء الدنيا، بالعين التي يشهدونه بها في الأرض، بالعين التي يشهدونه بها في العميقة، بالعين التي يشهدونه بها في ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾. وهذا كله بين نصوص المكائد. وأما شهوتهم من حيث المكائد فتختلف هيوتهم باختلاف النسب، فالعين التي يشهدونه بها في تلك ليست العين التي يشهدونه بها في أمر آخر، والشهود في حين واحد، والاشهاد من حين واحد، والنظرة تختلف باختلاف المنظور إليه، فلما تمّ يرى اختلاف النظر لاختلاف المنظور، ومما تمّ يرى اختلاف المنظور لاختلاف النظر، وكلّ له شرب معلوم.

يشير به «الغاية والمشاهدة» إلى الظاهر والباطن⁽¹⁾.

﴿لَا يَسْمُوتُ وَيُقَرَّبُ الْقُرْبُ وَيُتَمَلَّكُ﴾ (الأشباه: 27) من أهلى الاستواء إلى مركز الثقل⁽²⁾. قامت حق سرّ وجودهم عند مشاهدة موجدتهم فكسبتهم هيئة اللات، وقرئوا في بحور اللات، ولم يُبق لهم - سبحانه - بتجليه من رسوم الصفات، إلا عفى إشارات.

قوله: «عفى إشارات»: أي هذا القدر الذي يقبل ما يرد عليهم من العلم.

فأرواح الوارثين في المشاهدة سواء، وكما هم اليوم كذلك يكونون غدا، غير أنّ مشاهدتهم في دار التركيب لها اتصال وانصراف، وفي مقام دون مقام، ومشاهدتهم هناك على الدوام.

يشير إلى أنّ المزاج يعطيهم هامة الغفلة، وأنّما في تلك الدار فلا غفلة عندهم.

فالانقطاع في حق الأرواح، والحشر في حق الأشباح. حشر الأجسام من دار التكليف إلى دار الانفعال، وحشر الأرواح من مقام الجلال إلى مقام الجمال، حتى إلى ما لا يقال، وهناك لا يجوز الانتقال.

قوله: «هناك لا يصح الانتقال»: أي في المشاهدة الذاتية، لأنّه لا يزال ينتهي إلى أن ينتهي إلى الله تعالى الذي ليس وراءه مرمى، فهو تجلي ذاتي.

لمن حصل في هذا المقام فليس دخوله البيت عليه حرام، والسلام على من وقف على قوله تعالى: ﴿يَكْفُلُ رَبُّكَ لَكَ الْمَالَ﴾ (الأحزاب: 13).

قال السالك:

(1) أي للملازمة عوالم الطلقة والمكوت، والدارفون جسرود لمرقم الطلقة والكاتبة، والملك والمكوت.

(2) أي من أعلى العرش إلى مركز أسفل مرتبة في العالم.

قلنا له: ^(١٠) يا أبا الإسلام ^(١١) ومؤلف الجزنيات ^(١٢)، وبأعالم ملكوت الأرض
والسموات ^(١٣) جهلت أمرى، ووضع من قدرى، وأنا أنبئك على بغرب نظمى،
وعجب ثرى:

مُلِّحٌ كَاتِبٌ حَبَّ لَهِ فِي عَقْدِي وَعَطَّ سَطْرًا مِنَ الْأَشْوَاقِ فِي كَيْدِي
أَرَادَ بِالنَّصِيحَةِ فِي هَذَا النِّظْمِ أَنْ يَبَيِّنَ أَنَّ مَقَامَ الْحُبِّهِ السَّامِعَةِ لَهُ أَنَّهُ عَلَى قَلْبِ مُؤَرِّثِهِ
عَاطِمِ السَّيْنِ - رَحِمَهُ - وَحَيْبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَنَّ مَقَامَ الزَّوْجَانِ الْمَغْطَابَةِ لَهُ إِنَّمَا هُوَ مَقَامُ
السُّلْطَانِ.

فَأَمِّنَ مِنْ طَوْلِ شَوْقِي أَمْ مِنْ كَمَلِي	فَبِتْ لِنَشْتِئَالَا وَوَجَدَا فِي لِي مَحَبَّةَ
شَوْقِي إِلَيْكَ شَجِدَ لَا إِلَى أَحَدٍ	بِأَخِيَةِ التَّوَلُّوْا وَالْمَأْمُولُ يَا سَنِي
يَشَقُّ صَدْرِي لَمَّا عَاتَيْتُ جَلْمِي	يَسْنِي وَضَعْتُ عَلَى قَلْبِي مَخَالَةَ أَنْ
حَتَّى جَعَلْتَ الْبَدَ الْأَعْرَى تَعْدَ بَدِي	مَا زَالَ يَرْلَعُهَا طَوْرًا وَيَخْضَعُهَا
إِلَى الْحَبِيبِ الَّذِي يُفْنِي وَلَيْسَ بَدِي ^(١)	سَرَّ الْفُلُوكَ عَلَى التَّزَكُّبِ مَرْتَعَا
بِمِجْرَةٍ حَبْرَتَهَا زُفْرَةُ الْخَلْدِ ^(٢)	مَا زَالَتْ أَطْلُبُهُ وَجَدَا وَتَابَعَهُ
مَنْ كَانَ عَنِّي لَمْ يَنْظُرْ إِلَى أَحَدٍ	حَتَّى سَمِعْتَ نَدَاءَ الْحَقِّ مِنْ قَلْبِي

- [illegible]

فَمَنْ يَوْجِدُكَ أَوْ تُثِّبْ إِنَّ تَشَأْ طَرَفًا	فَلَنْ تَلِيكَ لَا يَلُوي عَلَى الْجَدِّ
فَلَقْتُ وَالشُّوقَ بِطَوْنِي وَيُشْرِنِي	وَجِئْتُ مِنْ شَقَةِ الْأَفْرَاحِ وَالْجَدِّ
لَمَّا شَاعَدْتُكَ يَا مَنْ لَا شَيْءَ لَهُ	لَا فَرْقَ عِنْدِي بَيْنَ الْفَنَى وَالْزُّجْدِ
فَالْفُضْ تَعْرِفُهُ عَلَمًا، وَتُجْصِرُهُ	عَيْنًا، وَتُشْهِدُهُ فِي الْوَلْتِ وَالْأَيْدِ
فَنَ عَيْنِ الْفَلَتِ لَمْ يَنْظُرْ إِلَى صَفَا	فَلَنْ لَهَا حِجَابَ الْغَيْبِ بِالْصَفَا ⁽¹⁾

قوله: «فمن عابن الفات لم ينظر إلى أحده»: أشار بذلك إلى وجود الغير، فإنه بالنظر إلى الغير في محل وجوده كان ذلك الغير كالغيب النازل عليه، فاحتاج إلى أن يقوم بقرآن فأشار إلى أن المحتجب في مقام الفات، والإبراهيمي في مقام رؤية الأفيار، فلهذا كان أول من سنّ القُرَى.

قال السالك:

فقال لي: أنا المراد بهذا الحجاب، وإلى الأحياب فتحت الأبواب. فقلت له: أين العلة من المحبة، وأين الصحة من القرينة، كم بين من يقول: ﴿وَمِنْكُمْ أَكْثَرُ يُكْفَرُونَ﴾ (ط: 184)، وبين من يقول له: ﴿وَلَسَوْكَ يَطْلُبُكَ رَجُلٌ كَفَرْتَنِي﴾ (ط: 185)، كم بين من يقول: ﴿وَيَكْفُرُ لِي سَدِّي﴾ (ط: 125) وبين من يقول له: ﴿وَأَرْكَحَ قَدْ سَدَّدَ﴾ (ط: 126) [شرح: 1].

قال السالك:

لم قلت: ما تلك بنهاية هذه بدليتها، وأسرار هذه علاقتها، وأين أنت من قولني بشاهد فعلي:

إلهي وسولاي تسامح سرُّكم	بسرِّي ما شؤلي فعنك أترجمُ
بكم أبصر الأشياء عيا وشاعدا	بكم أسمع النجوى، بكم أتكلمُ
أو أين مقام الأذكار، من فناء الأفكار، وعدم الأسرار، وطموس الأثوار:	

بذكر الله تُفْتَقَرُ الخُشُوبُ	وتبتهج البصائر والقلوبُ
وتترك الذكر أفضل منه حالا	فلَنْ الشمس ليس لها غروبُ

وأعلم - وهكذا - أنه إن الفكر أفضل من تركه، فإن تركه إما يكون عن شهود والشهود لا يصح أن
يكون مطلقاً، والفكر لا الإطلاق، ولكن الفكر الذي ذكرته، لا الفكر بالسيح والتهليل وغيره من
الفكر الميتة. فلو كان ترك الفكر لا عن شهود، كما نطرحه، كان سبب تركه متاقتضياً للإطلاق
تستكمل فيه بالسيح، والأحوال ميتة بلا شك، وإن كان الإطلاق تقيداً لأنه قد تيسر عن الميتة
وسرى في الإثباتات كيف ما كنت. ونفس ما تيسر فقد تقيد بما تيسر به للإطلاق تقيداً. وأعلم
بما يقال: إنه لا مجهول لا يُعرف، فما عرج بهذا الوصف عن التقيد لأنه قد تيسر عن المعلوم.
فقط كل حال من حالات لا لا ميتة. وما أمث ما لا تم إلا ميتة. فاعلم هو ما لا تيسر وهو ميتة عن
الوجود والوجود متين. المعلوم، كما علمنا لا مجهول إلا وهو متين. لا ميتة الميتة.

أين أنت من مقام وصلت إليه، ونزلت عليه:

يا نوح أي قد وصلت إليه قل له قول حبيب مود⁽⁸⁹⁾

لولا عرشه لم يصح استوا وينودي صبح خرب القتل⁽⁹⁰⁾

قال السالك:

فلما حين هذا المزمع، قال: لا يسوي البصير والأعمى. ثم قال: يا بني لذكر أبائك

عند مناجاتك مولاك يا بني أين منك الخليل، وأنت بالمقام الجليل، شتان بين من نظر

في النجوم فقال: ﴿إِنِّي سَمِعْتُ﴾ (الصلوات: 89)، وبين من قبل عه: ﴿مَا كُنْتُ أَكُونُ مَا

رَأَيْتُ﴾ (النجم: 11) أنا أقول: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي غَلِيظِي يَوْمَ الدِّينِ﴾⁽⁹¹⁾، وأنت بقال لك:

﴿لَا تَبْتَغِ الْفَلَاحَ تَقْدَمُ مِنْ أَيْدِكَ وَمَا تَلْكَ﴾ (الفتح: 42) أنا أقول: ﴿وَأَسْأَلُكَ إِسْلَامَ مَنْوَلِي

الْأَيَّامِ﴾ (الشعر: 84) وأنت بقال لك: ﴿وَمَا تَكْفُرُكَ﴾ (الشرح: 14).

قال السالك:

ثم بكى، وقال: شغلنا ملاحظة الأفعال، عن مباشرة هذه الأسرار، هيئات وأين الكرم

من الإثارة: الكرم سيحك والإثارة هيحك، الكرم مع الرياسة، والإثارة مع الخصاصة⁽⁹²⁾، يا

وما بقي إلا تقيّد متفاضل، أعلاه: تقيّد في إطلاق، وهو: ذكر الله، والجهل به، والحرية له:

ونسرك الحكر أنزلى بالشهود الحكر الله أنزلى بالوجود

فكن إن شئت في جود الشهود وكمن إن شئت في فضل الوجود

(1) مدح: وإث بالحمية.

(2) يشير إلى الآية 35 من سورة النور: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ نُورٌ وَالْأُنُورُ مَثَلُ نُورِهِ كَمِثْلِ نَارٍ تَلْقَى فِي مِصْبَاحٍ

الْمِصْبَاحُ فِي كَنْزٍ لَيْلًا نَارُهَا كَالْقَمَرِ كَوْنًا نَهْدًا بَيْنَ كَوْنٍ كَيْفَ تَصِفُوهُ قَدْ رُفِعَ لَا تَرَى فِيهَا شَيْئًا مِثْلَ نَارٍ

يُورِيهَا نَارُ الْقَمَرِ تَسْتَضِيءُ لَوْ أَنَّ نَارَ كُلِّ شَيْءٍ جَعَلَ نُورُهُ مِثْلَ نُورِهِ مِثْلَ نُورِهِ مِثْلَ نُورِهِ مِثْلَ نُورِهِ مِثْلَ نُورِهِ مِثْلَ نُورِهِ

كَيْفَ؟

(3) أي قول: ﴿وَأَلْهَمَ الْفَتْحَ لِي تَبَوَّرَ لِي غَلِيظِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ (الشعر: 82).

(4) الخصاصة: الفقر، بقول تعالى عن المستعنين: ﴿وَمَا كُنْتُمْ عَلَىٰ حَتْمٍ وَلَا كُنْتُمْ عَلَىٰ حَتْمٍ﴾ (الشرح: 9).

بني يسر ما إليه ناداك، محبتك ومولاك، والمعهد بيتنا التعريف بما به نأجلك⁽¹⁾.

قال السالك:

فرج البراق، وخرج من السبع الطباق، وألقى الرسول⁽²⁾ حصي الشبار، بسفرة
الأشوار.



(1) يظهر هنا مرة أخرى استعمال مقام الخلة الإبراهيمية من مرتبة المحيوية الأحمدية.

(2) أي رسول التوفيق وفق السالك في هذا المعراج.

سفرة المنتهى

قال السالك: قللت له ما هذا النور واليهاء؟ قال: سفرة المنتهى.

إنما سُمِّيت «سفرة المنتهى» لأن إليها ينتهي ما يتزل، ثم يلبس صورة يقتضيها حكم السموات، وإليها ينتهي ما يطلع من الأرض، ثم يُحسب⁽¹⁾.

(1) تكلم الشيخ عن السفرة وأنها ما في حدة أبواب من القترحات تذكر منها: الأبواب: (38) / 167 / 198 - (367) / 371 فتختصر ما ذكره في هذه الأبواب فيما يلي:

- يرى السالك الخارج بروحه في أعلى السموات سفرة المنتهى، وعندنا صور أعمال السعفاء، ويرى عمله من جملة أعمالهم وبما من هناك أربعة أقطار منها نهر كبير عظيم وجداول صغار تنبعث من ذلك النهر الكبير، وذلك النهر الكبير تنجر منه الأنهار الكبرى الثلاثة: فالنهر الأصغر هو القرآن، والثلاثة الكبرى النور والزيور والإنبيل، والجداول: الصحف المنزلة على الأنبياء. فمن شرب من أي نهر أو أي جدول فهو لمن شرب منه وفوت. ونظر السالك إلى حسن النور الذي غشي تلك السفرة فرأى تد خشافها منه ذلك الذي غشي فلا يستطيع أحد أن يفتحها للنشأ النوري الذي لا تنركه الأصفر، فهي شجرة الطهور، فيها ثمرة الحق، ومن هنا شرع السدر والماء في غسل الميت ليناله طهورهما للقاء الله وإليها تنتهي أعمال بني آدم السعادية وفيها مغزاتها إلى يوم الدين، وهناك أول أقدام السعفاء، والاسم «القرن» هو الذي أعطى السفرة نيلها وعصرتها، ونورها منه ومن الاسم: الله، وأعطى الاسم «الرحمن» من نكته - ينتج الله - غزها أي والحقها، ومن الاسم «الله» أصولها، وزُومها لأهل جهنم. ولد جعلها الله بنور الهوة فلا تصل عين إلى مشاهدتها، والنور الذي كساها نور أعمال العباد ونيلها على عدد نسم السعفاء، لا بل على عدد أعمال السعفاء، لا بل هي أمهات أعمال السعفاء. وما في حدة الأعمال قصر ولا طاق إلا وخصن من إحصان هذه السفرة مثل فعله، وفي ذلك النقص من التيق على قدر ما في العمل من الحر كنه، وما من ورقة في ذلك النقص إلا وفيها من الحسن بقدر ما حطر هذا العبد مع الله في ذلك العمل، ولورق النقص بعدد الأنفاس في ذلك العمل. وشوك هذه السفرة كله لأهل الشقاء، وأصولها ذهب، والشجرة واحدة ولكن تنطلي أصولها القيقص مما تنطلي فروعها من كل نوح، لكل ما وضعناه الفروع توصف بتقيد الأصول. وإنما أكل أهل السعادات من هذه الشجرة زلال الفل من صدورهم. ومكتوب على زيتها: مَشْرِح قَدُوس رَبِّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ. وللحق فيها تجل خاص عظيم يَحْدُ الثائر ويحتر الخاطر. وإلى جانبها منصة مقعد جبريل - عَلَيْهِ السَّلَام - وفيها-

ثم تلا الرسول الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ﴾ [المعاني: 164]، فسكتا عن تبير ما رأينا كما سكت، حتى يُشاهدن بُرُود كما شهدت، سكوت حُضُر وعجز، لا يلقى معه على إشارة ورمز.

قوله: «فسكتا كما سكت»: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ﴾ [النجم: 16]، فلم ينته سبحانه، وكذلك قال - تَعَالَى -: ﴿فَشِيعَا مِنْ نَوْرِ اللَّهِ مَا فَشِيعَا فَلَمْ يَسْطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَمْتَنِعَا﴾، فلذلك قال: «فلسكتا كما سكت». والحال في نفسه كذلك يعني، يريد أنَّ الحال في نفسه كذلك يعني، فإنها تشهد لك، ولا تجد في العالم ما يشهد بها للغير.

من الأيات ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. وقد وصفها النبي - ﷺ - بأنَّ فيها كائنات، وورثها كائنات قبلية، وأنها مقر الأرواح، فهي نهاية لما ينزل منا هو فروقها، ونهاية لما يخرج إليها منا دونها كأصنام بني آدم. وروى يخرج من أصلها أربعة أنهار، نهران ظاهريان ونهران باطنيان: فالظاهران النيل والفرات ويرجمان يوم القيامة إلى الجنة وصدا نهر العسل واللين، والباطنان نهران يمشيان للجنة. والمظهر الأعلى لهذه السدرة في الجنة هو شجرة طوى التي تولى الحز تعالى فروعها يده في جنة عدن، ولتأ سراً تنفخ فيها من روحه وزينها بثمر الحلي والحل، فمن أرضها فإنَّ الله جعل ما على الأرض زينة لها، وأعطت في ثمر الجنة كله من حليتها عين ما هي عليه كما أعطت التربة النخلة وما تحمله مع الثرى الذي في ثمرها. وتقسّم الحق تعالى الجنات على ثلاثة أقسام للثلاثة الوجوه التي لكل برج: جنات الانحصار وهي الأولى، وجنة البساتين، وجنة الأصنام. ثم جعل في كل قسم أربعة أنهار مفروقة في ثلاثة يكون منها اثنا عشر نهرًا، ومنها ظهر في حجر موسى اثنا عشرة عينًا لاثني عشر سبط. النهر الواحد نهر الماء الذي هو خير أسن أي خير منقو وهو علم الحيلة، ونهر الخضر وهو علم الأحرف، ونهر العسل الذي فيه شفاء للناس، وهو علم الوحي على شروبه، ولهذا تصف الملائكة عندما تسمع الوحي كما يسكر شارب الخمر، ونهر اللين وهو علم الأسرار الذي تنتج القِيَامَات والثغرى فهذه علوم القريب الأربعة. والإنسان مثلث النشأة: نشأة باطنية معنوية وروحانية، ونشأة ظاهرة حسية طبيعية، ونشأة متوسطة بزرعية مثالية، ولكل نشأة من هذه الأنهار نصيب، كل نصيب نهر لها مستقل يختلف معطيه باختلاف النشأة، فيدرك منه بالحي ما لا يدركه بالخيال، ويدرك منه بالخيال ما لا يدركه بالمعنى، وهكذا كل نشأة للإنسان اثنا عشر نهرًا: في كل واحدة من الجنات الثلاثة أربعة أنهار. وتكاليف الأحكام الشرعية تنقسم من السدرة، فإنَّ قطع أربع مراتب والسدرة هي المرتبة الخامسة. فنزل من قلم إلى لوح إلى عرش إلى كرسي إلى سدرة. فظهر الواجب من القلب، والمندوب من الفرج، والمحظور من العرش، والمكروه من الكرسي، والمباح من السدرة، والمباح قسم النفس وإليها تنهي نفوس عالم السفاهة، وأحوالها وهي الفزوق تنهي نفوس أهل الشقاء.

فإنه إذا كان معلى النصيحة والحيكم، وقد أوتي جوامع الكلم، وما زاد على أن قال (ع): [فشيها من نور الله ما غشى، ووقف هنا وما مشى. ثم قال: (فلا يستطيع أحد أن يمتعها)، وإذا كان هذا فكيف يصف أحد حقيقتها؟ فبعبارة أن يوقف عندما وقف (ع)، وينظر في الترتي منها على الرلوف.

قوله: «الرلوف»: أي يفارق براق الهمة، ويركب مركبا آخر لزوح من الأول، حيث الملا الأشراف.

فلما ابتداء من الأهل: تن لك بالرفارف السلا، وبينك وبينها الكرسي الكريم، الذي يفسر في كل أمر حكيم، هو حضرة الأدب، لأهل الهمم والطلب، إليه ينزل الواصلون وعنده ينتهي المحجرون⁽¹⁾، فالزم ما يقال لك فيه، وقف عند وصية ساكنيه.



(1) المظهر الخارجي المحسوس للكرسي هو الفلك المكوّن المشتمل على كلّ الكواكب والنجوم والأجرام الفلكية، وإلى ينتهي الرصد عند علماء الفلك المحجورين عن المواطن الملكية للمظاهر الحسنة.

حضرة الكرسي

بسم الله الرحمن الرحيم

قال السالك:

فأنشأ لي جناح العزم⁽¹⁾، وطوّرت به لي جَوْ قنهم، حتى وصلت حضرة الكرسي⁽²⁾،
والموقف القدسي، سألت عن مسجد الزبي⁽³⁾، فقل لي: بالميزة الأكسى. فراءتُ
شيخاً ضخم النسيجة⁽⁴⁾، فقل لي هذا قطب الشريعة: قد أحاطت به أخلاط الزمر، إحاطة
الهالة بالعرس.

قوله: «قطب الشريعة»: يريد حقيقة من حقائق النبي -ﷺ-. وقوله «أحاطت به
أخلاط الزمر»: أي الروحانيين الذين في الكرسي.

فسلمت تسليم عجول، لا تسليم وجيل. فقال الشيخ -رحمته الله-: مرحبا بالقاصد
اقتصاص الجواهر والنفوس. ثم قال لي: أين تريد؟ فهممت أن أقول: أريد أن لا أريد. فلما
لم يكن مقامي، لم يَسْأَلْه كلامي. فجلبني إليه وفكرته بين يديه⁽⁵⁾، فقلت له: أريد مدينة

(1) أي رسول التوفيق المرافق للسلوك، لكن يلاحظ هنا أن المعراج لم يحد يتم بواسطة البراق الذي
انتهى عند السحرة، ومنها أصبح عروجه على جناح العزم. وذلك لأن البراق مظهر برزخي لأعمال
السعداء التي تستقرها السحرة.

(2) الأمر الواحد التنزل من العرش ينقسم عند الكرسي محلّ القدمين: فتم الصعود لأهل الجبرين، وقدم
الجهاد لأهل الشفاعة فهو محلّ التنكبات الفروانية، حول الكرسي يُنظر في الفتوحات الفصل 18
من الباب 198، والفصل الثاني من الباب 371.

(3) اعتذر الشيخ كلمة «الزبي» لأن الكرسي محلّ تنزل الشرائع بين أمر ونهي، والعمل بالشريعة هو
ما الرضى به كل نبي أمته.

(4) لكلمة «النسيجة» عدة معان، منها: العنبة الجزيلة، والفردة، والطبيعة، والمخلّق.

(5) يشير هنا إلى صولة وصحة الشريعة لأنها سبب سعادة الآمة.

الرسول⁽¹⁾، صاحب الجُمل والفصول. قال: وما تريد بمدينة أُنْزَها قد دُرس، ونوَّرها قد طُوس. قلت: ليست للترية أشير، ولكن لبرها المنير، وعصر مائها النشير⁽²⁾. فقال: «ألم سمع قوله - عَزَّ وَكَلَّمَ -: (وعليّ بابها، وأنا أيها الطالب بوابها)⁽³⁾، فمن أريد المدينة للهدى الباب، ووصلق للبراب، خُذْ أشباح النَّسَمِ⁽⁴⁾، تُهْدِي إِيكَ طَرِافَ الْجَحَمِ. خُذْ الأشباح بالنيار، تُفْلِي لَكَ الأرواح بالأسرار.

قوله: «خُذْ أشباح النَّسَمِ»: أي تخلّق بالكرم، والكرم هاجتا عبارة عن أن تعمل بما تعلم، فتعلم ما لم تعلم، وتفتح لك فيما لا تعلم، وهو قوله «تَهْدِي إِيكَ طَرِافَ الْجَحَمِ». فانظر أبدا الغناء الذي تعطاه، هو من جنس ما تعطيه. قوله «بالنيار»: أي علوم المجاهدات والزياحات.

قلت: يا سيدي هل يُعرَف لذلك الباب مفتاح؟ قال: إي والمعلم القنّاع⁽⁵⁾:

وَلَيْسَتْ الْبَيْتُ مَقْضُولَا لَسَرَّ السَّرِّ قَدْ مَلَكَا
أَلَيْسَتْ لَكَ يَفْتَحُهُ فَسَقَالَ: بِمَنْ؟ قُلْتَ: بِكَ

قلت: ناولنيه، قال: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)⁽⁶⁾.

يشير إلى أَنَّ هَذَا الْخَلْقَ الَّذِي نَبَّهَ عَلَيْهِ هَذَا الْخَبِيرُ النَّبِيُّ، هُوَ مِثْلُهُ وَمِثْلُهُ. سَمِعْتَ

(1) أي ورثة محمّدية.

(2) النشير: الزاقي الطاهر.

(3) من نعمت الإمام علي بن أبي طالب - عَزَّ وَكَلَّمَ - الرُوحَ الَّذِي سَنَّهُ الشَّيْخُ بَطْطُ الشَّرِيعَةِ. وَمِنَ الشَّرِيعَةِ حَبَّ آلِ الْبَيْتِ النَّبَوِيِّ وَتَوَفِّيَهُمْ. وَقَوْلُهُ: «وَعَلِيٌّ بَابُهَا» يُشِيرُ إِلَى الْحَدِيثِ: «أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا» لِأَوْدَادِ الْحَاكِمِ فِي الْمَعْرُوفِ وَالطَّرِيقِ فِي الْكَبِيرِ، وَأَبُو الشَّيْخِ فِي السَّكَنِ وَغَيْرِهِمْ كُلِّهِمْ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا. وَقَالَ عَنْ الْحَاكِمِ: صَحَّحَ الْإِسْلَامَ لَكِنْ ذَكَرَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي الْمَوْصُوعَاتِ، وَوَقَّعَهُ الْحَمِي وَأَخْرَجَهُ وَحَسَنَ الْعَلَاءِيُّ وَابْنُ حَجَرٍ.

(4) النَّسَمُ: الأرواح.

(5) يعني: نَسَمٌ وَاهٍ.

(6) أخرجه الترمذي وابن ماجه وابن حبان.

إمامتنا وتقديسنا العالم الراسخ يقول في أثناء شرحه وعطابه لي في هذا الخبر النبوي: «ولو أنَّ الناس يُحكِّمون هذا المخلوق، رأوا ما يراه الأنبياء والملائكة -على جميعهم السلام- إنما عوْضهم في الحديث، وزنايتهم فيما لا يمتنعهم، هو الذي يحجبهم، وإلا فالأبواب مفتحة، والأشياء متجلية»⁽¹⁾.

قلت له: قد عرفت حقيقتك مكاتبة، فزد في نعمته وبيانه. قال: له أربعة أسنان، أفتنبا

الحكيم الرحمن.

يريد بالأربعة أسنان: العلم، والإرادة، والقلوب، والقدرة⁽²⁾.

فيها أربع حركات، تحوي على جميع البركات.

قوله: «أربع حركات»: أي الجوع، والسهر، والصمت، والعزلة. فالأربع الأولى روحانية، وهذه الأربعة الأخرى جسمانية⁽³⁾.

فلما فعلت ما ذكرته لك وأحكمته، فزت بالمفتاح وملكته. ومن ملك المفتاح

(1) مصداقاً لهذا القول الحديث النبوي: «لو تكبروا على كل حال على الحال التي أنتم عليها عتدي لصالححكم الملائكة بأكتفهم ولزقتكم في بيوتكم» (أخرجه الترمذي وأحمد. وأيضاً الحديث: «ولو لا تزيد في حديثكم وتبرج في ظنركم لأرأيت ما أرى ولسمعت ما أسمع» ويقول بعض أهل الحديث: إن في سنة هذا الحديث ضبط، لكن الشيخ استشهد به في الفتوحات وقال إنه صحيح كشافاً، ومن ذلك قوله في الباب 12: «كان له -ﷺ- الكشف الأتوب فيرى ما لا يرى. ولقد نبه -عليه الصلاة والسلام- على أمر عمل عليه أهل الله فرجوه، صحيحاً قوله: «ولو لا تزيد في حديثكم وتبرج في ظنركم لأرأيت ما أرى ولسمعت ما أسمع». فخص برتبة الكمال في جميع أمورهم ومنها الكمال في العبودية، فكان عبداً صريحاً لم يلزم بملكه وتكبره على أحد، وهي التي أوجبته له السيادة وهي الغلب على شئ له على القوام. وقد قالت عائشة: «كان رسول الله -ﷺ- يذكر الله على كل أحيائه. ولنا من ميراثه وفرو، وهو أمر يخص يماثل الإنسان».

(2) أي الأسماء الأسماء التي يستند إليها العالم. ويمكن أن يقال أيضاً: إن الأسنان الأربعة هنا عبارة عن الحروف الأربعة للأسماء المفردة الأعظم «الله»، إذ يذكره يفتح باب حجرة المستى.

(3) خصص الشيخ لمعرفة هذه الأربعة التي بها يصبح الأبدان أبدالاً رسالة: فعلية الأبدان وما يظهر منها من المعارف والأحوال، وهي موجودة ضمن مجموع رسائله. وفي الفتوحات خصص للجوع وتركه الباب 106/ 107 وللسهر الباب 98، وللصمت الباب 96، وللعزلة وتركها البابان 81 / 80.

فتح الباب، ومن فتح حصل على كنز الشَّراب، فرأى الشيخ وتلميذه آتين من الفتح والأرتاب. مبطلين في حضرة الوهاب.

قوله: «الشيخ وتلميذه»: يريد الصادق والصديق. فالصادق الشيخ، والصديق التلميذ.

قلت: قد فهمت ما أردت

قوله: «فهمت ما أردت»: من كونك عيت عن نفسك بالشيخ وعني بالتلميذ. وحدث على السر الذي إليه أشرت. ولكن زدتني زادك الله من إحسانه، وأصبح عليك رداء امتنانه. قال: ادع الله أن يمّني بإلهامه، ويؤتيني بعلمه القديم وكلامه. اسمع أيها السالك، حسن الله أفعالك، ولا جعلها أسمى لك. وسدّ أوالك، فإيها عند المناجاة أتوي لك. حمد الله أؤلى ما فخر به ناه ناطق، وصلاته على رسوله فالحق اختراق هذه الطرائق، إلى مناجاة الحكم الملمم الرزق. لَا تَسْتَدْرِي أَتَمَسَّكَ لِمَا كُنَّا يَهْتَدُونَ وَلَا أَنْ هَدَاكَ اللَّهُ فَتَجِدَ رَسُولًا يَكْفِيكَ الْأَمْرَ: 43. فاستمع ولا تنطق:

أيض الزكّاب إلى ربّ السماوات وأقيد عن القلب أطوار الكرامات

قوله: «أنفس الزكّاب»: أي عمل السر والسلوك. وقوله «ربّ السماوات»: إشارة إلى العالم العلوي. وقوله: «وابد عن القلب أطوار الكرامات»: أي ابتد عرق الموالف لا تفرق بينها وبين الموالف⁽¹⁾.

وامكث بشاطي وادي القدس مرتقيا واعلم نمالك تحظى بالمناجات

قوله: «وادي القدس»: أي الزم عبيدتك بالتواضع الذي يوجب العلم، إذ كان الوادي مسيل المياه، وهو الموضع المنخفض من الأرض، تشبّه به. و«القدس»: محلّ الطهارة. قوله: «اعلم نمالك»: أي اتصف بالحياة القلبية لما يرد عليك من الشغاب.

وخب عن الكون بالأسماء مصفا حتى تقيب عن الأوصاف باللمات

أي: خب عن الآثار بشهود المؤثر، لا من كونه مؤثرا، فإنك إن انتقلت إلى اللغات من

(1) حول الكرامات وتزكها وغرق الملمات تنظر في الفتوحات على قتلي الأرباب 184 / 185

فتح الباب، ومن فتح حصل على كنز الشَّراب، فرأى الشيخ وتلميذه آتين من الفتح والأرتاب. مبوطلين في حجرة الوهاب.

قوله: «الشيخ وتلميذه»: يريد الصادق والصديق. فالصادق الشيخ، والصديق التلميذ.

قلت: قد فهمت ما أردت

قوله: «فهمت ما أردت»: من كونك عيت عن نفسك بالشيخ وعني بالتلميذ. وحدث على السر الذي إليه أشرت. ولكن زندي، زادك الله من إحسانه، وأصبح عليك رداء امتنانه. قال: ادع الله أن يمّني بإلهامه، ويؤتيني بعلمه القديم وكلامه. اسمع أيها السالك، حسن الله أنعمالك، ولا جعلها أسمى لك. وسدّ أوالك، فإيها عند المناجاة أتوى لك. حمد الله أؤلى ما فخر به ناه ناطق، وصلاته على رسوله فالحق اختراق هذه الطرائق، إلى مناجاة الحكم الملمم الرزق. لَا تَسْتَدْرِكُ الْقُلُوبَ مَدَنًا وَكَلَامًا يَهْتَوِي قَوْلًا لَنْ مَدَنًا لَكَ فَتَجِدَ رَسُلَ دِيكَ بِكَلَمٍ ﴿الامرأ: 43﴾. فاستمع ولا تنطق:

أيض الزكّاب إلى ربّ السماوات واقبذ عن القلب أطوار الكرامات

قوله: «أنفس الزكّاب»: أي عمل السر والسلوك. وقوله «ربّ السماوات»: إشارة إلى العالم العلوي. وقوله: «واقبذ عن القلب أطوار الكرامات»: أي ابتذ عرق الموالف، لا تفرق بينها وبين الموالف⁽¹⁾.

واصكف بشاطي وادي القدس مرتباً واخلع نمالك تحطى بالمناجات

قوله: «وادي القدس»: أي الزم عيدينك بالتواضع الذي يوجب العلم، إذ كان الوادي سبيل المياه، وهو الموضع المنخفض من الأرض، تشبّه به. و«القدس»: محلّ الطهارة. قوله: «اخلع نمالك»: أي اتصف بالحياة القلبية لما يرد عليك من الشغاب.

وخب عن الكون بالأسماء مصفاً حتى تقيب عن الأوصاف باللمات

أي: خب عن الآثار بشهود المؤثّر، لا من كونه مؤثراً، فإنك إن انتقلت إلى اللغات من

(1) حول الكرامات وتزكها وغرق الملمات تنظر في الفتوحات على قتالي الأرباب 184 / 185

غير أن تربطها بالمضايقة، أعطتك من علم التنزيه ما لا تعطيك إذا أشهدتها متضايقة⁽¹⁾. فتحقق ترشد.

وَلَسْتُ بِجَانِبِ فَرْدٍ لَا شَرِيكَ لَهُ	وَلَا تُعْرَجُ عَنْ أَهْلِ الْبَطَالَاتِ
بَلْ صُمِّ وَصَلٌ وَفَكْرٌ وَاتْفَازٌ أَبَدًا	تَنْلُ مَعَالِمَ مِنْ عِلْمِ الْخَفِيَّاتِ
فَقَدْ قَضَى اللَّهُ بِالْمِيرَاثِ سَيِّدَنَا	لِكُلِّ عَبْدٍ صَدُوقٌ ذِي تَقِيَّاتِ

ألقِ أيها الطالب بالك، أصلح الله بالك⁽²⁾. حافظ على العلوم اللدنية، والأسرار الإلهية، ولِئَاكَ وإفشاء سر الزبوية.

قوله في هذه الوصية السنية، الممنون بها من الحضرة العلية، والخلة الإبراهيمية «حافظ على العلوم الإلهية والأسرار»: أي لا تعجل بإظهارها إلا في موطنها عن بيئة من الحق. ويريد أيضا بالمحافظة أي على تحصيلها بالأسباب المقرّبة منها.

أَجْلِلِ الْقُلُوبَ، وَجَاهِدِ النُّفُوسَ، وَفَرِّقْ بَيْنَ الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ وَالْمَحْسُوسِ.

قوله: «أَجْلِلِ الْقُلُوبَ»: أي اشتغل بالذكر والتلاوة على طريق العبادة، لا على جهة فهم المعاني والتدبر. «وجاهد النفوس»: أي بالرياضة. قوله «وفرّق بين العلم الإلهي والمحسوس»: يريد بالعلم المحسوس العقل الأول، والعلم الإلهي هو كتابة الحق في قلبك بقوله تعالى: ﴿حَكَّابٌ فِي قُلُوبِهِمْ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ يَشَاءُ﴾ [المجادلة: 22].

اجمع بين الظاهر والباطن، يتضح لك سرّ الرّاحل والقاطن.

يريد به «الرّاحل»: السالك، ويريد به «القاطن»: الواصل. فمن الناس من يسري إلى جناب الحق فيسئى راحلا، ومن الناس من يتزل الحق إلى قلبه فيسئى قاطنا. فالأول ظاهر وهو الذي رحل، والثاني باطن وهو القاطن الذي نزل إليه. قال راوي هذا الشرح: خوطبت ليلة من الليالي فقبل لي: (أما أنت فقد أسري إليك، واسترحت من أن تسري)، وكنت بمنزلة إمامي وقودتي الشارح لهذه الأسرار، والمفيض لهذه الأنوار، فذكرت له

(1) الذات الغنية عن العالمين لها التنزيه المطلق، وارتباطها بالمضايقة عبارة عن تجليها في مرتبة الألوهية المستزمنة لظهور المألوه، وظهور نعوت التشبه مع التنزيه.

(2) «بالك» الأول: قلبك وخاطرك، «وبالك» الثاني: شأنك.

ذلك، فقال لي: (وَأَنْتَ شَيْءٌ بَقِيََتْ تَرْوِمُهُ بَعْدَ هَذَا؟ فَاسْتَجِدَّ اللَّهَ وَاشْكُرْهُ عَلَى لِقَائِهِ بِكَ وَعَلَيْتِهِ).

قف مع الظاهر في كل الأحوال: ﴿وَلَا تَقْنُفْ مَا كُنْتَ تَقْدِيرُ﴾ من ظاهر الأقوال.
قوله: «قف مع الظاهر»: أي مع الحق من حيث تجليه في كل شيء، وهو معرفتك بالوجه الذي للحق في كل شيء. قوله «ولا تقنف ما ليس لك به علم من ظاهر الأقوال»: أي لا تقنُفْ، بل اتبع ما حصل من علمه، ولا تمشي إلا على بصيرة، وحيثما: تَلَقَّى الْكَلِمَاتِ، وَالْيَقِظْ بِالْأَبْنَاءِ الْآثِمَاتِ.

قوله: «تَلَقَّى الْكَلِمَاتِ»: أي التي تعصمك، كما تلقاها آدم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فتلقيها أنت أَوْ لَا تَتَعَصَّمْ، وقل: «رَبِّ اغْفِرْ لِي» قبل وقوع الذنب. فإذا جاء الذنب وجد التوبة تحمومها فإذا زَامَ التَّلَافُ بِكَتَمِهِ الْمَغْفُورَةِ، وهو قوله: (عبيدي اعمل ما شئت فقد غفرت لك) الحديث⁽¹⁾. فالمغفورة لصاحب هذا المقام العزيز لا تزال واقفة على صحيفته، ولا تترك شيئاً من ذنوبه يحل فيها. قوله «وَالْيَقِظْ بِالْأَبْنَاءِ الْآثِمَاتِ»: أي عِشِّ الشَّقَقَةَ، فاجعلها لمن فوقك ولمن دونك، إذ جرت العادة أَنَّ الْعَبْدَ يَشْفُقُ عَلَى مَنْ دُونَهُ لَشَوْفِهِ عَلَيْهِ، وَيَتْرَكُ مَنْ فَوْقَهُ لِعِلْمِهِ فَكَانَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ: لَا تَمَكَّنْ نَفْسَكَ مِنْ هَذَا الْخَلْقِ، بَلْ تَخْلُقْ مَعَ مَنْ فَوْقَكَ وَمَنْ دُونَكَ لَتَتَهَذَّبَ.

صل على ذي العلوم اللدنية، والأسرار القدسية، وعلى الكليم وابن تون، وانظر
إِلَى كِتَابِ الصَّوْتِ عِنْدَهُ يَتَذَكَّرُ لَكَ السِّرَّ الْمَصُونِ فِي الْكِتَابِ الْمَكْتُونِ، الَّذِي لَا يَمَسُّ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ.

أراد بذي العلوم اللدنية مقام الخضر - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، وأراد بالكليم وابن تون مقام موسى - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَى نَبِيِّنَا وَحَلِيهِ - ويوشع - عَلَيْهِ السَّلَامُ - تلميذه. فأراد مقامهم وما

(1) يشير إلى الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن النبي - ﷺ - فيما يحكي عن ربه - ﷻ - قال: «لَقَدْ عَهِدْتُ أَنَا فَطَرْتُ الْإِنْسَانَ عَلَى نَفْسِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: لَأَكْتُبَ عِبْدِي ذَنْبًا لَعَلَّ أَدَّ لَهُ رِزْقًا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيُعَاقِبُ بِالْذَّنْبِ. ثُمَّ عَادَ فَأَقْبَلَ فَقَالَ: أَيُّ رَّبِّ اغْفِرْ لِي نَفْسِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عِبْدِي أَكْتُبُ ذَنْبًا لَعَلَّ أَدَّ لَهُ رِزْقًا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيُعَاقِبُ بِالْذَّنْبِ. ثُمَّ عَادَ فَأَقْبَلَ فَقَالَ: أَيُّ رَّبِّ اغْفِرْ لِي نَفْسِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: لَأَكْتُبَ عِبْدِي ذَنْبًا لَعَلَّ أَدَّ لَهُ رِزْقًا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيُعَاقِبُ بِالْذَّنْبِ. أَعْمَلُ مَا شِئْتُ لَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ».

تفتن من الحكيم، وكيف أظهر الحق سبحانه ليوشع أن عتقا من يتلمذ له موسى، ليرى وصف إرادتك القاتم بك من اللذ والتواضع فيه، وليرى أن الإنكار إذا صدر من التلميذ كيف يصعب على المتبوع، تحفظ نفسك وتأنب. ولما اصطعب موسى والخضر - عَلَيْهِمَا السَّلَام -، وجرى ما جرى، أراد الخضر يغير موسى فقال له: (عندك علم لم يظلمني الله عليه) فجزه بذلك ثم قال له: (أنتحب من يُنكر عليك علمك الذي حققك الله به؟)، قال: (لا)، قال الخضر: (فكذلك علمي الذي علمني الله به لا يصلح أن يُنكر علي). وإلى هنا أشار موسى بقوله: (نسيت) لما قرّر معه الخضر هذا القرار.

قال راوي هذا الشرح: سمعت شيخي وإمامي يقول في أثناء كلامه في هذا المعنى، قال: وإذا كان هذا حال موسى مع الخضر، فكيف لا يتأذى الشيوخ للمريدين، قال الزاوي: فجمعْتُ بسماي من الشيخ ذلك من فعله معي ذلك وبين قوله، لأن يدي قد عيقت من كثرة أحله لها - عَلَيْهِمَا السَّلَام - عند المثرات على صراط الأدب معه، حتى كان أثر رقيقه معينا للتبليغ، وسر لقلقه باعثا على التحفظ، جازاه الله عني أفضل ما جازى والداه عن ولده بمنه وفعله، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

قوله: «وانظر لِمَ كان الحوت عتده»: أي للمناسبة، لأن يوشع هو ابن نون. ولهله المناسبة كان عتده الحوت الذي هو النون. وقوله «ميد لك السر المصون»: أي تعلم الزايط، إذ بين كل أمرين مجتمعين مناسبة هي الزايط. قوله «في الكتاب المكتون»: أي ليك وفي وجودك. قوله «لا يسه إلا المطهرون»: أي لا يعرف مرتبة الإنسان إلا من تقف عن الجهالات، ولذلك قال - عَلَيْهِمَا السَّلَام - (من عرف نفسه عرف ربه).

لا تنظر الحوت بين الفلده والقوت، وتأمل السرين في مجمع البحرين.

قوله: «لا تنظر الحوت بين الفلده والقوت»: أي انظره من كونه جُويل علامة عند حياته أنه موضع طلب الخضر - عَلَيْهِمَا السَّلَام -. قوله «وتأمل السرين في مجمع البحرين»: أي علم الخضر وعلم موسى - عَلَيْهِمَا السَّلَام -. علم الباطن وعلم الظاهر، وكلاهما كان للخضر - عَلَيْهِمَا السَّلَام -. ولذلك لم يقع منه إنكار، ولو تصوّر أن يكون عند موسى علم مخصوص من الظاهر.

وكيف وقع التسيان هنالك؟ ولم وقع ذلك؟

أي أن يوشع لما نسي الحوت كان ذلك نسخة للصفة التي تقع من موسى، لأن يوشع كان تابعا، فلما نسي عند مجمع البحرين، وطارق الموضع، ولما موسى، ثم رجعا

تفتن من الحكيم، وكيف أظهر الحق سبحانه ليوشع أن عتقا من يتلمذ له موسى، ليرى وصف إرادتك القاتم بك من اللذ والتواضع فيه، وليرى أن الإنكار إذا صدر من التلميذ كيف يصعب على المتبوع، تحفظ نفسك وتأنب. ولما اصطعب موسى والخضر - عَلَيْهِمَا السَّلَام -، وجرى ما جرى، أراد الخضر يغير موسى فقال له: (عندك علم لم يظلمني الله عليه) فجزه بذلك ثم قال له: (أنتحب من يُنكر عليك علمك الذي حققك الله به؟)، قال: (لا)، قال الخضر: (فكذلك علمي الذي علمني الله به لا يصلح أن يُنكر علي). وإلى هنا أشار موسى بقوله: (نسيت) لما قرّر معه الخضر هذا القرار.

قال راوي هذا الشرح: سمعت شيخي وإمامي يقول في أثناء كلامه في هذا المعنى، قال: وإذا كان هذا حال موسى مع الخضر، فكيف لا يتأذى الشيوخ للمريدين، قال الزاوي: فجمعْتُ بسماي من الشيخ ذلك من فعله معي ذلك وبين قوله، لأن يدي قد عيقت من كثرة أحله لها - عَلَيْهِمَا السَّلَام - عند المثرات على صراط الأدب معه، حتى كان أثر رقيقه معينا للتبليغ، وسر لقلقه باعثا على التحفظ، جازاه الله عني أفضل ما جازى والداه عن ولده بمنه وفعله، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

قوله: «وانظر لِمَ كان الحوت عتده»: أي للمناسبة، لأن يوشع هو ابن نون. ولهله المناسبة كان عتده الحوت الذي هو النون. وقوله «ميد لك السر المصون»: أي تعلم الزايط، إذ بين كل أمرين مجتمعين مناسبة هي الزايط. قوله «في الكتاب المكتون»: أي ليك وفي وجودك. قوله «لا يسه إلا المطهرون»: أي لا يعرف مرتبة الإنسان إلا من تقف عن الجهالات، ولذلك قال - عَلَيْهِمَا السَّلَام - (من عرف نفسه عرف ربه).

لا تنظر الحوت بين الفلده والقوت، وتأمل السرين في مجمع البحرين.

قوله: «لا تنظر الحوت بين الفلده والقوت»: أي انظره من كونه جُويل علامة عند حياته أنه موضع طلب الخضر - عَلَيْهِمَا السَّلَام -. قوله «وتأمل السرين في مجمع البحرين»: أي علم الخضر وعلم موسى - عَلَيْهِمَا السَّلَام -: علم الباطن وعلم الظاهر، وكلاهما كان للخضر - عَلَيْهِمَا السَّلَام - ولذلك لم يقع منه إنكار، ولو تصوّر أن يكون عند موسى علم مخصوص من الظاهر.

وكيف وقع النسيان هنالك؟ ولم وقع ذلك؟

أي أن يوشع لما نسي الحوت كان ذلك نسخة للصفة التي تقع من موسى، لأن يوشع كان تابعا، فلما نسي عند مجمع البحرين، وطارق الموضع، ولما موسى، ثم رجعا

فالتيا مع الخضر، ثم بدا من موسى التبيان لشرط الخضر كما نسي يوشع شرط موسى، ثم إنَّ الخضر لام موسى كما لام هو يوشع، ثم اعترف موسى للخضر كما اعترف يوشع لموسى، فقال له الخضر بلسان الحال: «فَلِمَ لَا قَبِلْتَ أَنْتَ عَفْوَ صَاحِبِكَ ابْتِدَاءً لِيَكُونَ عَفْوُكَ مَقْبُولاً؟». فجيء من ههنا أنَّ من اتصف بمكارم الأخلاق استقبلته عاليات الأمور، وجاءته الأمور مفتحة الأبواب، إما تقدّم من ذكر المناسبات. والمناسبات أرواح لطيفة جوهرية اللطف من عالم الملكوت، فمن تحقق بها فقد تحقق بمعرفة عزيزة.

وَلِمَ كَانَ حَوْتًا وَلَمْ يَكُنْ غَيْرَ ذَلِكَ؟ وَلَئِي فَائِذَةُ الْبَحْرِ مَسْلُكًا عَلَى سَائِرِ

المسالك؟

قوله: «ولم كان حوتا ولم يكن غير ذلك؟»: أي أنه من الحيوان الذي يتكوّن في الماء، فليس بينه وبين الأصل واسطة، لأنه - سبحانه - جعل من الماء كلّ شيء حيّ، فهو أصل الحياة، فكذلك جعله دليلا على الخضر إذ كان حيّا بما أعطاه الله - تعالى - لا موت عنده ولا جهل. فكان الدليل مناسب المدلول. ولهذا جعلت حياته دليلا على وجود الخضر، أي قد وصلت إلى مبدئ الحياة. وقوله «ولأي فائذة اتخذ البحر مسلكا؟»: أي هو لرجوع الأشياء إلى أصولها.

أَيْطَ طُو؟ وَهَيْتَ وَهَلُولَا؟ تَكُنْ الْعَبْدَ وَالْمَوْلَى.

قوله: «أَيْطَ طُو؟»: إما جاء في الخبر من أنها تفتح عمل الشيطان، وليست لكونها تمثلي. وقوله «تَكُنْ الْعَبْدَ وَالْمَوْلَى؟»: أي يكون لك مقام العبودية إن شئت، وإن شئت صَحَّتْ لَكَ التَّيَّابَةُ وَالْخِلَافَةُ.

تَرْتَدُّ بِرَدَاةِ الْوَلَّامِينَ، وَقَفَ لِلنَّاسِ فِي مَوْضِعِ الْقَدَمَيْنِ.

قوله: «تَرْتَدُّ بِرَدَاةِ الْوَلَّامِينَ؟»: يريد الألف واللام، ولام التعريف، ولام الألف. فلام الألف تنفيك، ولام التعريف تعرّف بك، وهو مناسب لقوله «تَكُنْ الْعَبْدَ وَالْمَوْلَى؟». وقوله «وَقَفَ لِلنَّاسِ فِي مَوْضِعِ الْقَدَمَيْنِ؟»: وهو التفرقة بين الحق والمخلوق، لأجل الاتحاد الذي يقع فيه غلط جماعة ادّعوا الاتحاد ولم ينفروا العرش، فكيف لو بلغوا العرش.

وَحُذِلَ مِنَ الْعِلْمِ حَرْفُ الْعَيْنِ. اخْرَقَ الْمَفِيتَةَ، تَلَجَّجَ الْمَعِينَةُ.

قوله: «حُذِلَ مِنَ الْعِلْمِ حَرْفُ الْعَيْنِ؟»: أي «عين اليقين»، إذ الحدود ثلاثة أقسام:

حدود لفظية، وحدود رسمية وهي الوازيم للحدود كالضحك للإنسان، وحدود ذاتية أي لا تقع باللفظي ولا بالرسمي بل بالحدود الذاتية، وهي حرف العين، أي عين اليقين. وعين الشيء ذاته ووجهه. وقوله: «اغرق السفينة تلج المدينة» يعني تغرق السفينة: الجسم، وغرقه بالمجاهفات، وإن جعلتها الغنى فكان غرقها بالزبائن، والمدينة: المقام المستندي، قال عليه السلام: (أنا مدينة العلم).⁽¹⁾

اجعل في السفينة ﴿بَيْنَ سَكَنَيْنِ تَقْتَضِيَانِ﴾ [هود: 40]، ولا تخرج على من قال:
﴿سَكَنَانِ إِلَى جَبَلٍ يَخِيمُونِ﴾ [هود: 43] من السكّن.

هذه سفينة أخرى، وهي حالة أخرى للإنسان. فقال في الأول «اغرقها»، وقال في هذه هي سفينة نوح «اجعل فيها من كل زوجين اثنين»، وهي شغيتك، أي لا تزال عن شغيتك وحقيقتك. قوله «ولا تخرج» إلى آخر المعنى: أي لا تخرج على من اتخذ غير الله مستداً، وهي المخاطر، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَخْرُجُوا فِي الْبِلَادِ﴾ [الأنعام: 40].

هما سفينتان، لهما في الوجود معنيان: الواحدة سلامتها في الفتن، والأخرى نجاتها في الزرق. ليس في الشك إلا واحد فإياك أن تغرق سفينة التشاهد. أعني السفينة من الزوجين، فقد قال: ﴿لَا تَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْعَىٰ الْفِتْنَةُ﴾ [النحل: 51].

قوله: «أدخل السفينة من الزوجين»: أي لا تجعل في شغيتك أحدهما عابداً والأخرى معبوداً، قال الله تعالى: ﴿الْفَرِيقَتَيْنِ مَثَلًا لِّمَنْ كَفَرَ﴾ [الحجرات: 23]، لكن اجعل الشغية لك لتفرد بالوحداية له⁽²⁾.

أُخِي الْفَلَامُ يُكَلِّمُكَ رَبُّ الْأُمَمِ وَالْفَلَامُ.

قوله: «أخي الفلام»: أي الهوى أشبه بمصرفه في موافقة إرادة الحق - سبحانه -،

(1) الحديث سبق تخرجه.

(2) السفينة التي كانت سلامتها في الفتن هي التي غرقها الشيطان، والأخرى التي نجاتها هي التي غرقها نوح - عليه السلام -، وفي هذا الباب الفلاس بالكروسي محل تدلي القلعين أكثر الشيع من ذكر الزوجيات المتعاقبة أو المتكاملة حسب ما يضاف إليها، لأن الكروسي - كما سبق ذكره - هو محل الشغية والتعاقبات الزوجية. ومرجبه في كل ما يكره هنا إلى قصص القرآن الكريم كما هو واضح في ما يلي من قصة موسى مع الشيطان - عليه السلام - وسد ذي القرنين في سورة الكهف وقصة يوسف - عليه السلام - مع إمرأته، وغير ذلك في سور أخرى.

فهذا الهوى تحية. وأما الهوى الذي لضحك فهو الغلام الذي يجب عليك تحية⁽¹⁾.

أخذه فاته كافر، بمواضي الأيسنة واليوأتر.

قوله: «أخذه»: أراد الهوى المذموم.

«أثم الجدل، وحلار من هدمه حلار». هدم الجدل، فاته حجاب، حكلا رأته في أم

الكتاب.

قال الزاوي: سمعت الشيخ إمامي وقفوني بهذا:

الحقُّ أبلج والسيوف عواري فحلار من أسد الحرين حلاري

قوله: «أثم الجدل»: أي أثم ذاك، فإثما الستر على ما فيك من الكنوز فيما تحمله من الأسرار الإلهية. قوله «هدم الجدل فاته حجاب»: علما موطن آخر: أزل الحجاب لما يحوي عليه من الأسرار.

افتح من السدّ المهرّب، والتبّ للفتار ولا نهرب. إنك أن تتناول فتحه، والتبّ من

الوجود بأيسر لمحة.

قوله: «افتح من السدّ المهرّب»، أي لتكون الوردات الإلهية تأتي على اعتدال، إذ كان قد ورد فيها ما لا تحمله العقول لقوّته، إذ هو من التوحيد المفرد المجرد. قوله «إنك أن تتناول فتحه»: أي لا يكون لك فيه تمثّل، أي أنّ الذي فتح من أجله هو الذي فتحه. قوله «والفتح من الوجود بأيسر لمحة»: أي لا تتعشّق بسوى الله تعالى، وخذّ من مهما أعطاك، ولا تطلب الزيادة من الكون، إنما طلب الزيادة من الإلهيات، ومن نصيبك من الحق - مُسْتَكْمِلٌ وَكَفَى -.

عطلّ وذا وسواع، واكتم أمرك تأسبا بصاحب الغسّوام.

قوله: «عطلّ وذا وسواع»: أي عطلّ كل معبود. وقوله «اكتم أمرك تأسبا بصاحب الصواع»: إذا رأيت من بجهلك فلا تعرّفه بنفسك، فلا تعرّفك بنفسك له ربوبية، إذ تحبّ

(1) في الحديث: مما تحت أديم السماء إله، بعد أعظم عتده من هوى متبع (أعرجه الطبري في الكبير وأبو نعيم في الحلية، وابن بطة في الإبانة وغيرهم). وفي حديث آخر: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هودا تما لما تحت يده» (أورد الطبري وأبو نعيم والبيهقي وابن عساکر وغيرهم). وقال بعض أهل الحديث أنّ في أسفله ملين الحديثين ضعفه.

منه أن يعظمك، بل إذا جهلوك زدعم حجاباً، واجلس مع الله تعالى⁽¹⁾.

الضَّوْاع حجاب فلا تكتم، ولا تعطلها فظلم⁽²⁾.

قوله: «لا تكتم»: هذه مرتبة أخرى، وهو ما يقتضيه الموطن من الظهور، لقول **عنه**: [أنا سيد ولد آدم ولا فخر]⁽³⁾. فإين قوله هذا من قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكْتُمُوا﴾ [التكليف: 110].. فهنا موطن آخر اقتضى ما اقتضى.

لا تُفرد أحداً مخالفةً للمذهب، واحفظ عليه عطف المحب على الحبيب.

قوله: «لا تفرد أحداً»: أي لا تترك عقلك منفرداً للنظر الفكري، فهو اللب. قوله واحفظ عليه: أي بالذكرة، قال تعالى: ﴿كَانُوا أَكْثَرُ ظَلَمًا﴾ [يوسف: 152].

إن لم تفرد للمذهب، لم يمتدح في أهل التخلق والتهذيب.

قوله: «إن لم تفرد لم تميز»: أي لا تتخذ غير الله حافظاً، فأفردته أنت والله الذي يتولا، لأنك عندما تحفظه مذهب. فإذا أخرج العبد من حوله وقوته وسلم إلى الله تعالى فقد خرج من الذموى⁽⁴⁾.

لا تعطف عليه واتبله بالمرء، حتى تبصر تأثير الأسماء.

قال الرازي لهذه القوائد الإلهية: سمعت شيخي وإمامي المعتمد لهذه القرب الزبانية يقول في قوله «لا تعطف عليه واتبله بالمرء حتى ترى تأثير الأسماء»: قال هذا ملهـب سهل التشرى «رحمة الله عليه»- كان إذا حدث بالخلق شدة أو رخاء، لا يدهو ولا

(1) وكا وسواع: أسماء أمم قوم نوح، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا زُنًى ذَا زَكَاتٍ﴾ [أنوح: 23].

(2) وصاحب الصواع هو يوسف -عليه السلام- كما هو مذكور في سورة.

(3) أي لا تعطل وكا وسواعا من باب التناصب القضي، فالاسم هو «يحيى» بالاسم الإلهي «فوقه» قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا زُنًى ذَا زَكَاتٍ﴾ [مریم: 96] وفي اللغة الضَّوْاع من اللب هو القصد أو الساعة، أي ثم متجهدا في الليل. وله أعلم.

(4) أخرجه الترمذي وابن ماجه.

(4) وحذا القول من الشيخ مناسب لطاهر قصة يوسف -عليه السلام- مع إعرته، أي أنهم لما افردوه للمذهب هوامع وروحه في غيابة الجب، كان ذلك سببا في تميزه بعد ذلك بالمقامات العالية، منها عزيز مصر وحسن تدبيره فيها، وسجد إعرته له سجود الكواكب في رؤاه.

يتحرك. وهذا كان في وقت حاله، لا في مقامه، إذ صاحب المقام له التصرف.

إذا أردت أن تكون ينمّ المحقق، واري العزيز الجنت.

أي ادفن هواك، وسقاه وحدته، لأنّ سالك الطريق هو حدث ما لم يبلغ مرتبة الشيوخ.

أعرف قدر العزيز، فهو الذي أحلك محل سقوط التمييز.

قوله: «أعرف قدر العزيز»: أي هو الذي ذلك على ذلك، وعزّك بنفسك.

ووجه البشير، ولا تترج على العير⁽¹⁾، ودراك بالشيوخ الكبير، وأزلف أبوك على

السري.

قوله: «وجه البشير»: أي إذا حصل للطفة الإنسانية الطالبة للزبوية وصف من الأوصاف العمودية فتبيّن يشير إلى الجوارح تبشيراً بما ظفرت به اللطفة، فإنّ الجوارح جميعها تبكي على اللطفة وتتعبها إذا لم تكن في مقام العمودية. قوله «ولا تترج على العير»: أي عالم الطبيعة، لأنّ الطبيعة مقتضية للزبوية من كونها فمالة في عالم الأجسام، فتمش غلبت على الإنسان طبعته انتهى بسبب هذه النسبة الطبيعة. قوله «ودراك بالشيوخ الكبير»: يريد جملة الجوارح التي تبكي عليك، وذلك أنك تولدت عنها بعد أن تسوّى الجسد بالزحم أربعة أشهر، حينئذ تولدت اللطفة بين الجسد وبين الروح الكلية. فاللطائف كلها مخلوقة بعد الأجسام. قوله «أزلف أبوك على السري»: يريد الجسد والنفس الكلية، واختصهما بقيام أوامر الشريعة.

أسك القميص، فإنّ الشيخ حريص، وأزول الإبل في المسارح، تمر عليها السوائح

والبوراح.

قوله: «أسك القميص فإنّ الشيخ حريص»: أي لا تمش مع أحد على غرضه إلا عن أمر الله، لأنه مقام نبوة، ولذلك أبطأ يوسف بآبيه - *فَكَهَنَاتُكَ* - إلى أن أمره الحق. والذي يروم منك غرضه، وهو حريص على وصول غرضه إليه، فلا تكن مأمور الأغراض، وكن مأمور الحق تعالى. قوله «أزول الإبل في المسارح»: أراد بالإبل مراكب الأعمال مطلقاً. قوله «تمر عليها البوراح والسوائح»: البوراح الأصال، والسوائح الخفادوي،

(1) العير: القافلة. و«دراك»: اسم فعل بمعنى أدرك.

أي دفع الأعمال لتعليق بها الأهل إذا أخضعت أحكامها في عقد النية عند الشروع في العمل. فكلمنا يتر عليك بعد ذلك فلا يؤخر في عملك، فدعها بعد ذلك تسرح في ميادين الأعمال. ومن ثاقت تحرير العقد الأول والتقدم الأول، فلا يفيدك بعده شيء، فلا تتعب ولا تخسر عملك، فلا يفيدك عند الله تعالى أبدا.

لا ترغهما عرشا، ومهدهما قرشا، ﴿وَأَنْفُسَهُمَا جَنَاحَ كُلِّبِ يَنْزِيلٍ﴾ (الإسراء: 24)

24) ﴿فَلَا تَنْفُلْ لَهُمَا آلِيَّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ (الإسراء: 23)، وإن استطعت لأعدهما. هما حجابك

وهما بابك.

قوله -﴿وَأَنْفُسَهُمَا جَنَاحَ كُلِّبِ يَنْزِيلٍ﴾- لا ترغهما عرشا: أي لا تعظم السبب، واشتغل بتسليم وجه الحق، فالتسليم الأول هو في موطن يقتضي التسليم ويرى الوالدان. وفي هذا الموطن الذي تظهر فيه عظمة الحق يضمحل فيه كل شيء. قوله «ومهدهما قرشا»: أي انظرهما بحسن التواضع وصاحبهما معروفا.

اتبع الفتية فهم الحجة العملية.

قوله: «اتبع الفتية»: أي انظر مكارم أخلاقهم، وتوحيدهم لربهم، فيبين لك الباب الذي سلوكه، وبه يسبحوا⁽¹⁾.

لا تقف أثرهم جملة وتفصيلا، ولا تتخذ إليهم ميلا.

قوله: «لا تقف أثرهم»: أي لا تكون تابعا لهم كما تتبع الأنبياء -عليهم السلام-، بل كن معهم في وصف واحد مزاحما لهم، كما قال أبو سليمان الخولاني -رحمته الله- في حق الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين-⁽²⁾.

(1) أي فيه الكهف. قال تعالى: ﴿إِذْ أَرَادَ الَّذِينَ عَلَى الْكُفُوفِ لِقَاءَ رَبِّكَ أَنَّكَ ابْنُ ثَمَارٍ وَكَانَ بَيْنَهُمَا بَحْرٌ مَلْحٌ﴾ (الكهف: 10) وقال في مدحهم: ﴿إِنَّهُمْ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ (الكهف: 13).

(2) منا يناسب هذا القول من الشيخ قوله تعالى عن فيه الكهف: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ عَنْكُمْ آلِيَّكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ (الكهف: 18). أما أبو مسلم الخولاني فقد ذكره الشيخ في الباب 73 من الفتوحات عند ذكره لطيفة القيد من الأولياء، فقال عنه: «كان عفا أبو مسلم الخولاني -رحمته الله- من أكبرهم، كان يقوم الليل، فلما أدركه المياه ضرب رجله بطنه، كانت عده ويقول لرجليه: إنما أحسن بالضرب من جنتي، ليعن أصحاب محمد -عليه السلام- أن يهزوا =

أي دفع الأعمال لتعليق بها الأهل إذا أخضعت أحكامها في عقد النية عند الشروع في العمل. فكلمتا يتر عليك بعد ذلك فلا يؤخر في عملك، فدعها بعد ذلك تسرح في ميادين الأعمال. ومن ثاقت تحرير العقد الأول والتقدم الأول، فلا يفيدك بعده شيء، فلا تتعب ولا تخسر عملك، فلا يفيدك عند الله تعالى أبدا.

لا ترغهما عرشا، ومهدهما قرضا، ﴿وَأَنْفُسَهُمَا جَنَاحَ الْفَالِغِ مِنَ الرِّجَمِ﴾ (الإسراء: 24)، ﴿فَلَا تَنْفُلْ لَهَا أَلَى وَلَا تَنْهَرُهَا﴾ (الإسراء: 23)، وَإِنْ اسْتَطَعْتَ لَهَا مَهْمَا. هما حجابك وهما بابك.

قوله - **وَأَنْفُسَهُمَا جَنَاحَ الْفَالِغِ** - لا ترغهما عرشا: أي لا تعظم السبب، واشتغل بتسليم وجه الحق، فالتسليم الأول هو في موطن يقتضي التسليم ويرى الوالدان. وفي هذا الموطن الذي تظهر فيه عظمة الحق يضمحل فيه كل شيء. قوله «ومهدهما قرضا»: أي انظرهما بحسن التواضع وصاحبهما معروفا.

اتبع الفتية فهم الحجة العملية.

قوله: «اتبع الفتية»: أي انظر مكارم أخلاقهم، وتوحيدهم لربهم، فيبين لك الباب الذي سلكوه، وبه يسبحوا⁽¹⁾.

لا تقف أثرهم جملة وتفصيلا، ولا تتخذ إليهم ميلا.

قوله: «لا تقف أثرهم»: أي لا تكون تابعا لهم كما تتبع الأنبياء - **تَكُونُ كَتَائِبَ** - بل كن معهم في وصف واحد مزاحما لهم، كما قال أبو سليمان الخولاني - **وَتَكُونُ كَتَائِبَ** - في حق الصحابة - وضوان الله عليهم أجمعين⁽²⁾.

(1) أي فيه الكهف. قال تعالى: ﴿إِذْ أَرَادَ الْاِثْنَيْنِ إِلَى الْكَهْفِ لَقَامَا رَبَّهُمَا فَاذْكُرَانَا إِنَّكُم مِّنْ ذُكَّارٍ﴾ (الكهف: 10) وقال في مدحهم: ﴿إِنَّهُمْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَئِنْ فَتِنْتُمْ عَنْهُمْ لَأَنْتُمْ مِّنْ كَاذِبِينَ﴾ (الكهف: 13).

(2) منا يناسب هذا القول من الشيخ قوله تعالى عن فيه الكهف: ﴿فَوَلَّيْتُ عَنْهُمْ وَلِيَّتَهُمْ يَنْهَرُوا وَيَكُونُوا يَتَمَتَّعُونَ بِهَا﴾ (الكهف: 18). أما أبو مسلم الخولاني فقد ذكره الشيخ في الباب 73 من الفتوحات عند ذكره لطيفة القيد من الأولياء، فقال عنه: «كان عفا أبو مسلم الخولاني - **وَتَكُونُ كَتَائِبَ** - من أكابرهم، كان يقوم الليل، فلما أدركه المياه ضرب رجله بطنه، كانت عذبه ويقول لرجليه: إنما أحس بالعرب من جنبي، ليعن أصحاب محمد - **لَا يَفُوزُوا** -

إذا اطلمت عليهم قولاً رُفياً، عينا لا لُلباً.

أي إذا اطلمت على غير الله تعالى قولاً رُعباً ثلاثاً يتنكب. قوله «عينا»: أي من حيث أعيانهم، «لا قلباً»: أي من حيث وجه الحق المشهود في كل شيء.

السعيد كل السعيد من نام عند الوعيد. الشمخ بأفك عن همة الكلاب.

قوله: «السعيد من نام عند الوعيد»: أي من نام عند الباب⁽¹⁾. «الشمخ عن همة الكلاب»: أي لا تنأس في قومك بالكلب، فتجعله أمامك وهو تابعك.

ولأنك وملازمة الأبواب. سد الباب، والطمع الأسباب، وجالس القواب، يكلمك من

دون حجاب⁽²⁾.

قوله: «لأنك وملازمة الأبواب»: أي لا تلق في نفس سلوكك فتكون بعلي السير، غير طيار ولا ساري.

لا تجالس بهالاً فإن الكلام محال، لو لا الأسباب ما عرفت الحقائق، فافتح الأبواب

ولا تفرق.

قوله: «لا تجالس بهالاً فإن الكلام محال»: أي إذا جالسه حذنته. وأعلم أن

= بمحمد - صلى الله عليه - وسلم دوننا، والله لأزاحمتهم عليه حتى يطموا أنهم غفلوا بغيرهم وجالاه.

(1) اليوم هنا عند الباب، عبارة عن حراسة من ضم وزاد الباب، أي حراسة القلب من كل خاطر لا يهنيه، والله أعلم.

(2) هذه الكلمات من الشيخ ذكرها في الباب 560 من الفتوحات كوصية سمعها من أزل شيخ صبي وهو أبو العباس العربي، قال: «أولوصاتي شيخي -رحمته الله- أزل ما دخلت عليه قبل أن أرى وجهه فقال لي - وقد قلت له أوصني قبل أن تراني فأحفظ عنك وصيتك، فلا تنظر إلي حتى ترى خلعتك علي - فقال -رحمته الله- هذه حمة شريفة عالية، يا ولدي سد الباب، واقطع الأسباب، وجالس القواب يكلمك من غير حجاب. فعملت على هذه الوصية حتى ولدت بركتها، ودخلت عليه بعد ذلك فرأى خلعتها علي، فقال: هكذا حكفاً والأفلا لا. ثم قال لي: اسمع ما كتبت، وانس ما حفظته، واجعل ما علمت، وكن حكفاً معه على كل حال، لا تصحفت معه بما قد علمته لأن في ذلك نسيح فرقت، وأطلب المزيد كما أترك في قوله إنني -رحمته الله- يلمر وأنت: **فَوَلِّ كُنُوزَ دُنْيَاكَ** **وَلَا تَجَالِسْ بِهَالٍ** **إِنَّ الْكَلَامَ مُحَالٌ** **لَوْ لَا السَّبَبُ مَا عَرَفْتَ الْحَقَائِقَ** **فَاِفْتَحِ الْأَبْوَابَ** **وَلَا تَفَرِّقْ** **وَلَا تَجَالِسْ بِهَالٍ** **فَإِنَّ الْكَلَامَ مُحَالٌ** **أَيَّ إِذَا جَالَسْتَهُ حَذَنْتَهُ** **وَأَعْلَمُ أَنَّ**

الشريعة إنما جاءت تبين من مظاهر الحق ما تقود به الناس إليه عكبتل. قوله «فإن الكلام محال»: أي الخطاب الموسوي المرتفع عن الوسائط. قوله «لولا الأسباب ما عرفت الحقائق»: أي لولاها لكثت الأمور كلها وجهاً واحداً، وإنما بالأسباب تميّزت المراتب. قوله «فاتح الباب ولا تغارق»: أي باب النظر في الأسباب، ولا تغارق تعلقها بباريها وواضعها، إذ لو اعتكفت على الأسباب فأتك أمر كبير، فانظر إليها ولا تعتمد عليها.

طهر فرجك من الفلج⁽¹⁾، يفتح لك فيه من الروح⁽²⁾.

قوله: «طهر فرجك»: أي كلما اتفرج لك من عالم الغيب ومغاليق الأمور فطهرها منك، ولا تسلكها بك. قوله «يفتح لك فيه من الروح»: أي ترجع لك أرواحاً وملائكة.

لا تظهر الفرج، وانظر ما ارتقم في الفرج⁽³⁾.

قوله: «لا تظهر الفرج»: أي الفلج التي رمتها إنما رمتها لكونك لم تر وجه الحق فيها. قوله «وانظر إلى ما ارتقم في الفرج»: أي انظر ما فيها من وجه الحق.

ناد في الظلمات، تبث بين الأموات.

قوله: «ناد في الظلمات»: أي ناد في مواطن الغفلات التي أظلمت على المحجوبين فلم يرو فيها وجه الحق. فإذا ذكرت أنت الله فيها صرت روح تلك الظلمة ونورها، فسيبث بك⁽⁴⁾.

لا تناد في ظلمات السور، فإنّ السور في السور.

قوله: «لا تناد في ظلمات السور»: أي أنّ السور في السور لا يصح، إذ هي الحجب والظلمات، ولذلك قيل لك «تبث من بين الأموات» لأنك عند نفاذك لم تكن في

(1) الفلج: الأوساخ.

(2) الإشارة هنا إلى الآية 12 من سورة الصّرم: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْغَيْثِ قُلْ سَأَسْأَلُ عَنِّي مَلَكٌ﴾.

(3) الفرج: ما يكتب فيه.

(4) الإشارة هنا إلى نداء يونس - عليه السلام - وهو في بطن السموت، قال تعالى: ﴿وَذَا الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تُكَذِّبُ نَادِيَ أَنْ يَتُوبَ لَهَا وَتَكُونُ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾. فلو أنّك قد كنت في مكانك إلى سعة من الكافريين ﴿لَسْتَ بِمُعْجِزٍ﴾. فلو أنّك قد كنت في مكانك إلى سعة من الكافريين ﴿لَسْتَ بِمُعْجِزٍ﴾. فلو أنّك قد كنت في مكانك إلى سعة من الكافريين ﴿لَسْتَ بِمُعْجِزٍ﴾. (الأنبياء: 88/87).

الشريعة إنما جاءت تبين من مظاهر الحق ما تقود به الناس إليه عكبتل. قوله «فإن الكلام محال»: أي الخطاب الموسوي المرتفع عن الوسائط. قوله «لولا الأسباب ما عرفت الحقائق»: أي لولاها لكانت الأمور كلها وجهًا واحدًا، وإنما بالأسباب تميّزت المراتب. قوله «فاتح الباب ولا تغارق»: أي باب النظر في الأسباب، ولا تغارق تعلقها بآرائها وواضعها، إذ لو اعتكفت على الأسباب فأتك أمر كثير، فانظر إليها ولا تعتمد عليها.

طهر فرجك من الفلج⁽¹⁾، يفتح لك فيه من الروح⁽²⁾.

قوله: «طهر فرجك»: أي كلما اترج لك من عالم الغيب ومغاليق الأمور طهرها منك، ولا تسلكها بك. قوله «يفتح لك فيه من الروح»: أي ترجع لك أرواحا وملائكة.

لا تظهر الفرج، وانظر ما ارتقم في الفرج⁽³⁾.

قوله: «لا تظهر الفرج»: أي الفلج التي رمتها وإنما لكونك لم تر وجه الحق فيها. قوله «وانظر إلى ما ارتقم في الفرج»: أي انظر ما فيها من وجه الحق.

ناد في الظلمات، تبث بين الأموات.

قوله: «ناد في الظلمات»: أي ناد في مواطن الغفلات التي أظلمت على المحجوبين فلم يرو فيها وجه الحق. فإذا ذكرت أنت الله فيها صرت روح تلك الظلمة ونورها، فسيبث بك⁽⁴⁾.

لا تناد في ظلمات السور، فإنّ السور في السور.

قوله: «لا تناد في ظلمات السور»: أي أنّ السور في السور لا يصح، إذ هي الحجب والظلمات، ولذلك قيل لك «تبث من بين الأموات» لأنك عند نفاذك لم تكن في

(1) الفلج: الأوساخ.

(2) الإشارة هنا إلى الآية 12 من سورة الصّرم: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْفُلْجِ الَّذِي يَنْفَعُهُمْ قُلْ هُوَ الْفُلْجُ الَّذِي يَنْفَعُهُمْ﴾.

(3) الفرج: ما يكتب فيه.

(4) الإشارة هنا إلى نداء يونس - عليه السلام - وهو في بطن السموت، قال تعالى: ﴿وَذَا الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تُكَذِّبُ عَنْ قُرْآنِ رَبِّهَا وَكَانَتْ فِي لِقَاءِ رَبِّهَا كَاسِيَةً﴾. (سورة يونس: 108).

السور. ولو كنت فيها لكنت محجوباً مثلهم، وإلى هذا ينظر قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا لَا تَسْمَعُ سَمْعَ السَّمْعَةِ﴾ (النور: ٥٠) ولذلك قال: «فإنَّ النِّداء في النور»، وإذا كان في النور فقد خرج صاحبه من السور^(١).

أنت الواحد الفرد إن ضربت الفرد في الفرد.

أي: إذا غربت الخلق في الحق، فخرج لك إنا الحق وإنا الخلق، فحيث تعلم أنك في مقام الأهمية. وإن غرجا كلاهما، فليست بموحد.

لا سبيل إلى ضربه، لثبوت ما أراد أن يوجد في غيره.

قوله: «لا سبيل إلى غيره»؛ أي إن ضريت الواحد في الواحد لم يخرج شيء سوى الواحد. لكن اضرب واحدا في اثنين يخرج اثنين؛ أنت وهو، لأنك لما ضربت الواحد في الواحد فعلت الحقيقة أنك ضربت الواحد في أحده، وهنا ضربتها في شعبتك، فبرزت منك. وإذا ضربت واحدا في عشرة فخرج عشرة، فأعطاه الوحدانية بإبرازك الواحد له، تبقى النعمة وهي حقيقة واحد، فهي أنت، وأنت ما هنا تطلب وجودك منه تسع نسب (الجنة).

لا تَقُلْ: مَتْنِي الضَّرْبُ، وَسَوَّيْنِ الضَّغَمَ وَالضَّرْبُ.

قوله: «لا تقل مني الضرر»، وسَوِّ بين الضع والضرر: أي هنا مقام الأحوال ومشاهدة الرضا. فإذا الرضا عند أكثر أهل الطريقة من الأحوال لا من المقامات، نص عليه النشري - رحمه الله تعالى - (3).

إِنَّمَا مَتَكَ الظُّرُّ فَادْعِ بِلِسَانِ التَّعْلِيمِ، فَهُوَ مَرَادُ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ.

(1) إشارة إلى أنه لا تعالى لموسى -عليه السلام-، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ آلُ مُوسَى مِنْهُ لَمَّا كَانَتْ هُوَارًا حَامِيَةً قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنِّي عَلَىٰ آلَاءِ رَبِّي كَفَّارٌ﴾ [طه: 90]، ﴿فَلَمَّا فَصَلَ مُوسَى مِنْهُ خَلَّى لَهُ الْوَادِيَ ذَوَاتَ الْأُتُقَىٰ﴾ [طه: 91]، ﴿فَلَمَّا فَصَلَ مُوسَى مِنْهُ خَلَّى لَهُ الْوَادِيَ ذَوَاتَ الْأُتُقَىٰ﴾ [طه: 92]، ﴿فَلَمَّا فَصَلَ مُوسَى مِنْهُ خَلَّى لَهُ الْوَادِيَ ذَوَاتَ الْأُتُقَىٰ﴾ [طه: 93]، ﴿فَلَمَّا فَصَلَ مُوسَى مِنْهُ خَلَّى لَهُ الْوَادِيَ ذَوَاتَ الْأُتُقَىٰ﴾ [طه: 94]، ﴿فَلَمَّا فَصَلَ مُوسَى مِنْهُ خَلَّى لَهُ الْوَادِيَ ذَوَاتَ الْأُتُقَىٰ﴾ [طه: 95]، ﴿فَلَمَّا فَصَلَ مُوسَى مِنْهُ خَلَّى لَهُ الْوَادِيَ ذَوَاتَ الْأُتُقَىٰ﴾ [طه: 96]، ﴿فَلَمَّا فَصَلَ مُوسَى مِنْهُ خَلَّى لَهُ الْوَادِيَ ذَوَاتَ الْأُتُقَىٰ﴾ [طه: 97]، ﴿فَلَمَّا فَصَلَ مُوسَى مِنْهُ خَلَّى لَهُ الْوَادِيَ ذَوَاتَ الْأُتُقَىٰ﴾ [طه: 98]، ﴿فَلَمَّا فَصَلَ مُوسَى مِنْهُ خَلَّى لَهُ الْوَادِيَ ذَوَاتَ الْأُتُقَىٰ﴾ [طه: 99]، ﴿فَلَمَّا فَصَلَ مُوسَى مِنْهُ خَلَّى لَهُ الْوَادِيَ ذَوَاتَ الْأُتُقَىٰ﴾ [طه: 100].

(2) الإشارة إلى الرب - **عَلَّمَ** - قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ وَلَكُمْ أَنَّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (الأنعام: ٨٦).

(3) حول الرضا وتم كه ينظر في الفتوحات الجبلية: 129 / 128.

قوله: «إِذَا مَسَّكَ الضَّرُّ فَادْعُ بِلسَانِ التَّعْلِيمِ، فهو مراد الحكيم العليم»: قال إسماعيل -أعذ الله بيده- سمعت شيخني وإمامي يقول في أثناء شرحه لهذا المعنى: حاشا وجهاً: الوجه الواحد: إنها قوله تبي، والتي في مقام الاكتفاء، فهو يُعلم لأنه الاستناد إلى الله تعالى لا إلى غيره في دفع المكروه عن نفسه. والوجه الآخر من التعلم: يعلم نفسه وبينها على أن الصبر في هذا الموطن سوء أدب مع الحق، فينبغي له أن لا يقاوم الظهور الإلهي، ويلجأ: «سُئِنِي الصَّبْرَ»، ولا يقدح ذلك في صبره⁽¹⁾.

لا تَعُوذُ لِسَانُكَ الْجَنَّتْ، وَيَرَى يَمِينُكَ وَلَوْ بِالْفَيْضِ،

قوله: «لا تَعُوذُ لِسَانُكَ الْجَنَّتْ»: أي إذا أتممت برّ قسمك بما كان ولو بالفيض⁽²⁾ وهو قبضة الحشيش.

الْجَنَّتْ لَا تَلْتَفِتُ إِلَيْهِ، فَإِنَّ أَعْلَى الْكَشْفِ مَا عَزَلُوا عَلَيْهِ.

قوله: «لا تَلْتَفِتُ إِلَيْهِ»: أي لا تدخل ابتداء في اليمين، فإنك إن دخلت في اليمين راحته، وأوجبت عليك حقاً لم يجب عليك، وخشي عليك الجنت، فلا تلتفت إلى أمر يجب عليك فيه الجنت. قوله «فَإِنَّ أَعْلَى الْكَشْفِ مَا عَزَلُوا عَلَيْهِ»: أي إنهم في كل نفس مع ما يكشف لهم فيه، فلا يدرون حكم النفس الثاني، فلا يحسن لهم التقيد باليمين على أمر في المستقبل.

لَا تَعْلِبُ الْهَدَفَ كَمَا هَمَّ سُلَيْمَانُ، حَتَّى يَمْجِزَ مِنَ الْيَتَةِ وَالسُّلْطَانِ.

قوله: «لا تَعْلِبُ الْهَدَفَ حَتَّى يَمْجِزَ مِنَ الْيَتَةِ»: أي لا تعمل إلا عن يئس من ربك كما فعل سليمان، وقد كان الحق مع الهدف، فلو علقه قبل اليئس لظلمه، فلا تعجل أبداً بصفات الظاهر منك حتى يتبين موطنها، وأما صفات الرحمة فأطلقها ولا تتبجحها.

عَلَيْهِ لَمَّا كُشِفَ السَّرُّ، وَغُرِقَ السَّرُّ.

قوله: «عَلَيْهِ لَمَّا كُشِفَ السَّرُّ»: يريد كل موطن لا ينبغي أن يظهر السر فيه.

(1) حول الصبر وتركه ينظر في الفترحات الجليل: 124 / 125.

(2) الإشارة هنا إلى ألوبي - توكياتكم - لما أقسم أن يضرب زوجته عند زوال غمّه، فأمره الله - عز وجل - أن يرميها بصخرة الحشيش، قال تعالى: ﴿وَيَكْفُرُوا بِمَا لَمْ يُكْفُرُوا بِهِ فَاتُخَفَتْ مِنْهُمْ﴾ (ص: 44).

أرفق على النمل، إذا أَوْجَعَتْ⁽¹⁾ سوايق النخيل.

قوله: «أرفق بالنمل»: أي أَدَّ الضعيف الذي ليس له قوَّة مقاومة لا تهرب عليه.

فَرَقَهُمْ لِبَادِي سَيْبٍ، وَاقْتَلَهُمْ مَضَى السَّيْفِ أَوْ نِيَا⁽²⁾.

قوله: «فَرَقَهُمْ وَاقْتَلَهُمْ»: أي إتهم وإن كانوا ضعفاء، فقد يكون لهم رأي قوي، فاقْتَلَهُمْ حيث أدخلوا وألهم، وكذلك كَلَّمَ ما يعطيه الدليل العقلي بما يقدح في الشرع الصحيح والكشف، فردَّ ما يعطيه الدليل العقلي ولا تلتفت.

وَأَتْرَكَهُمْ بَيْنَ مَهَبِّ الشَّمَالِ وَالْعَصَا⁽³⁾.

قوله: «وَأَتْرَكَهُمْ بَيْنَ مَهَبِّ الشَّمَالِ وَالْعَصَا»: أي في برزخ لا يحكم عليهم أحد الطرفين. قال إسماعيل: سمعت شيخي وإمامي يقول في أثناء شرحه لهذا المعنى: ما عنتنا في الطريق أهل من البرازخ لجمعها بين الطرفين.

لَا تَشْغَلُكَ الصَّافَاتِ⁽⁴⁾، عَنِ الْمَنَاجِلِ، وَاسْمَحْ بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ، وَشَدَّ السِّرَإِلِهِ وَالْإِعْنَاقِ.

قوله: «لَا تَشْغَلُكَ الصَّافَاتِ»: أي لا تشغلك الأعمال، وإذا أصطاك العمل العلم، فانتقل ذلك العلم مركبا ليصير مركبا روحاني. قوله «واسمح بالسوق والأعناق»: أي أزلها، وأما على مذهبنا فمسح على الأعناق مسح رحمة، وأما على مذهب المفسرين فلإزالة قهر بالسيف لتلا شغل بها عنه. قوله «وشد السرايل والإعناق»: أي السرايل السريع الذي هو سر بين سريين⁽⁵⁾.

(1) أوجعت: أوجع الفرس إذا أسرع يمدو. والإشارة هنا إلى قصة سليمان -عليه السلام- مع النمل في سورة النمل الآيتين 20 / 21.

(2) مضى السيف أرنيا: قطع السيف أو لم يقطع.

(3) السبا: روح مهبها الشرق.

(4) الصافات: الخيل.

(5) وضع الشيخ هذه المسألة في الباب 124 من الفتوحات فقال: «قول سليمان -عليه السلام-: ﴿لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِحُبِّ الْخَيْرِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْ﴾ [ص: 132] لأنه سته خيراء، والخير منسوب إلى الله، فقال: عن ذكر ربي لله بالخبرة أحبه. فعلق يمسح يده على أمر لها وسوقها فرسا وأصابتا بخير ربه.»

من نظر الفعل للفتات، مازال في المتاجلة، فلا تمسح بأعتاقها، ولا تشد في إعتاقها.

يريد أن من نظر إلى الفتات لم يبق له غاية يتطلّبها ليتبني إليها فلا يبالى وقت أو

مشى.

لا تطلع الخاتم⁽¹⁾ إلى أحد ولا تأمن عليه أنا ولا ولد انفعه إن شئت لذاته حجاب،

ولا مسخر إلا مسبب الأسباب.

يريد بالخاتم علم التسخير، إذا حصل عند العبد فاته من أسرار الله تعالى. قوله

انفعه فاته حجاب: أي هو حجاب عن من مقامه العبودية. وفي الموطن الأول هو لمن

أنيم في مقام الخلافة، لذلك قال: «ولا مسخر إلا مسبب الأسباب».

لا تخرج على عرش بقلبي، ولا تلتفت إلى صرحها الممرّدة النقيس، إلا إن بدا منها

الإسلام، وألفت يد الطاعة والاستسلام⁽²⁾.

«لله أحبّ الخير، وخبّ الخير إذا أن يريد حبّ الله إياه، أو حبّ الخير من حيث وصف الخير

بالحبّ، والخير لا يحبّ إلا الأخير لأنهم محلّ وجوده. كذلك سليمان - عليه السلام - قال:

«الْحَبُّ حُبُّ الْخَيْرِ»، أي أنا في حبّي كالخير في حبّه. ولهذا لما تفرقت ألعجيب، أعني الصفات

الجهاد اشتاق إليها لأنه فقد المحلّ الذي أوجب له هذه الصفة المطلوبة، فإنها كانت سجلّ له،

فقال: «رَبِّهَا كَيْفَ؟» (ص: 33). وأنا المفسرون الذين جعلوا التفرق للشمس، ليس للشمس هنا

ذكر ولا للصلاة التي يزعمون. ثم إنهم بأعداؤهم في تلك حكايات اليهود في تفسير القرآن، وقد

أمرنا رسول الله - ﷺ - أن لا نصليّ لعلّ الكعب ولا تكلمهم... وأنا ساق الآية فلا بدّ على

ما نأوه بوجه ظاهر البيت. وأنا استرؤسهم فيما فسروا بقوله: «يَقْدَرُ عَلَى كَيْفٍ؟» (ص: 34)

فليس تلك الفتنة، وهو الاختيار إذا كان متعلّقه الخيل ولا بدّ، فيكون اختياره إذا أداها هل يحبّها

عن ذكرها لها، أو هل يحبّها لمحبّها؟ الأخير - ﷺ - أنه أحبّها عن ذكر ربه إياها لا نفسها مع حبّها

وجعلها وحاجة إليها، وهي جزء من تلك الذي طلب أن لا ينهي لأحد من بعده، فأجاب الحق

إلى ما سألت في المجموع، ووقع المرجح عنه وقال له: «وَكَيْفَ تَكُونُ كَيْفَ تَكُونُ كَيْفَ تَكُونُ؟» (ص: 39)

«لَئِنْ لَمْ يَنْقُتْ لَمْ يَنْقُتْ» - يعني في الأخيرة - لَئِنْ لَمْ يَنْقُتْ لَمْ يَنْقُتْ، أي ما ينقصه هذا الملك من

ملك الأخيرة شيء.

(1) يشير إلى خاتم سليمان الذي كان كالرمز لصرّته في ملكه.

(2) صرحها: قصرها. الممرّدة: المسوّى المصفول. والإشارة هنا لإسلام بقلبي مع

سليمان - عليه السلام - قال تعالى: «وَقُلْ إِنَّمَا أَمْرٌ كَيْفَ تَكُونُ كَيْفَ تَكُونُ كَيْفَ تَكُونُ».

قوله: «لا تخرج على عرش بلقيس»: أي لكونه مضافاً إليها، فلا ينبغي أن يخرج على شيء. هو مضاف للكون. قوله «إلا إن بدا منها الإسلام»: أي إلا إن أبان ذلك الأمر عن وجه الحق فيه فحينئذ انظره والتفت إليه فإنه لا يكون حينئذ حجاباً.

عُرِجَ عَلَيْهَا مَتَى ظَهَرَ مِنْهَا الْإِذْنَانِ، فِي حَالَتَيْ الْإِيمَانِ وَالْكَفَرَانِ، تَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْإِحْسَانِ.

قوله: «عرج عليها إلى آخر المعنى»: أي متى ظهر ذلك الوجه فقد حصل المتصود
لـ كل شهود.

لا تقم اسمك على اسم مولاك⁽¹⁾، وإنما كان ذلك لعلة هناك.

قال إسماعيل: سمعت شيخي وإمامي -رحمتهما الله- يقول في شرحه لقوله: ولا تعظموا اسمك على اسم مولاك: قال: انظر في السَّيِّء كيف جاء في السَّيِّء تقديم التَّهليل في شهادة التَّوْحِيد على ذِكْرِ الرُّسُول -عليه السلام-. و قوله إنما كان ذلك اصطلاحهم في ذلك الزَّمان، فلم تقتضِ الحكمة أن يخرج عن عادة أهل الزَّمان.

لَقَدْ اسْمَكَ لَهُوَ الشَّرْعُ الْمَتَّبِعُ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَلَسْتَ بِمُتَّبِعٍ.

قوله: «قَدِّمِ اسْمَكَ إِلَى آخِرِ الْمَعْنَى»: أي بالنظر إلى أهل ملتك وزمانك، كما فعل سليمان - عَلَيْهِ السَّلَامُ - في وقته، فلذلك هو أدب وقته وشرع وقته.

لا ترفع في ملك لا يبغي لأحد من بعدك^(١)، بل قل كل ما سبحانه من عندك.
قوله: «لا ترفع في ملك لا يبغي لأحد من بعدك»: يعني ملكا يكون فيه ربا سبعا
طعنا.

ارغب في ملك لا يهني لسواك تتخلق في فلك بعينات مولاك.

سَمِعَ الشَّيْخَ بْنَ قُرَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ نَفْسٌ مِثْلُ نَفْسِي، فَكَانَتْ لَهُ نَفْسِي» (البيهقي: 144)

(1) الإشارة هنا إلى سليمان الذي قدم اسمه على اسم الله تعالى في رسالة كتابه إلى بلقيس: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ الْأَعْيُنَ وَالْأَلْأَبْصَارَ أَتَى عَلَى الْمَوَدَّةِ الْبَغْضَاءُ﴾ [الأنعام: 30].

(2) الإشارة هنا إلى قول سليمان عليه السلام: ﴿لَا تَقْرَءُ الْقُرْآنَ وَمَنْ أَدْبَرَ مِنْهُ فَزَلَّ يَافَاكًا﴾ [النجم: 35].

قوله: «أرغب في ملك لا يبغي لسواك»: أي لا يكون ملكك سواك، بل يكون ملكك عبيدك، فتكون أنت عين ملكك، وتكون نفسك في ملكك تردعا وتحمك عليها، فهذا الملك الذي لا يُشَارَك فيه، فملكت هذا فليحمل الماملون، وفي مثله فليتأس المتأسون⁽¹⁾.

تنشر البساط، وترك الناس في حياض ومياض⁽²⁾.

قوله: «تنشر البساط»: أي قل ما عندك ولا تبالي، وهذا لا يكون إلا مع غلبة الأحوال، وأنا الحكيم فلا يقول إلا في موضع القول.

أطرو البساط، وأهدل إلى الالتباس من الألباس.

قوله: «أطرو البساط إلى آخر المعنى»: أي كن حكيما، ولا تعط الحكمة غير أهلها. الزم المحراب، يأتك الرزق بغير حساب⁽³⁾.

قوله: «الزم المحراب»: أي الزم موضع عبادتك، وموضع عبادتك هو ذاتك، فكأنه يقول: الزم نفسك لتعرف قدرك. قوله يأتك رزقك بغير حساب: أي من حيث لا تحسب، أي إذا اشتغلت فهو يطيقك من العلوم والمعارف ما تحب وتريد.

لا تلزمه سببا متشما، واتخذ إلى التوحيد سلما.

قوله: «لا تلزمه سببا متشما إلى آخر المعنى»: أي لا تجلس مع الرزاق من كونه رازقا، بل اتكل عليه مطلقا ولا تتيكه بطريق الرزق ولا غيره، واجلس معه من حيث هو، لا من حيث أنت.

(1) وفي هذا المعنى ورد الحديث عزَّ ابْنِي عَزْرَةَ - عليه السلام - مرفوعا بقوله: «مجلس جنبل إلى الجن - عليه السلام - فتنزل إلى الشفاء، فإذا نزلت نزل، فقال جنبل: إذا هذا الملك ما نزل منذ يوم خلق قيل شاعروا، قلنا نزل قال: يا شاعروا زلنني إليك زلف، أنتما أي يتشاكرا، أو عينا وشولا قال جنبل: نزلنا مع زلفك يا شاعروا. قال: «بلى عينا وشولا» سرود في سابعهم أحمد وأبو علي والبرزور وابن حبان وابن أبي الدنيا.

(2) في حياض ومياض: أي في المطارب وجبله.

(3) الإشارة إلى مريم - عليها السلام - قال تعالى عنها: «وَلَمَّا مَكَرَ عَلَيْهِمُ الْغَالِبُونَ إِذْ أُنْزِلَتْ عَلَيْهَا رُوحُ رَبِّهَا بِقَوْلِهَا وَهِيَ عِزَّةٌ وَقِيلَ لَهَا تَحْبِسِي عَنِ الْفِتَنِ إِنَّكِ عِنْدَ رَبِّكِ وَكَانَ إِذَا صَبَأَ بِذِي الشَّوْازِ إِذْ يَبْسُطُ سِتْرُكَ لَتُرَىٰ عَلَيْكَ ظُهُورَ الْوُجُوهِ ذُنُوبًا رَأَتْ هُنَّ حِيلَهُنَّ لَأَجْلُ الْغَالِبِينَ فَتُحْصَىٰ لَكُنَّ عَذَابًا غَلِيظًا» [آل عمران: 137].

لا تَهْزِ الْجِلْعَ⁽¹⁾ فِي كُلِّ وَقْتٍ فَلَهُ مَقْتٌ.

قوله: «لا تهز الجلع في كل وقت»: أي لا تقم الدليل في كل وقت على ما تقول، بل قل الحق إذا علمت أنه حق، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر. فإن كان القائل نياً لحديثه يلزمه إقامة الدليل، وأما الولي فلا يلزمه إقامة الدليل. قوله «فلته مقت»: أي في طريق الله تعالى إذ الولي لا يلزمه ذلك.

هَزَهُ فَهُوَ الْمَرَادُ وَهُوَ الدَّلِيلُ عَلَى أَهْلِ الْإِلَهِ وَالْإِلْحَادِ.

قوله: «هزه فهو المراد»: أي هذا مخصوص للثنين، فإنما اتفق للولي أن يكون في مسألة مع قاذح في الشريعة ممن لا يؤمن بها، فقد رخص له أن يذلل على صدق نيته بما يظهره من عرق العادة على وجه التحقني، فيكون ذلك في حق الغير، لا في حق نفسه، وهذا ملحق الشيخ أبي مدين -رحمه الله تعالى-. ولذلك قال في تيسر المعنى: «فهو الدليل على أهل الإلته والإلحاد»⁽²⁾.

(1) الإشارة إلى مريم -عليها السلام- في قوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَبْغِضُونَ آلَ مُحَمَّدٍ سَنُفَصِّلُ لَكَ عَنْهُمُ آلِهَتَهُمْ﴾

جَبِينًا ﴿٢٥﴾ [مريم: 25].

(2) يقول الشيخ في الباب 185 من الفروع في هذا السياق: (يستحيل تبدل الحقائق، فالعبد عبد، والرب رب، والحق حق، والباطل باطل. فإنما ظهر عرق عادة على مثال هذا لما هي كرامة عتقائه، لأن الكرامة تعود على من ظهرت عليه. وإنما يتفق لمن هذا مقامه مثل ما اتفق لنا في مجلس حضرنا فيه ستة وستين وخمسائة، وقد حضر عتقنا شخص فيلسوف ينكر النبوة على الحد الذي يشهد المسلمون، وينكر ما جئنا به الأنبياء من عرق العوائد، وقد الحقائق لا تتبدل. وكان زمان البرد والشتاء، وبين ألبينا مثل عظيم يتشعل نارا. فقال المنكر المكذب: إن الأمانة تقول إن إبراهيم -عليه السلام- ألقى في النار فلم تحرقه، والنار محرقة بطبيعتها الجسم القابلة للاسراق، وإنما كانت النار المذكورة في القرآن في قصة إبراهيم الخليل عبارة عن غضب نمرود عليه وحده، لم يزل الغضب، وكونه ألقى فيها لأن الغضب كان عليه، وكونها لم تحرقه أي لم يألز فيه غضب الجبار لما ظهر به عليه من الحيوة بما أقامه من الأدلة فيما ذكر من لقول الأنوار، وأنها لو كانت آلهة ما ألفت، فرتب له من ذلك دليلا. فلما فرغ من قوله قال له بعض الحاضرين ممن كان له هذا المقام: «فإن أرى بك أنا صدق ما قاله الله تعالى في النار أنها لم تحرق إبراهيم، وأن الله جعلها عليه كما قال يردا وسلاما، وأنا أقوم لك في هذا المقام مقام إبراهيم -عليه السلام- في الدن، صد لا أن ذلك كرامة في حق؟ فقال المنكر: هذا لا يكون، فقال له: أليست هذه هي النار»

كن في الشقائق ثلاث، تفرز عند المقابلة بثلاث.

يعني كالبدر الذي يمتلئ. وللإنسان المؤمن المعارف للمحق تجلي يعني به ليل وجوده، فلا يشاهد فيه من نفسه شيئا سوى ثلاث مراتب كما يعني الليل بالبدر ثلاث ليل، وهي الليالي البيض. وفي مقابلة هذه الثلاث ثلاث تجليات على باطنه مثل هؤلاء من اسمه «الباطن» في قبالة التجلي الآخر الذي من اسمه «الظاهر»، لتتحقق الموازنة بين الظاهر والباطن. ثم على قدر ما ينقص من التجلي في الظاهر يكون مثله من التجلي في الباطن، فلا يزال المعارف كامل التجلي دائما أبدا، إتما من وجه واحد، وإتما من وجهين. فتتحقق⁽¹⁾.

إن وقت على الموائد الثلاث، جُزئت مقام الضحك والاكتراث.

يريد بالموائد الثلاث، الأولى: عالم الشهادة، والثانية: عالم هو الأوسط عالم البرزخ، والثالثة: عالم الملكوت⁽²⁾. قوله «جُزئت مقام الضحك والاكتراث»: أي إذا وقتت عليها حكمت عليها، فلا تفرح بعد ذلك ولا تحزن. وفي هذا المقام تحقق أبو يزيد -رحمته الله تعالى- فقال: «فأنا اليوم لا أضحك ولا أبكي». وإذا حلَّ العبد في عالم الجبروت، وهو

المحرقة قال: نسب قال تردا في نفسك، ثم ألقى النار التي في المقل في حجر المنكر، وبقيت على نياه منها بقاياها المنكر يده، للفتا وأما ما تحرق تصيب، ثم ودعا إلى المقل، ثم قال له: تَرَبْ يدك لهذا منها، فترَبْ يده فأحرته. فقال له: حكما كان الأمر، وهي مأمودة تحرق بالأمر، وتترك الأحرار كنفك، والله تعالى الفاضل لما يشاء. فأسلم ذلك المنكر واعترف. فبذل هذا بغير على نارك الكرامات، لأنه بقيها في زمته نياه عن الرسول -ﷺ- في الممجة والآية على صفته، لجاء بها لإقامة الغليل على صدق الشارح والفقين، لا على نفسه أنه وإن به يفرق هذه العادة، فهذا معنى ترك الكرامات، ولها رجال وهم الملاية خاصة. وأما الصولية فيظهرون بها، وهي عند الأكابر من زُهورات النفوس إلا على حد ما ذكرناه.

(1) سبق الكلام من التسلسل بين منازل القمر ومقامات السلوك بين الظاهر والباطن. ولزمزد التوسع المصير في هذه المعاني يُنظر في الفتوحات الباب 292 من الفتوحات المتعلقة بسورة الليل وهو في معرفة اشتراف عالم النيب والشهادة والباب 293 المتعلقة بسورة الشمس وهو في معرفة منزل وجود سبب عالم الشهادة وسبب ظهور عالم النيب.

(2) يمكن القول أيضا إنها موائد المعارف المتعلقة ببطورات الأفعال وحسرات الأسماء والصفات، وحسرات اللات.

الجبل المتعني لا المستقيم الحاذ.

إذا كنت الإشارة نداء على رأس الجبل، فما عليك بالنساء من بعد.

«عَلَّمَ وَكَتَبَ الرَّبُّ» أي ما تعلمه النفس الحيوانية والروح الأرمي والمثل العلوي من سبحة السرني لها، المصلح من شأنه، «الواقع»: لساقط عليها إذ كانت لها المنازل السفلية من حيث إسكانها مطلقاً، ومن حيث طبيعتها متقيداً، «كالكرون كيلنج» لأنه ما لم يفر ما ذكرنا. فمن عندنا التلقي لتعليق، والتزني لتعليق، وبين طعن الحكيم ظهور البرزخ، فهي لها المجد الشاسع، «والمعلم قرآن».

وفي الباب 90 تكلم الشيخ عن اختيار الله تعالى من البيوت البيت المعمور فقال: (ولمّا اختاره البيت المعمور، لأنه مخصوص بمسألة ملائكة يخلقون كل يوم من قطرات ماء نهر الحياة الواقعة من تضاعف الروح الأمين، لأنه يتلمس في نهر الحياة كل يوم خمسة لأجل خلق هؤلاء الملائكة عشرة البيت المعمور، وهم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا منه لا يوردون إليه أبداً. وفي السّر في السكان الذي يصرونه هؤلاء الملائكة، وما ثم خلا، والعالم كله قد ملأ الخلا، فبعث عليه فإنه علم جليل يوقظك على علم احتمالات الأحياء في الأحياء، وتقلب الخلق في الأطوار).

وفي الفصل 21 من الباب 198 تكلم الشيخ عن التناسب بين البيت المعمور في السماء السابعة والقلب فقال: (وهذا البيت له بابان يدخل فيه كل يوم سبعون ألف ملك ثم يخرجون على الباب الذي بالماء، ولا يوردون إليه أبداً. يدخلون فيه من الباب الشرقي لأنه باب ظهور الأتوف، ويخرجون من الباب الغربي لأنه باب سر الأتوف الملحية، فيحصلون في القيب، فلا يدري أحد حيث يستقرون. وهؤلاء الملائكة يخلقهم الله في كل يوم من نهر الحياة من القطرات التي تنظر من تضاعف جبريل، لأن الله قد جعل له في كل يوم خمسة في نهر الحياة. وبعد هؤلاء الملائكة في كل يوم تكون غوامض بني آدم. فما من شخص مؤمن ولا كافر إلا ويخطر له سبعون ألف خاطر في كل يوم، لا يشعر بها إلا أهل الله. وهؤلاء الملائكة الذين يدخلون البيت المعمور يجسمون عند خروجهم مع الملائكة الذين خلقهم الله من غوامض القلوب، فإنما اجتمعوا بهم كان ذكرهم الاستغفار إلى يوم القيامة. فمن كان قلبه معموراً بالذكر الله مستصحباً كانت الملائكة المغفرة من غوامضه تستقر عن الملائكة التي خلقت من غوامض قلب ليس له هذا المقام، وسواء كان الغوامض فيما بيني أو فيما لا بيني. فالقلوب كلها من هذا البيت خلقت، فلا تزال معمورة دائماً، وكل ملك يتكون من الغوامض يكون على صورة ما خطر سواه).

وفي هذا الموضوع ينظر أيضاً 405 وهو في معرفة منزلة «من جعل قلبه بيني وأخلاه من غيري» ما يدري أحد ما أحبطه، فلا تشبهوه بالبيت المعمور فإنه بيت ملائكتي لا بيني، ولهذا لم أسكن فيه غلبي ليراعى - عليه السلام -.

أي كلامها يُعد وهو التجلي في الاسم «الجيد» الذي قيل فيه ﴿يَتَكَلَّمُ بِحُكْمٍ وَيُنِيرُ﴾ (الصمت: 44). والإشارة على قسمين: إشارة تقتضي البُعد وتبلغ ما لا يبلغ الصوت، وإشارة تقتضي القرب ولكن بحضور ثالث أو أكثر. فالبعد الذي يكون فيه كون الأغيار حاضرين، وهو الذي يُسمى «عائلة الأعين»، وهذا لا يكون في هذا الطريق. ورأى هذا في التجلي، هو تجلي الخيال. ومن تحقق في العبودية لم تكن له عائلة أمين، ولا مكر ولا غيره، لأنَّ مقام العبودية لا يصحَّ إلا لمن دامت مشاهدته، لأنَّ حقيقتها تقتضي ذلك. ومتى أردت المكر بعد فقد خرجت من مقام المشاهدة، ولم تكن عبدا. ومتى طرأ على المتحقق في مقام العبودية طارئ يناقض مقامها في ظاهر الحس، فهي تليده فوقاً كيف التحق في ذلك، وكيف النجم بين الأمرين. فتحقق ترشد.⁽¹⁾

(1) في الباب 280 من الفتوحات المتعلقة بمنزل سورة الهزرة قال الشيخ عن عائلة الأمين: (ومن هذا المنزل قيل للتي - - - في فتح مكة لما وقف بين يديه رجل ممن كان النبي - - - يريد قتله، فلما نفس حاجته منه وانصرف قال النبي - - -: ﴿لِمَ لَمْ تَقْتُلْهُ حِينَ وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْ؟﴾ فقال له أصحابه: «علا أومأت إنا بطرفك؟» فقال - - -: «ما كان لني أن تكون له عائلة عين». وهي حالة لا يُسلم منها، وغاية أن يسلم منها من سلم في الشر. ولما في الخير فإنهم ربما اتخلعوا في الخير طريفاً محموداً، فيومع الكبير في حق المعاصر إلى بعض من يستل أمره أن يحيي. إليه بخلعة أو بهاء يبهى لذلك المعاصر، يكون ذلك ليما بالعين لا تصرعها باللفظ، من غير شعور من يرمي في حبه بذلك الخير. ولا يقع مثل هذا - وإن كان غيراً من نبي -، وسببه أن لا تنتهه النفس، وربما تستعمل في الشر لاستصحابها إياه في الخير، إذ كانت النفس من طبعها أن تسترقها البعد. وإسما سُميت «عائلة عين» لأن الإصباح هنا في النفس إسما هو لفظة الكلام، ليس هو من صفة العين، وإن كان في قوة العين الإصباح بما في النفس بالإشارة، ولكن إسما لها النظر، والذي قطعنا من صفة الكلام إسما هو لفظة يهدا للكلام، فإذا تصرَّفت في تلك الأمة بالإيحاء والإشارة لمن ترمي إليه في أمر ما فقد خلت الكلام ليساً أنتها عليه من ذلك، فلها سميت «عائلة الأعمى». فرُصفت بالغيبة، والغيبة التصرف في الأمة. فإنَّ الأمة ليست بملك لك، وإنك ملهم بأدبها إلى أهلها، فإذا اتقى المنزل الأمر بغير بشر في حق شخص، وفي قوة العين الإصباح من ذلك لمن يشير إليه به، فطعت أن ذلك صفة للكلام فلم تفعل، وودت تلك الأمة إلى اللسان فطقت، فقد أنتت هذه العين الأمة إلى أهلها ولم تخن فيها. قال تعالى: ﴿يَتَكَلَّمُ بِحُكْمٍ وَيُنِيرُ﴾ أي يعلم أنها غيابة، وكيف هي غيابة، ولم يقل «يعلم ما أشارت به الأعين، وما أومأت»، فإنَّ المشار إليه يعلم ذلك، فلا يكون مدحاً. ولكن لا يعلم كل أحد أنها غيابة إلا من أعلمه الله بذلك، وقد أُنشئت بها

إِنْ سَرَتْ بِأَهْلِكَ أَنْتَ نَارًا، وَكَلَمْتَ الْعَزِيزَ جَهَارًا.

قوله: «إِنْ سَرَتْ بِأَهْلِكَ أَنْتَ نَارًا»: أي مِرثًا موسويًا، أي إذا جئت إلى الحق فلا تترك منك مع الكون شيئًا، بل احضر بجميعة، فلا يكون لك غايط تفرقه أبداً، بل تكون مجموع الهم في الدخول على الله تعالى. وإذا خرجت من الحق ترك الكون عنده، وأخرج إلى الحق.

لو لم تسر بأهلك لرأيت النار نورا، وكشفنا في آوّل نظرة عن عينك أخطية وستورا.

قوله: «لو لم تسر بأهلك لرأيت النار نورا»: أي أنك هناك أضفت الأهلية إليك، وصرت مالكا فخرجت عن مقام العبودية. ففي هذا المقام الثاني حيث وجدت معك الجميع من غير إضافة، وما أظلم الكون إلا بإضافة بعضه إلى بعض، وهي ظلمة الذهوى. وفي الآوّل حصل الحجاب بنسبة الإضافة، فاقطن للتقبلية بينهما⁽¹⁾.

لا تطلب رداء⁽²⁾ سواء، لمن توكل عليه كفاه. اطلب الرّداء من جنسك، فإنه قد شاء

أن يكون أقوى لنفسك.

قوله: «لا تطلب رداءً سواء»: أي مينا. وقوله: «اطلب الرّداء من جنسك»: أي لخوارج الطبع، فإذا كنت في مقام لا تتوى فيه على ما ينتضبه المقام الآوّل فانزل إلى المقام

لمستعانة، فهي في الخير عيادة محمود، وفي الشر عيادة ملعون، وما زالت عن كونها عيادة في الحالين. وبعد أن يتأّنك هذا الأمر فاحفظ منها ما استطعت أن تفعلها مع الحضور، فإنك لست بمحموم، فاستعمل الحضور حتى تنوز بهذا المقام.

(1) أي إذا رأيت كلّ شيء كالآل وغيرهم من كلّ بعيد وقريب من الله تعالى وبه وإليه، فإنك لا ترى سوى النور، إذ هو سبحانه نور السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كلّ.

(2) الرداء هنا هو المساعد المعين، ففي الباطن لا ترى العون إلا من الله تعالى، إذ لا فاعل سواه ولنا في الظاهر فاستعمل الأسباب التي وضعها الحق تعالى في سباط حكمت، كما طلب موسى - عليه السلام - وزياراً ورداً من جنسه فقال: ﴿وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فَاصْبِرْ﴾. ﴿وَلَا يَصْرِفُكَ﴾. [التقصير: 34].

الثاني، فهو بمنزلة قوله - ﷺ -: (اعقلها وتوكل) ⁽¹⁾ ليكون القلب مطمئناً.

لَقَدْ تَابَوْنَاكَ فِي الْيَمِّ مَطْلَبًا⁽²⁾، فَلَهُ لَا يَدَّ مِنْ اللَّغَا.

أي: لج في الغمرات فالمقدر كلن.

لَا تَلْهَ بِحَالٍ، وَأَخْلَصَ لِرَبِّ الْوَحَالِ.

أي: إنما ولجت الغمرات لتطهيرك الأكوان، فإذا أخلصت له تعالى فإنه لا تجد من تعظمه سواه، فلا تبقى معك غمرات تخوضها، بل تسلم ولدك موسى تسليماً، و«البحال»: الشفة والقوة فلا تهول لك الشكوك وتقف مع الشهود.

إِنْ خَفَتِ الْقُسُورَةُ فِي الْقَفْرِ، فَاضْرِبْ بِمِصَالِكَ مَتْنِ الْبَحْرِ، فَإِنَّ انْفِصَاحَ لَكَ طَرِيقَ، فَاحْلَمْ أَنَّكَ عَلَى مَنَاجِجِ التَّطْهِيقِ⁽³⁾.

قوله: «إِنْ خَفَتِ الْقُسُورَةُ فِي الْقَفْرِ»، والقسورة: الأسد، أي إذا خفت أسراً هائلاً فوزن بينه وبين ما هو أهول منه، وإرم نفسك في ذلك الذي هو أهول، فإن الهول الذي أثبت نفسك فيه إذا طلب الهول الآخر أهلكه، وخلفت أنت منه، فذلك قوله «فاضرب بمِصَالِكَ الْبَحْرِ». فطليق في المكان الذي التجأت إليه لتخفر ذمة الحق نيك، فتهلكه الذي استندت إليه. ويُنظر إلى هذا ذمة الإسلام وقوله: (يسمى بلمنتهم أعتابهم)، فما ظنك بلمنة الحق. قوله «لِإِنَّ انْفِصَاحَ لَكَ طَرِيقَ»: أي إذا رميت نفسك فوجدت سكوتاً وطريقاً فاحلم أنه قد قيلك، فحيث من طلبك أهلكه.

لَا تَخَفْ وَلَا تَضْرِبْ، وَابْتَثْ وَلَا تَهْرِبْ.

قوله: «لَا تَخَفْ» هنا مقام القوة⁽⁴⁾، والأول مقام الاضطراب.

يَا عَجَباً كَيْفَ السَّلَامَةُ وَالْبَحْرُ مَتْنِفٌ وَالْقُسُورَةُ فِي الْيَمِّ. لَا مَلْجَأَ وَلَا قُدْرَ، وَإِلَى رَيْكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسْتَرْ.

(1) الحديث أخرجه الترمذي من حديث أنس بن مالك - ﷺ - وابن حبان وأبو نعيم في الحلية.

(2) إشارة إلى إلقاء أم موسى الشجيرة الذي فيه موسى في اليم.

(3) الإشارة إلى موسى - ﷺ - لما ضرب بمِصَالِكَ الْبَحْرِ فلتفتق، ومن وراء قومه فرعون وجنوده المشبه بالقسورة الذي هو الأسد الهائج.

(4) من هذا المقام قوله تعالى لموسى - ﷺ -: ﴿فَإِذَا تَخَفْتَ لَيْلَتَكَ مِنَ الْيَوْمِ﴾ [طه: 68].

أي يا عجايب كيف يسلم الإنسان والطريق بعيد والآفات كثيرة. والقصور هاهنا هو الهوى، وهو غالب، فلذلك لا ملجأ لك إلا الله الذي إليه مستقر.

إننا توكلت عليه في حفظك ونومك، وعلمت أنه لا بد من يومك، فلا تعجل عن يومك⁽¹⁾.

قوله: «إننا توكلت عليه إلى آخر المعنى»: أي إذا تحققت بمعرفة القدر فلا يؤثر ليك الحذر ولا غير الحذر، فلا تطلب غدا أبداً، واترك غدا هو الذي يطلب بما فيه من التجليات. قوله «فلا تعجل عن يومك»: لنا عجل موسى - عَلَيْهِ السَّلَام - إنما عجل للأمر ليكون من الماسحين إلى الخيرات. وألا لو عجل من غير أمر لكنت عجلت إلى هوان، وهو - عَلَيْهِ السَّلَام - كان من العارفين بالله المحققين، وإنما عجل للأمر الإلهي.

واجعل للنور المبين لعل قومك يفتنون.

قوله: «اجعل للنور المبين»: أي أنت في دار التكليف، فإذا جاءك الأمر فبادر إليه. لمشي ووددت على الحق فلا بد من ضيافة يضيفك بها، فلم تكن ضيافة أعلى عند الله تعالى في حقل أن تفتن وعينك من بعدك في دينهم. فإذا رجعت إليهم ووجدت ما وقع بعدك من قسوتهم تألمت. فالذي يحصل لك في ذلك التألم هو ضيافتك عند الله تعالى. فإن لم تجد ذلك الألم عند ذلك الأمر فاعلم أنك مبهود ولو رأيت من الحق. ولنا أضاف الحق سبحانه لموسى - عَلَيْهِ السَّلَام - بكلامه، بقي من كمال النعمة أن يضيفه طاهراً، فابتلاه بالآلام الداعل على قلبه من عبادة قومه للعجل، ليجعل ذلك البلاء سبباً للضيافة الطاهرة لشم النعمة.

لا تستخلف على أئمتك، فإخلف بعض الناس في حجتك.

أي أنزل الحق خليفتك عليهم كما قال - عَلَيْهِ السَّلَام -: «اللهم أنت الخليفة في الأهل⁽²⁾». وأما موسى - عَلَيْهِ السَّلَام - فمن فرحه وسروره بوعده الحق له استخلف أخاه

(1) الإشارة إلى قوله تعالى عن موسى - عَلَيْهِ السَّلَام -: ﴿وَمَا أَسْأَلُكَ مِنْ كَرَمٍ يَبْتَدُونَ﴾ (٢٠) قَالَ قَدْ قُتِلَ قَتْلًا قَرِيبًا وَتَوَسَّطَ بَيْنَهُمَا رَجُلَانِ ﴿٢١﴾ (٨٤ / ٨٣).

(2) الحديث: «اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل» - رواه مسلم وغيره من حديث ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -.

لفرض سروره بالوعد.

استخلف ولا تعرف.

أي استخلف الحق في الحقيقة، ولا تبالي حيث بمن تختاره من عالم الحس، فإنك إذا تركت على الحق واستخلفته، وفق خليفك الذي هو في عالم التكليف، وهي سنة الله تعالى.

لا تطلب مائدة حتى تعرف شرطها، ولا تقصد رطبها وحطبها حتى تعرف معناها، وما أراد بها مولاها⁽¹⁾.

أراد بالمائدة أي حاجة طلبت، فلا تطلبها حتى تعلم ما يترتب عليك من الحقوق من جانب الله تعالى. فإن علمت أنك تقوم به فيحصل، وإن لم فلهذه سبحانه يختار لك ما يعلم فيه صلاحك. وانظر قوله تعالى في شرط المائدة: ﴿مَنْ يَخْرُجْ مِنْكُمْ فَيَكُلْ أَطْعَمَهُ حَتَّى لَا يَذُقَ لَذَّةً مِنْ كَلْبِهِ﴾ (المائدة: 115)، وذلك بمنزلة من يطلب الإمارة فيؤكل إليها، وإن جاءت من غير طلب بعث الله إليه ملكاً يسدّه⁽²⁾.

لا تطلبها ما يبيش، واشتغل بما به نويش.

أي اشتغل بما ألزمت به من غير طلب.

إن ألبست النض، أحييت الموتى وأبرأت الأكمه والأبرص⁽³⁾.

أي إذا وردت عليك مسألة شرعية في طرق المعاملات، فتركت ظاهرها، وعملت على التأويل، فكانت شرعت لنفسك شرعاً، وهذا في المعاملات الظاهرة. وأما

(1) الإشارة إلى طلب المحاورين من عيسى -عليه السلام- نزول مائدة من السماء.

(2) روى البخاري في صحيحه عن عبد الرحمن بن سبرة -رضي الله عنه- قال قال لي رسول الله -ﷺ: «يا عبد الرحمن بن سبرة لا تسأل الإمارة فإن أعطيتها عن مسألة أُبقيت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أُبقيت عليها، وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها غيراً خيرا منها فأتها الذي هو غير وكفر من يمينك». وفي نفس المعنى وردت روايات أخرى.

(3) الإشارة إلى عيسى -عليه السلام-، قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَى تَبَرُّؤِكُمْ إِلَى اللَّهِ فَيُقْبَلْ مِنْكُمْ وَلَكُمْ مَغْفِرَةٌ وَسَعِيدٌ﴾ (البقرة: 129). قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَى تَبَرُّؤِكُمْ إِلَى اللَّهِ فَيُقْبَلْ مِنْكُمْ وَلَكُمْ مَغْفِرَةٌ وَسَعِيدٌ﴾ (البقرة: 129).

الكشوفات العلمية فلا يأخذ منها إلا المعاني فقط، وأعدل عن الصور والألفاظ التي تحتاج إلى التأويل، فإن المعاني لا تتدخل، وهي نصوص التجليات.

جَنَّبَ النَّعْرَ، وَعَلَيْكَ بِالْبَحْثِ وَالنَّحْصِ.

أي هذا لأجل قوله تعالى: ﴿فَلْيُحْكَمُوا بَيْنَهُمَا فِي الْحَقِّ عَلَى الْحَقِّ وَالْعَدْلِ﴾ (يونس: 101) وقوله: ﴿وَلْيُحْكَمُوا بَيْنَهُمَا فِي الْحَقِّ عَلَى الْحَقِّ وَالْعَدْلِ﴾ (آل عمران: 191). فهاتان نظرتان امتثلتا لهذا الأمر. وإذا تأملت هذا الأمر حقه حيث يطلب من الحق الفاعلة التي يصحبها الحق سبحانه، لا من الفكر. وكذلك إذا سمعت كلام المخلوقين فسمعت من سبحانه، وتطلب منه أن يتبع القول، فتجيب نص الكلام الظاهر المسموع الكوني، وتأخذ من الحق فيه أحسن ما تحصله وجوه ذلك القول⁽¹⁾.

لا تجعل الغرباء عليك فتنة، ولا تترك أهلك على ظهر الأرض لقي^(١٠).

أي لا تجعل النيب دليلا على الظاهر، فإنه لا يصح وأنت في الظاهر في الاختيار. فإن كنت في مقام السمع عن الله تعالى، ويكون ذلك اللفظ قد وضع لأمر آخر، وفي قوله أن يعطى ما يرده عليك، فقد يكون في هذا الموضع الظاهر دليلا على الباطن.

هو أسد خليل، علي أرفع ميل.

قوله: «هو أسدٌ دليل» أي الغيب دليل على نفسه، والشئ إذا كان دليلاً على نفسه كان أوضح الأشياء.

لا يَهْلُبُ عَلَى مَقْلَتِكَ النَّوْمُ، فَتَعْتَقُ خَشْيَتُكَ لِي حَرِّ الْقَوْمِ^(١).

أي إذا لم ترأب عواطفك فإنها تنصرف في ما لا ينين، والنفس هو الزمى لئلا،

(1) للتوسع في موضوع السماع المطلق ينظر في الفتوحات البابان 183/2/18 وهما في السماع والمسموع.

(2) لقن: غلب، والإسراء: إلى قائل، قال تعالى: **وَلَقَدْ لَعَنَّاهُ فَذَرَيْنَاهُ فِي يَدَيْ آلِ فِرْعَوْنَ** سورة أعراف: 13. **وَلَقَدْ لَعَنَّاهُ فَذَرَيْنَاهُ فِي يَدَيْ آلِ فِرْعَوْنَ** سورة أعراف: 13. **وَلَقَدْ لَعَنَّاهُ فَذَرَيْنَاهُ فِي يَدَيْ آلِ فِرْعَوْنَ** سورة أعراف: 13.

(3) الإشارة إلى حكم دود وسليمان عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْبَشَرَ حَقًّا لَوَجَدْتُمْ بُرْهَانَ رَبِّكُمْ وَلَئِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذَلِكَ لَنَرْسِلَنَّ فِيكُمْ بَارِئًا مِنَ الظُّلُمَاتِ أَن يَبْلُغَ الْبَشَرَ حَقَّ سَعَتِهِمْ وَأَنْ يَسْعَوْا إِلَى رَبِّهِمْ فَوَافِقِينَ ﴿١٧٩﴾﴾ (النبا: 179).

وهو محل الظلمة والغيب.

نَمَّ لَهُ تَوْنِي الْقَهْمِ.

أي إذا نمت صرت في عالم البرزخ، وهو موضع اليقظة للواقع والمشاهد، هو عالم الغناء.

لا تكن جبكرا ليخدعك الطريق، حتى يصيرك ضجيع الطريق.

أي لا تصف بالكثير والجبروت من غير أن يعطيك الحق ذلك، فتضل عن طريق الحق، كما فعل يفرعون لما تكبر بغير حق فأغرقه الله تعالى.

كن جبكرا على من تمرّد واستكبر استكبارا.

أي ذلك الوقت لئلا يس خلمة الحق، فتقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ﴾ [هجرة: 73].

اجعل الأصنام جللا⁽¹⁾، واعتصم بالله عيانا.

أي لا تستند إلى غير الله تعالى، بل إلى الله وحده ربّ الأرباب.

لا تترك الكبير، وقارنه في الهلاك بالصغير.

أي أن إبراهيم - عليه السلام - ما ترك الكبير إلا ليقم الحجة على خصومه، وأنت لا عصم لك، فلن تترك الكبير؟ وما ثم إلا الحق وأنت.

اترك الوجود على ما هو عليه، فكل ميسر إلى ما يسر إليه.

هذا مقام ملهف سهل (التسري)، أي إذا كان الأمر في غيرك، فدع حكمة الله تسري في عبادك واشتغل بنفسك. وأنتا إذا كان في نفسك فاجعل الأصنام جللا كما تقدم.

شغشغ عن الكوكب والقمر، وإذا رأيت الشمس فلا تقل هذا أكبر⁽²⁾.

(1) الإشارة إلى إبراهيم - عليه السلام - ونظمه أصنام قومه، قال تعالى: ﴿فَمَا تَدْعُوا إِلَّا أَسْمَاءَ﴾ [نمل: 24].

(2) الإشارة إلى إبراهيم - عليه السلام - ومجانة قومه، قال تعالى: ﴿وَمَا تَدْعُوا إِلَّا أَسْمَاءَ﴾ [نمل: 24].

والأسماء: 179/76.

أي لا تطلب الله تعالى بالدليل، بل سله بعزتك بنفسك.

لاتتق مع السليح من الأفلاك ولعزب إلى الله في التنازع حيث الاستواء والإملاك⁽¹⁾.

أي إن أوقفك الحق مع موجود من الموجودات، فاعزب في آخر موجود حتى لا يكون بينك وبين الحق كون آخر يتعزى إليك، وأنت آخر موجود، فاعلم ذلك.

ارفع الهمم واستعد لتحلة القسم.

أي لا تترك همك تتعلق بغير الله. وقوله «استعد لتحلة القسم»: يريد أن الإنسان إذا كان يطلب معالي الأمور، فلا بد له من الشفاعة والابتلاء، وذلك حظ الأنبياء والأولياء وكل من لا يدخل النار، من النار⁽²⁾.

إن حل الشمس في حركتك أيتها، وثاقها غيرك وعابيتها.

الحقل بيت شرف الشمس، أي حيث تأمن من النار، لأن الشمس نور، ومن عادة النور أن ينجيد النار. وانظر إلى الحكاية المعروفة من الذي قال إن العين التي كنت أعابيتها حملت عني الألم، فلما غابت عني أحسست بالألم. قوله «وثاقها غيرك وعابيتها»: أي ترى غيرك من المحجوبين الذين هم بغير نور إلهي كيف يلوغونها وأنت تمانيتها ولا تؤذيها.

فلن تنزه نفسك عن القدم.

أي تنزه ذاتك أن تصف بصفة واجب الوجود.

وأناك جميع الكلام والحكم.

أي أعطاك الميراث النبوي، فميت:

(1) سليح الأفلاك هو السماء السابعة، والشمس هو الفلك المكوكب، والتنازع هو العرش المحيط الذي استوى عليه الرحمن.

(2) أي إن شغلهم في الدنيا هي حظهم من النار، وفي الآخرة لهم التيمم العظيم. أمّا قول الشاعر لأوصالهم مشاورة منها، قال تعالى: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْلَهُمْ﴾ [الأنعام: 139]. ويقول الشيخ في الباب 367 من الفتوحات:

فالنار منك وبالأعمال توقدعا كما بصالحها في الحال نظفها
فأنت بالطبع منها عارب أبدا وأنت في كل حال فيك تشفيها

فَتَشِيدُ كَمَا أَتَشَدُّ وَلَا تَهْتَمُ:

يشير إلى التظلم الذي يلي هذا الكلام، وهو:

بِمَشْنِي أَصْحَى إِلَى الْأَمَمِ نَالِبًا عَنْ كَعْبَةِ الْحَرَمِ

قوله: «نَالِبًا عَنْ كَعْبَةِ الْحَرَمِ»: يشير إلى ما قال- عَلَيْهِ السَّلَامُ- مخبراً عن الله تعالى: (لَا يَسْعَى شَيْءٌ، وَوَسَعَنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ) الحديث⁽¹⁾. فكان القلب هنا أوسع، فلزم شرع الطواف بالعارف لكان الطواف به أوّلى من البيت. وذكر كعبة الحرم تشرعاً. وكونه جمع «الأمم» في أول البيت: يقول كل بيت لأمة من الأمم يُطَاف به، فبني بني عنه لجميع لسان المقامات⁽²⁾.

فما من ملّة من الممال، ولا لأهل نِيْخْلَةٍ من الشُّكُل، إلا ولها وجه إلى الحق في نِيْخْلِهَا، إذ لا ناصب لها إلا الله تعالى، فلا يخرج عنه شيء⁽³⁾. قال أبو العتاهية - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -:

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ
كَعْبَةُ لِلْحَرَمِ⁽⁴⁾ طَافَ بِهَا كُلٌّ مِنْ بَشَرٍ عَلَى لَبَمٍ

(1) الحديث القدسي: «مَا وَسَعَنِي أَرْضِي وَلَا سَعَانِي، وَوَسَعَنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ» له شاهد عند أحمد والخطابي وابن ماجه. واستشهد به الشيخ في العديد من أبواب الفتوحات وكتب له أخرى.

(2) في هذا السياق وردت روايات حديث متطابقة المعنى منها قول عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُتَيْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -:

رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَيَقُولُ: «مِنَا الْحَبِيبِ وَالْمَلِكِ وَيَسْتَبِ، مَا أَطْنَقَكَ وَأَسْطَمَ حُرْمَتُكَ، وَالَّذِي نَفْسُ شَعْبَدٍ بِيَدِهِ لَنُزْنَةُ الْهُدُومِ أَطْنَقَ عِنْدَ اللَّهِ غُرْنَةُ بَعْدَ تَالِي وَتَدِيهِ وَأَنْ تَطْلُبَ بِهِ إِلَّا غَيْرَهُ». وفي الباب 72 من الفتوحات المصنّف بأسرور الجمع يُنظر مدى تعظيم الشيخ للكعبة المشرفة، وله كتاب في مخاطبة الكعبة بأسس عبارات الإجلال والحب، سَمَّاهُ «تَاجُ الرِّسَالِ وَمَنَاجِزُ الرِّسَالِ» يتضمن سبعة رسائل، لكل شوط من الطواف رسالة.

(3) قال تعالى: ﴿وَلَا تَكْبِرُوا لِلَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ هُمُ الَّذِينَ هُمْ أَكْثَرُ سَعَةً﴾ [الأنعام: 108]. وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ مَتَكِّفٌ بِرَبِّهِمْ يُعَلِّمُهُمُ مَا يَكُونُ لَكُمْ مِنْهُ وَمَا يَكُونُ لَكُمْ مِنْهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الحج: 67].

(4) أي إن الدورث المحمدي في عالم الأسرار والأرواح يقصده طلاب طريق الحق كما يقصده المحتاج الكعبة المشرفة.

أي دخل فيها كل حبة لقوله «كل من يمشي على قدم». قال تعالى: ﴿لَا تُكَلِّمُوا هَذِهِ الْقَوْمَ﴾ (الأنعام: 38).

من أراد الحج بقصدهما من جميع الشرب والمبجم
الحج هاهنا مضموم بالسالكين. وقوله «من جميع العرب والمبجم»: أي من علم ومن لا يعلم.

إنما سر الخلق كلهم وإنما الأقيسة كلهم
قوله: «إنما سر الخلق كلهم»: أي من كوني إنسان كامل، والخلق بقية كل ما سوى الإنسان. وقوله «إنما أقيسة الكلهم»: أي أنا أئمة جميع العالم، في يترجم الجميع⁽¹⁾.
إنني شفيع وقّتر إفا لم يكن بالترجيع من إرم
يرود بالشفع وقية الإنسان في وجوده في محل الشفعية، وإفا كان بالحق فما في النار حيث لا الله.

أنا: «كُنْ»⁽²⁾ لكنني شيع لجبل للجهل والجكم
يقول: أنا كلمة الحطرة لكنني شيع قابل للجهل والجكم، كما أنّ «كن» تتعلق بإيجاد الجاهل والعالم.

فيكون الجهم في سبب ويكون العلم في علم
أي يكون العلم في ارتفاع، ويكون الجهل في سفل.
إنني لؤحان قد رُكّما غير أنّ الوتر في القلم
الرقم هو من الوجهين الواحد في عالم الغيب والأخر في عالم الشهادة، والقلم الزائم واحد.

أنا وصف الوصف فلتصفوا أنا ذات الصفات فالتزم

(1) الأئمة: جميع السومة، وهي المخطوطة المقسومة بين العباد.

(2) التكلم هنا هو لسان الحطرة المستندة. والإنسان الكامل ذو الشان العظيم هو سيدنا محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الأنعام: 102) [الترغيف: 81].

(3) من إرم: من أحد.

(4) أي أنا موجود بأمر الله «كن»، فلما تظهر لها.

قوله: «أنا وصف الوصف»: أنا معنى الوصف الذي هو حكم الصفة. وحكم الصفة أن يقال عالم لمن قامت به صفة العلم. وقوله «أنا ذات الذات فالترم»: وإنما قال في الذات «الترم» للواحد لأنه ليس للذات سوى وصف واحد ثبوتي، وأما الصفات فكثيرة فلذلك جمع فيها وأُفرد في الذات.

أنا سر السر مدخلت هتني عن موقف الهمم

سر السر هو الغيب الذي يدل عليه السر، وهو ما لا يُعلم ما يُعلم بعد ذلك.

أنا نور النور مدبر زت بوجودي ذرة الظلم

قوله: «نور النور»: أي أنا الذي أضاء النور به. وعني بالنور الذي كتبه هاتما النور المضاف إليه نور السماوات والأرض، وهو النور الذي ظهر به عالم العلويين والتسطير. ونور هذا النور الذي أضاء به النور الذي تصبغ به العماء الذي خلق فيه -الملائكة تكموا كالكواكب- والكرويون. وقوله «ذرة الظلم»: هو النور الذي وُجدت به عالم الخلق وتصبغ به، وهو النور الثاني⁽¹⁾، تتحقق ترشده.

أنا عز العز ما ملكت نفسى فلت الدل والتمم⁽²⁾

قوله: «أنا عز العز»: أي بي يحتمي الأحمى، إذ الجنى الذي للملك: أنا أحمى بالملك، كقوله «نور النور». فلم تملكني الحكيم المعارف الأسماوية الإلهية لتحتفي بعبوديتي، فالعبودية «فانت الدل والتمم»: فالدل منها ما لها من الإمداد في العالم، وهو من الجارية بمنزلة غفلت شمرها، لأن «الدل» في اللغة هو الشعر المدلى. والتمم ما لعالم الطبيعة فيها من التأثير لأنها مطلوبة بالترول إليها، كما طلبت هي الحق للترول إليها.

من وأنى قد زأى ما غنى نسي مشال النور والوهم⁽³⁾

(1) لمعرفة تفصيل نشأة مراتب الوجود من عنصر النور المحسني الأول وما يضاهيها في الإنسان، يُنظر كتاب الشيخ «عقائد مغرب»، وشرحاته عليه. ويُفتر لها كتابه «مفلة المسترز» والباب السادس من الفتوحات وهو في معرفة بدء الخلق والروحي.

(2) التمم في اللغة نبات ألسن دائم الخضرة يُخذ من خشب، والتمم يقال لها على الخيوط التي يعلق بها الكرم في تطريسه.

(3) روى الترمذي قوله -عليه السلام-: «من وأنى قد رأى الحز». وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ سَازِجَةٌ﴾ [التنج: 10].

قوله: «في مثال التور والقدم»: هو ما ظهر، والقدم نفي الأوليّة. وإن كان «القدم» ينفتح المقاصد فهو العنايه السابقة. ولأرداه «مثال» قوله في التشبيه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الذِّكْرُ﴾ [التور: 35].

بلغ الغاية قلب فتى لهمين الله مسلم

قوله: «لهمين الله مسلم»: أي أخذ العهد على أن لا يذمي شيئاً من الزبورية.

قد أبحتنا لشمها فمه عليّة في سابق القدم

قوله: «عليّة في سابق القدم»: كأن الحق يقول: لعلّ منزلة عندنا متناه بهذه الصفة السابقة القدم أنّ له قدم صدق عنده.

سعد نفسي إنها سعدت بسلوك الوافح الأتم

قوله: «الوافح الأتم»: أي متنجح الشريعة الذي سلكت عليه لهذه المرتبة. وال«أتم»: الطريق المستقيمة.

لم ينلها غير حاشيتها مثلها في سالف الأسم

أي سلكتها بعشق ومحبة، يعني أنه كان في مقام المحبة، وهي إرادة خاصة.

يا رجلاً لا غيرنا طليوا أين جود البحر من كرمي

يريد أنّ كرمي لا يشبه بالأكوان.

لرجعوا واستلموا كفّ تن إن يهب لم يخش من عدم

قوله: «لم يخش من عدم»: أي أنّ له الذنئ المطلق في عبوديته عن كلّ ما سوى الله تعالى.

كلّ طرف في الخلق سائح نحنونا، وجدفتنا يرتي⁽¹⁾

كسل سرّ عالجني والنج لرجوعي رغبة ينتمي

يقول: كلّ بركات معارج الهمم إلينا ترتي، وكلّ سرّ، أي كلّ ما في العالم من العلوم والأسرار ينتمي إلينا يقول: «أنا من فلان».

مد حبلى الشمس في حقلتي أمتوا تجلّة القلم

(1) وجدفتنا يرتي: أي يطلب وجودنا في وُجده.

قوله: «حَلَّ الشمس في حملي»: أي طلوع الحق في برج الحمل، وهي صفات التنزيه.
وقوله: «أمتوا تحلة القسم»: أي من عالم العقل أنَّ يؤثّر فيه عالم الطبيعة⁽¹⁾.

لَم نَزَلْ وَلَا نَزَلَ هَذَا فَسِي تَحْمِيْمٍ غَيْرِ مُنْهَرَمٍ

قوله: «لَمْ يَزَلْ فِي نَعِيمٍ»: أي استمرار المشاهدة في وجه الحق حيث كان.

وَشُمُوسُ الْوَصْلِ طَالِمَةٌ وَعُسُوفُ الْهَجْرِ لَسِي عَدَمٍ

الوصل عبارة عن الوجود، والهجر عبارة عن العدم.

انظروا قولي لكم فليقد عين كل الناس عنه عيبي

أي ما كُتِل أحد يرى هذه المعاني التي رأيناها. وأراد بالعين أو الطرف عين البين.

تَجِدُونَهُ وَافْصَحَا حَسَنًا مَنْبِشًا عَنْ رَتْبَةِ الْكُرَمِ

يريد بربوبية الكرم: العطاء الذاتي.

ثم قال: يا بني، فإذا ظهرت لمستوى، وأُبدت بالأسرار الإلهية والقوى.

قوله: «لمستوى»: أي لأمر يستوي عليه كائنات ما كان. ومعنى «ظهرت له»: أي كان تحت نهره، ولذلك قال بعده: «أُبدت بالأسرار الإلهية والقوى».

سَمِعْتُ صَرِيفَ الْقَلْبِ فِي لَوْحِ الْمَحْوِ بِالْقَدَمِ

قوله: «سَمِعْتُ صَرِيفَ الْقَلَمِ»: يراد ترجمة المسطر المعبر عنه بالقلم. وقوله «في لوح المحو بالقدم»: أي أثبت لك المعرفة بأنك محو، أي فلا تطمع بالنور الذي عندك فهو حارة للحق. وكذلك خلق الله القمر محوًا في الأصل، وشُيَّ بمجاورة الشمس له: «نور»، لا من أصله.

هَنَالِكْ إِنْأَ لَمْ تَرِ شَيْئًا لَقَدْ رَأَيْتَ، وَإِنْأَ لَمْ تَسْمَعْ شَيْئًا لَقَدْ سَمِعْتَ.

أي يرى حيث لا يرى الحق لأنك أثبت بالمعجز لعدم الإدراك، وكذلك قوله في السماع.

فَإِنَّا رَفَعْنَا لَكَ سِرَّ السِّرِّ، وَاتَّصَلْنَا بِالشَّمْعِ بِالْقَوْتَرِ، كَانَ هُوَ وَلَا أَنْتَ، وَظَهَرَ الْحَقُّ وَغُيِبَتْ،

وَحُجِبَتْ عَنِ الْبَيْتِ، وَعَنْ صَاحِبِ الْبَيْتِ، فَرَأَى نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ، وَعَادَ الْعَدَدُ إِلَى أَثَرِهِ.

(1) برج الحمل هو برج الشرف للشمس، يعني هنا أنَّ يشرق نور التوفيق والمعرفة الإلهية في ذات السالك المحتدي، بأن عالم هذه من تأثير ظلمات الطبيعة.

قوله: «إذا رُفِعَ لك عن سرّ الستر»: أي تعلم لأي شيء حُجِبَتْ. قوله «واتصل الشفع بالوتر»: أي ظهر الحق فيك، واتصل اتصال مجلى الشمس في البدر: اتصال من غير اتصال، وانفصال من غير انفصال. قوله «كان هو ولا أنت»: أي لا يصح ظهوركما معا قط، فإذا ظهر الحق خفيّت، وذلك عند تجليه لك فتغيب عنه وعن العلم به لخفاك فيه، فلذلك قال: «قرأى نفسه بنفسه، لأنني لمّا استترت بي عنه إجلالا له، استترت فيه عني جزاء لاستتاري بي عنه إجلالا له. وذلك أنّ العبد في حضوره في مقام العبودية مستور عن الحق تنزيها للحق، لا يرى في عبوديته منه شيئا. فلما أخذه الحق من عبوديته لهذا المشهد استتر العبد في الحق عن وجود نفس العبد، جزاء لما تقدّم وفاقا. فتحقق ترشد وقل: ربّ زدني علما.

فإن قضى لك بالرجوع، ومفارقة ذلك المكان المنيع، ولا بدّ ذلك للوارث فإنه من تمام النعمة، ولطيف الحكمة، حتى ينتم الظاهر والباطن، ويُتَرَى الزّاحل والقاطن، فاجهد في سلوك هذه المقامات، واعلم أنه من أراد اللقائات⁽¹⁾، فسلم الأمر إليه، وتوكل في سلوكك عليه، حتى تقف بين يديه.

قوله: «فإن قضى لك بالرجوع»: إي إلى عالمك. قوله «ومفارقة ذلك المكان المنيع»: أي الذي لا يُنال. قوله «ولا بدّ للوارث من الرجوع»: أي الوارث للرسّل في التبليغ عن الله تعالى، لأنهم رجعوا من عند الله تعالى إلى العوالم، وبالله التوفيق. قال السالك:

ثمّ قال لي: اسبرّ هذه الوصية في محلّ النظر، ومجاري الميّر، وتخلّق بها على الطرد والعكس، تارة مع العقل وتارة مع النفس. ففرحت بوصيته⁽²⁾، ورغبْتُ في استدامة صحبته.

قوله: «اسبر هذه الوصية»: أي اختبرن والمسبار هو المزود الذي يُختبر به عمق الجرح.

(1) أخبر النبي ﷺ أنه لن يرى أحداً ربه حتى يموت، أخرجه مسلم في صحيحه.

(2) أي وصية الوصي قطب الشريعة.

فقال: آلى العبد أن لا يصحب سوى مولاه، ولأن لا ينتظر سواه. ولم يزل يطلب في
القاء، ويجهد في التناء.

قال السالك:

فقام أهل المجلس وقالوا على لسان واحد:

يا سيدنا أنز الله فزك، والحق بك الحق وفزك، أنت من عظم ما أصبح لسانه،
وأحسن بيانه، وأطلق في شأو البقاء غنائه، وأكن من الفز جنانه، وأكتب للبدائع بنانه،
وأعذب كلامه، وأشهى إلى الأسماح نثره ونظامه، لقد بالفت في الوصية، وأوضح
المقامات السنية، وأمرت عن أسرار الصوفية، وطلعت على الطريق الأنوم، والمنهج
الأكدم، جازى الله سبحانه مجدكم على ما منح، ووهب له جزيل الوهب.



الرفارف العلى

بسم الله الرحمن الرحيم

قال السالك:

لَمْ أَنشَأْ نَشَأَ أُخْرَى، وَتَلَى: ﴿لَمْ يَكُنْ لَكَ آتَرٌ﴾ [المؤمنون: 44]، فَسَقْتُ جَنَاحَ
الطَّافِئَةِ، وَاسْتَوَيْتُ مَتَوْنَ الرَّفَارِفِ⁽¹⁾.

قوله: «الرفارف العلى»: يريد بها هاجتا المراتب.

وَمَطَرْتُ فِي جَوْ المَعَارِفِ، كَالْبِرْقِ الْخَافِئِ، وَإِذَا هِيَ لِلْإِسْلَامَةِ وَفَرْفٍ، تُلْقَى بِالْمَلَأِ
الْأَشْرَفِ.

قوله: «للإسلامة وفرف»: أي للإسلامة عُلُقُ الإلهية، وهو غير عن النبي -ﷺ-: (إِنَّ هَذَا
لِلْإِسْلَامَةِ عُلُقٌ، مَنْ تَخَلَّقَ مِنْهَا بِخُلُقٍ لَقَدْ سَعِدَ)⁽²⁾.

(1) كلمة «فرف» تنمى عند الشيخ المقفعات العلوية بين الكرسي والعرش، أو مدفوح الجنان أو
المراتب الملائكية.

(2) الحديث وروى عنه الطبري، وله روايات أخرى مطابقة المعنى. وقد تكلم الشيخ عن معنى هذا
الحديث في الباب 73 من الفتوحات في جوابه عن السؤال 46 من أسئلة الحكيم الفرماني: كم
عدد الأخلاق التي منتهى طهارة (أي منها) آدم -عليه السلام-؟. الجواب: للإسلامة عُلُقٌ، وهي
التي ذكر النبي -ﷺ-: «وَأَنَّ هَذَا لِلْإِسْلَامَةِ عُلُقٌ، مَنْ تَخَلَّقَ بِرُوحِهِ مِنْهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ». ولهذا قال في
الإسلامة إنهم على قلب آدم -عليه السلام- يعني هذه الأخلاق التي منح الله آدم. فمن كملت نشأته
من بينه لجل هذه الثلاثية من الخلق. ومن لم يكمل كمال آدم لله منها على قدر ما أعطى من
الكمال، فمنهم الكامل والأكمل. وهذه الأخلاق خارجة عن الاكتساب، لا تكتسب بسل، بل
يعطى الله اختصاصاً، ولا يصح التخلق بها لأنه لا أثر لها في الكون، وإنما هي إعدادات بأنفسها
لتجليات إلهية على صعداء لا يكون شيء من تلك التجليات إلا لمن له هذه الأخلاق، فتابعك من
أخلاق لا تعلق لها لمن كان عليها واتصف بها إلا بالله خاصة، ليس بيننا وبين المخلوقين نسب
أصلاً. يقول النبي -ﷺ-: «مَنْ تَخَلَّقَ بِرُوحِهِ مِنْهَا» أراد من اتصف بشيء منها، أي من قامت به.
فإن الأخلاق على أقسام ثلاثة: منها أخلاق لا يمكن التخلق بها إلا مع الكون كالرحيم، وأخلاق =

فمايت من علم الغيوب عجاليا تصان عن التذكار في رأي من وهي

قوله: «فمايت من علم الغيوب عجاليا»: أي في سفره هذا، وهو السفر في الله. وهي ثلاثة أسفار: سفر منه، وسفر إليه، وسفر فيه. فالسفر منه هو الخروج من حضرة الشهود إيتا لتجول آخر، وإيتا إلى الكون. والسفر إليه قد يكون منه، وقد يكون من كون تاء، إيتا النفس أو غيرها. والسفر فيه لا يصحبه حجاب، وليس للكون دخول فيه أصلا. ويريد بالغيوب هاتين الغيوب اللاتية، التي ترجع إلى الحق تعالى، والغيب علينا مثل الستر، وهو ظل الله تعالى. قوله «تصان عن التذكار»: أي لا تحملها العبارة ولا تجد إليها سبيلا.

فمن صادحات فوق حصن أراكاة يهيمن بلايل الشجر إيتا خلدا

قوله: «فمن صادحات»: أي خطاب مشاهد، وهي بمنزلة صلصلة الجرس، وهي ثورث الصق، ولها من كتاب الله: ﴿حَقَّ لَنَا فَخْرٌ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ﴾ [سبا: 23].

ومن نسيوات سائلات ذواتها أليضوا علينا النور من فرصة النها

" يتخلق بها مع الكون ومع الله كالنفوس، فإنه يقتضي الستر لما يتخلق بالله من كونه غير ذات، ويتخلق بالكون، وأخلاق لا يتخلق بها إلا مع الله خاصة، وهي هذه الثلاث. ولها من الجنات جنة مخصوصة لا يتأهل إلا أهل هذه الأخلاق، وتجلبها لها لا تكون لغیرها من الجنات. ولكن هذه الأخلاق هي لهم كالخلق الذي يتطلب به الإنسان ذاته وجود الربيع من الطيب لا تمثل فيه للصليب، فإنه يقتضي تلك الربيع للذات، والتخلق تمثل في تحصيل المثلث، وهذا ليس كذلك، فالتاء على الطيب لا على من قام به. فكذلك هذا الخلق إيتا ري. على عهد قد اتصف به لم يقع منه تاء عليه أصلا، وإيتا يقع التناء على الخلق خاصة. فكل خلق تجده بهذه المثابة فهو من هذه الأخلاق الثلاث. فإن التكرم خلق من أخلاق الله، ولكن إيتا تتخلق به العبد إيتا عليه بأنه كريم، وكذلك الرحمة يقال فيه رحيم. وهذه الأخلاق لا يتخلق على من اتصف بها اسم فاعل جملة واحدة، لكن يتخلق عليه اسم موصوف بها. وسبب ذلك لأنه لا تعلق لها بالكون إلا بالحكم الاشتراك كالنفوس، ولا يحكم الاختصاص كالشاهد المتعاقب، ويعطى الاسم «الغائب» من حين المنة لا غير.

(1) الصالح: هو من وقع صوته بالفناء والأراقة: شجرة كثيرة الأغصان والأوراق. وبلايل: جمع بلايل وهو شدة الهم. أي كلما خلا الهموم لمآهات الصادحات حمرة. هذا المعنى الظاهر، أما الباطن المقصود فهو ما ذكره ابن سركين.

«النِّيرَات» هنا يريد بها الأسماء تخاطب ذوات الأكبر من الرجال، وأضائها إليها لأنها تكوّنت من الأسماء. قوله «سَلَالَات ذَوَاتَهَا»: أي أنفسا هي ذواتها، وأضيفت الأنفس إليها إضافة تشريف، وهو بعض قوله تعالى: ﴿قَسَمَ مَلَكِي عَلَىَّ وَلَا أَعَاذُ مَا بِي قَسِيكَ﴾ [الشعراء: 116]، أراد عيسى نفسه. قوله «فَاتَّبِعُوا عَلَيْنَا النُّورَ»: أي كونوا لنا مرآتي مطوّقة حتى نرى فيكم ذواتنا فتعكس أنوارنا علينا، فإنّه لا يحمل أنوارنا غيرنا. ولذلك فإنّ المعارفين إذا أخبروا بما حصل لهم من هؤلاء النِّيرَات أحدا من أهل الأكران ممن ليس له هذا المقام لم يحملوه واحترقوا كما تحترق الصورة التي تُجمل مقابلة المرأة التي تقابل بها شمع الشمس، فيعكس شمعها على الصورة فتحترق. فلذلك قال: رُفِدُوا أنوارنا علينا حتى لا يحترق الكون. فانتظر إلى ما يُطْهَرُ المعارفين من الفِرَّة حتى يقابلوا ذلك الجناب.

قال المُفَضِّل عليه هذه المعارف الإلهية، المستجلي بكارة الجوهريّة، الوارث من والده حقاً، وإمامه صدقاً، ما أعطته الرّجيم الرّحمانيّة: إسماعيل - حقه الله بهذا النسب الأعلى -: قد شاهدت جماعة احترقوا بشعاع مقام إمامي، وقُدوني، عندما أضاء لي ما قابله بمرآة قلبه، واتصلت الأشعة بوامي أنما نهم الضميمة التي هي بمنزلة الصورة لوحتها وغشيتها، فكانت لي نورا ولهم نارا، فاحترقت منهم الأحلام قبل الأجسام.

ومن تَقَرَّرَ أَوْتَارُ بِأَيْدِي كَوَاهِبٍ جِلْبَابُ التَّنَائِبِ طَاهِرَاتٍ مِنَ الْخَنَا

قوله: «من تَقَرَّرَ أَوْتَارُ - البيت بكماله:» يريد تجلي سرور، وهو تجلي السماء التي تَوَدَّى إلى الفرح والاحتجاج في عالم الطيعة وفي عالم الأرواح كلّ على قدر مزاجه. وأراد بقوله «جِلْبَابُ التَّنَائِبِ» هو ما يكون منها من القبول القهواني. وأراد بقوله «طَاهِرَاتٍ مِنَ الْخَنَا» أي مقدّسة عن التشهير.

ومن نَالَتْ الشَّعْرُ فِي غَسَقِ الدَّجَى عَسَى وَلَمَلِ الدَّهْرِ يَطْهَرُ بِهِمْ خَدَا

قوله: «ومن نَالَتْ الشَّعْرُ فِي غَسَقِ الدَّجَى»: الدَّجَى هذه من الأسماء السليمانية التي تسخر بها الأرواح ويُستزل بها الملا الأعلى، واستأنا وأعلها في الأثر الأسماء التي تكون عنها معجزات الأنبياء - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ -. قال عليم الأسود - رَحِمَهُمُ اللَّهُ -: في هذا المقام وقد ضرب بيده إلى أسطورة كانت في المسجد فأبهرتُ خدبا، فقال للناظر: بما

هذا إن الأحيان لا تتقلب، وإنما رأيت هذا بحقيقته لك.

قوله: «عسى ولعلّ القمر يسطو بهم غدا» أي لما كان هذا من السحر الحق، قال «عسى ولعلّ» يرجع صحة النظر إلى ذوات الحقائق من غير تقلب، خفي المصاعب والأصطونات أسطونات، فلذلك قال «عسى» أي عسى أن تحقق أن الأحيان لا تتبدل، ويزول عن عيني أثر السحر، وأنظر إلى طيور عيسى - عليه السلام - كيف رجعت إلى أصلها لما كانت من معجزات الأنبياء، وهي من هذه الأسماء، وليس في قوة الخلق شيء من ذلك بخلاف السحر⁽¹⁾.

(1) يقول الشيخ في الباب 25 من الفتوحات عن استئصال الأرواح وتسخيرها ما خلاصته:

وإذا اجتمع أصحابنا لأهل الكشف على صحة خبر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال في أي القرآن: دونه ما من شيء إلا ولها ظفر وياضن وحذ ومطلع. ولكل مرتبة من هذه المراتب رجال، ولكل طائفة من هؤلاء الطوائف طب، وعلى ذلك القطب يدور ذلك الكشف. فرجال الطاهر هم الذين لهم التصرف في عالم الملك والشهادة، وهم الذين كان يشير إليهم الشيخ محمد بن تاج الدين الأتقي، وهو المقام الذي تركه الشيخ العاقل أبو السعود بن الشيل البغدادي ليا مع الله. أخبرني أبو البدر الصائكي البغدادي - رحمه الله - قال لما اجتمع محمد بن تاج الدين الأتقي - وكان من الأفراد - بأبي السعود هذا قال له: يا أبا السعود إن الله قسم المملكة بيني وبينك فلم لا تصرف فيها كما تصرف أنا؟ فقال له أبو السعود: يا ابن الله وعبيدك سهي، نعم تركنا الحق تصرف لنا وهو قوله تعالى: ﴿كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ (الزمر: 9) فاستل أمر الله. فقال في أبو البدر قال في أبو السعود: إني أصبغت التصرف في العالم منذ عسى سنة من تلويح قوله، فركته وما ظهر عليّ منه شيء. ولنا رجال الباطن لهم الذين لهم التصرف في عالم الغيب والمكنون، فيستزلون الأرواح العظيمة بهمهم فيما يريدون، وأمنى أرواح الكواكب لا أرواح الملائكة، وإنما كان ذلك لضعف إلهي قوي بانضبطه مقام الملائكة. أخبر الله به في قول جبريل - عليه السلام - لمحمد - صلى الله عليه وسلم - ﴿وَيَقْتُلُونَ﴾ (الأنعام: 64) ومن كان تنزهه بأمر ربه لا تؤثر فيه الخاصية ولا يتزل به. نعم أرواح الكواكب تستزل بالأسماء والبخورات وأشياء ذلك، لأنه تنزل معنوي، ولهم يشاهد فيه صورة عيالي، فإن ذات الكواكب لا ترح من السماء مكنتها، ولكن قد جعل الله لمطارح شعاعاتها في عالم الكون والفساد تأثيرات معنوية عند العارفين بذلك، كالري عند شرب الماء، والشمع عند الأكل، ونبت الحبة عند دخول القصل بتزول المطر والصحو، حكمة أرواحها عليهم الحكيم جل وعز. فيفتح هؤلاء الرجال في باطن الكتب المتزلة والصحف المطهرة وكلام العالم كله، ونظم الحروف والأسماء من جهة معانيها ما لا يكون لغيرهم اختصاصا إلهي. ولنا رجال السط لهم

وَابْصُرَتْ أَسْمَاءُ كَرَامًا تَبَرَّعُوا وَلَوْ حَسَرُوا أَضْحَتْ عَلَى أَرْضِهَا السَّمَاءُ

قوله: «وَابْصُرَتْ أَسْمَاءُ كَرَامًا تَبَرَّعُوا»: أي ابْصُرَتْ أَسْمَاءُ إِلَهِيَّةَ مِرْقَمَةٍ، أي مستورة حَتًّا تَمُرُّهَا أَنْ تَمَّ أَشْيَاءُ لَا نَعْرِفُهَا. قوله «وَلَوْ حَسَرُوا»: أي لو كَشَفَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهَا لَسَقَطَتِ السَّمَاءُ عَلَى الْأَرْضِ وَاحْتَرَقَ الْكَوْنُ بِأَسَرِهِ.

وَبَقِيَ آيَاتُ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ تُنَظِّرُ أَتْفَافَهَا مِنْ أَتْفَافِ الصَّوْفِيَّةِ.

فَمَنْ سَالَكَ نَهْجَ الطَّرِيقِ سَالِكًا إِلَى سَفَرٍ يَسْمُو فِي الْقَلْبِ مَا سَمَا

وَمَنْ وَاسَلَ سِرَّ الْحَقِيقَةِ صَامِتًا وَلَوْ نَطَقَ الْمَسْكِينُ حَبْرَةَ الْوَدِيِّ

«الذين لهم التصرف في عالم الأرواح الثرية، عالم البرزخ والجبروت، فإنه تحت الجبر، ألا ترك مظهرًا تحت سلطان ذوات الأفتاب وهم طائفة منهم من الشهب الثرائف، فما ظهر لهم إلا بجنهم، فمعد هؤلاء الرجال استنزال أرواسها وإسطرافها، وهم رجال الأحراف، والأحرف سور حاجز بين الجنة والنار، وهؤلاء الرجال أسعد الناس بمعرفة هذا السور، ولهم شهود الخطوط المتروكة بين كل تليفين فلا يتعلمون الحدود، وهم رجال الرحمة التي رِيَسَتْ كُلُّ شَيْءٍ، فلهم في كل حشرة دُمُوعٌ واستشراف، وهم المارفون بالصفات التي يقع بها الاختياز لكل موجود من غيره من الموجودات العقلية والحسية. ولما رجال المطلق لهم الذين لهم التصرف في الأسماء الإلهية، ليستنزلون بها ما شاء الله، وهذا ليس لغيرهم، ويستنزلون بها كل ما هو تحت تصرف الرجال الثلاثة رجال الحد والباطن والظاهر، وهم أعظم الرجال، وهم الملازمة. هذا في فَرْعِهِمْ وما يظهر عليهم من ذلك شيء. لهم والمنة في ظهور المعجز وظاهر المعاني سواء. وكان لأي السور في هؤلاء الرجال تميز، بل كان من أكبرهم، وسماه أبو البدر على ما حَقَّقْنَا مشاهير بالور: «أَنَّ مِنْ رِجَالِ اللَّهِ مَنْ يَتَكَلَّمُ عَلَى الْخَاطِرِ وَمَا هُوَ مَعَ الْخَاطِرِ، أَيْ لَا عِلْمَ لَهُ بِصَاحِبِهِ، وَلَا يَهْتَدِ التَّصَرُّفَ بِهِ. قَالَ لِي أَبُو الْبَدْرِ: كَانَ كَثِيرًا مَا يَنْشُدُنِي أَلَمْ تَسْمَعْ مِنْ غَيْرِهِ وَهُوَ:

وَأَبَيْتُ فِيهِ مَسْتَنَقَ السَّمَوَاتِ وَرَجُلَهُ وَقَالَ لَهَا مِنْ دُونِ أَحْصَاكَ الْحَشَرُ

وكان يقول: ما هو إلا الصلوات الخمس وانتظار الموت. وتحت هذا الكلام علم كبير. وكان يقول الرجل مع الله تعالى كساعي الطير: فم مشغول وقدم تسمى. وهذا كله أكبر حالات الرجال مع الله، إذ الكثير من الرجال من يماثل كل موطن بما يستحقه، وموطن هذه الدنيا لا يمكن أن يماثل المحقق إلا بما ذكره هذا الشيخ. فإذا ظهر في هذه الدار من رجل غلاف هذه المعاملة علم أن لم نفساً ولا يب إلا أن يكون مأسوراً بما ظهر منه، وهم الرسل والأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وقد يكون بعض الورقة لهم أمر في وقت بذلك، وهو مكر غفني، فإنه انفصال عن مقام العبودية التي غلبت الإنسان لها.

ومن قائم بالجمال في بيت عقيس	فلا تفسد نظماً ولا سرّاً ارتوى
ومن واقف للخلق عند مقامه	ورتيبة في الغيب مرتبة الأسى
ومن ظاهر وسط المكان مبرز	له شحنة تسو على كل مستى
ومن شاطح لم يلتفت لحيلة	قد أترقه دعوته منزلة الهبا
ومن نهيرات في الغلوب طوابع	تندّ على المنى، ومن يتصل يرى
ومن عاشق سرّ اللعاب منهم	قد أتحله الشوق الميزج والجوى
وصاحب أنفاس تروك سلطاً	على نار أشواق بها قلبه اكتوى
ومن كاتم للسّرّ يظهر ضده	عليه لطلاب المشاهد ياتقى ⁽¹⁾
ومن فاضل والفطن حق وجوده	ولكنّ ما يرجوه في راحة الندي ⁽²⁾
ومن سيّد أمسى أمين زمامه	بقابل من يلقاه من حيث ما جرى
ومن مله حاز التريضة واحتلا	ضار يُنادى بالأسنة والها ⁽³⁾
ومن متجمل بالصفات التي حدا	بأجلدها حادي ⁽⁴⁾ المنية للولا
ومن متخلّ طالب الأسى باللي	تأزّد بالجسم الشربليّ ولوتلى
ومستيقظ بالانزعاج ⁽⁵⁾ لمة	أصابته مطروحا على كرش العسى
فكلام له سرّ الشجائي قلبه	للم ينف في الغير الدنيّ ولا القنا ⁽⁶⁾
ومن شاهد للحق، بالحق قائم	له حمة ضني الزوائد ⁽⁷⁾ والفنا
ومن كاشف وهو الأحمّ حيلة	ولولا أبو المباس ما انتصرف القضاء

(1) بالقي: أي بالقيّة، كنم السّرّ والجمال.

(2) الشخص ندّي الكفّة: أي سخّي كريم.

(3) أي بالترجيب والترجيّب. القها: جمع لهوة وهي الحيلة من مال أو غيره.

(4) حادي: سائق.

(5) حول حال الانزعاج ينظر الباب 208 من الفتوحات.

(6) الدني: القريب. القنا: المنسلط.

(7) حول الزوائد ينظر في الفتوحات الباب 225

قوله: «ولولا أبو العباس ما اتصرف القضاة: أي لولا الخضر- تذكير- ما اتصرف القضاة عن أبي القلام الذي أراد أن يرحمهما طفليتا وكفرا، وعن أهل السفينة التي أراد الملك غصيبها.

<u>ومن حائر قد حيرته لوائح</u>	<u>تقول له: قد أُلح اليوم من رقا</u>
<u>ومن شارب حتى القيامة ما لوتى</u>	<u>ومن ذاكس ما لسة الطوى⁽¹⁾</u>
<u>ومن غربة والمكر⁽²⁾ فيها مضن</u>	<u>ومن اصطلام حل في مضمير الحشا</u>
<u>ومن واجد قد قام من متواجد</u>	<u>فلجدي له الوجد الوجوة وما نهى⁽³⁾</u>
<u>ومن سائر خلّسنا، وهو إشارة</u>	<u>إلى عارف فرق الأناريل والجبتي⁽⁴⁾</u>

قوله: «ومن سائر علماء وهو إشارة: أي إلى المقام الذي هو فوق طور العقول، وهو لمن عمل بأحكام الشريعة. وقوله «علماء»: أراد على الماء.

ومن ناشر يوما جناح يقيه
بطير ويسري لمي الهواء بلا هوى
 قوله: «جناح يقيه»: يقول باليقين ثأل الأشياء، واليقين استقرار ما حصل من التجلي في نفس المُتَجَلِّي له.

<u>ومن بأسط كَفَنُه وهي بخيلة</u>	<u>ولولا وجود القبيض⁽⁵⁾ ما أُلح القنبي</u>
<u>وصاحب أنس لم يزل ذا مهابة</u>	<u>وصاحب محو عن نسيم قد تبرى</u>
<u>وصاحب إلهيات عظيم جلاله</u>	<u>تتزعج بالجزءاء وتعمل الشهي⁽⁶⁾</u>

قال السالك:

- (1) الطوى: السقاء الذي يُجعل فيه الماء.
- (2) حول الغربة والمكر ينظر في الفتوحات البابان: 230 و 231.
- (3) حول الوجد والتواجد والوجود ينظر في الفتوحات الأبواب: 1235 / 1239 / 237.
- (4) الحبي: العقل.
- (5) وفي نسخة أخرى: القبيض.
- (6) الجزءاء: البرج الثالث بعد الحمل والثرور. والشهي: كوكب غني.

فما زلت أخترق بهذه الزوارق، وأنظر في بقلع هذه الطرائف والطفائف، حتى أتيت على آخرها، وعرفت باطنها من ظاهرها، فتوديت: إلى أين؟ فقلت: إلى «قالب قوسين»، حيث يزول الكيف والأين، وتتضح الأسرار للذي عينين.



مناجاة قَاب قَوْسَيْنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ السَّالِكُ:

فَنَزَلَ إِلَيَّ الْمَلَكُ بِالسَّلَامِ الْأَسْنَى، فَرَفَعَنِي إِلَى الْمَسْتَوَى الْأَعْلَى⁽¹⁾، فَلَمَّا أَنْزَلَنِي وَقَاب قَوْسَيْنِ⁽²⁾، قَالَ: لَا تَطْلُبْ أَثَرًا بَعْدَ عَيْنٍ. ثُمَّ تَكَلَّمَ فِي جَنَاحَيْهِ، وَنَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ.

قوله: «فَنَزَلَ إِلَيَّ الْمَلَكُ»: الملك هاهنا مرتبة فوق مرتبة سدرة المنتهى التي هي مقام جبريل - عَلَيْهِ السَّلَامُ - إلا إن استدعي فيمشي بحكم العرش وموضعه معروف. قوله «بِالسَّلَامِ الْأَسْنَى»: يريد ترفي من الترقبات. وقَاب قَوْسَيْنِ هو النقطة المتوقفة بين قطري القنطرة. قوله «وَلَا تَطْلُبْ أَثَرًا بَعْدَ عَيْنٍ»: أي قد صرت في مقام المعايضة، وهو مقام يعطي حكمه في الدنيا والآخرة حيث كان. فَمَشِ أَتَوْسَتْ فيه تحققت به، وهو قوله: (مَا تَجَلَى اللَّهُ لشيءٍ ثُمَّ احْتَجَبَ عَنْهُ)، وفيه أنشدوا:

يَا سُؤْدَسِي إِنَّ هَجْعَ السُّورَى وَمَحْذُوثِي مِنْ بَيْنِهِمْ بِنَهَارٍ
قوله: «ثُمَّ تَكَلَّمَ وَنَكَصَ»: أي أَنَّ الْمَقَامَ يُعْطَى زَوَالِ الْوَاسِطَةِ بِالْمَخَاضَةِ.

قَالَ السَّالِكُ:

فَلَمَّا بَقِيتُ، نَوَيْتُ: سَلِّمْ ثَرْدَ عَلَيْكَ، وَسَلِّ مَا شِئْتَ يَوْهَبَ إِلَيْكَ، فَلَمَعْتُ بِمَا يَجِبُ، وَجِئْتُ عَلَى التَّرَكِبِ.

قوله: «سَلِّ مَا شِئْتَ يَوْهَبَ إِلَيْكَ»: يريد أَنَّ الْمَحَلَّ مَحَلٌّ تَقَرُّبٍ يَنْتَضِي الْكَرَامَةُ. قوله «وَجِئْتُ عَلَى التَّرَكِبِ»: أي لَزِمْتُ الْأَدَبَ وَالتَّيَقُّظَ وَالْحَضُورَ. فَمَسَمْتُ كَلَامًا مَنِيًّا لَا مَاعِلًا فِيهِ وَلَا غَارِجًا عَنْهُ، وَهُوَ يَقُولُ:

(1) الْمَسْتَوَى الْأَعْلَى: مِنَ الْمَحْضَلِ أَنْ يَهَيَّ بِهَ الْعَرْشِ، وَهُوَ أَعْلَمُ.

(2) قَالَ تَعَالَى فِي مِرَاجِ النَّبِيِّ - ﷺ -: ﴿ثُمَّ تَكَلَّمَ تَكَلَّمَ تَكَلَّمَ تَكَلَّمَ تَكَلَّمَ تَكَلَّمَ تَكَلَّمَ تَكَلَّمَ تَكَلَّمَ تَكَلَّمَ تَكَلَّمَ﴾ [النجم: 8/9].

لَقَدْ تَرَّ عَصَابَةُ سَارَتِ بِهِمْ تُجِيبُ الْفَنَاءَ بِحَضْرَةِ الرَّحْمَنِ

قال إسماعيل - رفق الله به -: سمعت شيخني وإمامي - رحمه الله - يتكلم في شرح هذه الآيات، بآيات بينات، وأسرار سرّيات، حتّى الله بها أهلها، ورضي عن مظهر الكمال ومعدن الجمال، جامع مكارم الأخلاق، والمفيض بهذه الفاني والأعلاق. فما قال في أثناء قبضه عليّ في ذلك - أيّده الله -:

«العصابة» هاهنا عبارة عن الأسماء الإلهية. وقوله «تجب الفناء»: أي لولا حظوظ أنفسهم لرأوا لها أحكام جميع الأسماء من العزّة والسلطان. فلما رأوا أنّ الحق سبحانه عبّر عن الأسماء: «الله» والاسم «الرحمن»، بأنه: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [الاسراء: 110]، حيث ذكرنا نجيب الفناء عن أنفسهم أديا مع الله تعالى ومع الرحمن، اللّذين تقدّما الله عليهم. فإن قيل: فلم لا كان «الله» مقصودهم دون «الرحمن»؟ فيقال: إنه في مدلول «الرحمن» والصفة من حيث الاسم بما يوافق أغراضهم، والله ليس كذلك، فإنه ليس فيه متماثل مناسب هذا الأمر شي. ألا ترى أنّ العبد يتحكّم على «الرحمن» بما يريد لنا أعلّمه بسمة رحمة هذا الاسم، ولا يفتقر أنّ تكون له هذه الحالة مع الاسم «الله»، لأنّ الأمور المتقابلة في مرتبة الاسم «الله» على السواء، وهي في «الرحمن» ليست كذلك، بل الغلبة والظهور للرحمة، فتحقّق ترشد.

قَطَعُوا زَمَانَهُمْ بِذِكْرِ حَيِّهِمْ وَتَخَلَّفُوا بِسَرَائِرِ الْقُرُونِ

قوله: «قطعوا زماّنهم بذكر حيّهم»: الزّمان هنا عبارة عن الذّهر الأوّل، فإنّ «الذّهر» اسم من أسماء الله تعالى، ففي هذا الاسم قطعه، فإنّه للأسماء بمنزلة الزّمان فينا. قوله «وتخلّفوا بسرائر القرون»: كلامه سبحانه، والأسماء من كلامه، وإنّما كانت له الأسماء من كونه متكلماً، وإنّما حدثت التّسب التي للأسماء لحدوث الممكن، ولم يزل الحق سبحانه محققاً بذلك لشهوده العدم في عدمه، فاعلم.

وَرَوَّاهُ النَّبِيُّ الْهَاشِمِيُّ الْمُصْطَفَى مِنْ أَشْرَفِ الْأَحْرَابِ مِنْ عَنَانِ

قوله - رضي الله عنه وأرضاه - «ورواه النّبيّ الهاشميّ المصطفى»: يريد نبيّنا محمداً - ﷺ - لكونه أوتي جوامع الكلام، والأسماء الإلهية التي عننا كالصور للأرواح. فالذي بأيدينا صوّر، غير أنّ الرّوح ملازم للصورة، ولذلك دلت هذه الصور على تلك الأرواح، فالصور ميراث الأرواح، والأرواح أعطتها من المعاني ما أشيّت به الحروف،

بعيـث صارت الحروف دليـلاً على معانيها وأرواحها. ولولا كمال الاسم بروحه وصورته ما أعطى ما أعطى الدلالة على الله عَزَّوَجَلَّ. فلولا تلك الأرواح ما صَحَّ للصور أن تكون دلائل. ولولا الصور ما تميّزت أعيان الأسماء التي هي أرواح لهذه الأسماء الصورية. وحُكِمَ موطن الدنيا الذي حقيقتُه التركيب، يُعطى أن يكون التجلي على هذه المطابقة، إذ التجليات تظهر بِحُكْمِ الموطن. فمن نظر إلى أرواح الأسماء قال: إنَّ الاسم المستى، ومن نظر إلى صور الأسماء التي بأيدينا قال: إنَّ الاسم غير المستى. فتتحقّق ترشد، وبالله التوفيق.

وَكَبِّرُوا بِمُرَاقِ الْحَبِّ فِي حَرَمِ الْمُنَى وَتَسَرَّوْا بِالْقُدْسِ النُّورِ وَالْبِرْهَانِ

يريد سَرَّاهم إلى طلب الغاية، لأنّه لما كانت هذه الأسماء التي بأيدينا وتلك أرواحها كما تقدّم اشتات أن تكون في الدلالة على الحق كدلالة أرواحها التي هي تنزل الوسائط. قوله «القدس النور والبرهان»: أي تمتوا أن يحصل لهم من الطهارة مثل ما لأرواحهم التي هي أسماء الحق، والنور الشّطّهر لهم في ذواتهم، والبرهان هو مطلوبهم أن يكون لهم من الدلالة ما للأرواح. ولهذه الأمانة منهم أشار بقوله «حَرَمِ الْمُنَى»، أي في الأمانة كان ركوهم، وجبهم لهذه المرتبة المأمولة اقتضى لهم أن يتمتوا.

وَقَرَّعُوا عَلَى حِجْرِ الصِّفَا فَاتَّاهُمُ لَبِنُ الْهِنْدِيِّ مِنْ مَنَزِلِ الْفَرَّقَانِ

قوله: «حجر الصفا»: أراد بالحجر تمكّن العبودية، لأنّه لا يطلع بطبعه أبداً، بل لا يزال يطلب الهيرط، بخلاف النبات فإنّه فيه دعوى. وكذلك كلّما نزل العبد كان صلاؤه أكمل، فلذلك قال «حجر الصفا». قوله «فاتّاهم لبين الهندي»: أي على البيان بانت لهم الأشياء. قوله «من منزل الفرقان»، ولم يقل «القرآن»، أي أنّه فَرَّقَ لهم بين الأشياء ووقع به الامتياز، فلذلك ذكر الفرقان وجعل النسبة إليه دون القرآن الذي هو الجمع.

فَرَعَوْا سَمَاءَ جِسْمِهِمْ فَتَفَتَّحَتْ أَبْوَابُهَا فَجِئَتْ لَهُمْ عَيْنَانِ

أي قرعوا ذواتهم التي هي صور الانقضاء المرتبة من قولك «رحمن رحيم». قوله «فتفتحت أبوابها»: يريد سماء آدم -عَلَيْهِ السَّلَام-. قوله: «فجئت لهم عينان»: أي عين السعادة، وعين أهل الشقاء.

ثمّ أخذ يصف ترتيب أهل الرحلة على ما تقدّم:

عَيْنٌ تَبَسُّمُ ثَغْرِهَا لَمَّا رَأَتْ لِبْنَاءَهَا فِي جَنَّةِ الرَّخْضَوْنَ

وشمالها عين تحقر دمعها	لَمَّا رَأَيْتُهُمْ فِي لُغَى النِّيرَانِ
قَرَعُوا سَمَاءَ الرُّوحِ لَمَّا أَتَوْا	جَمَاعَتِ رَبِّيبَاتِ بِلَا أَزْكَانِ
فَبَدَا لَهُمْ لَاهُوتُ عَيْسَى الْمَجِيِّ	رُوحًا بِلَا نَفْسٍ وَلَا جِشْمَانِ
كُتِلَ الْجَمَالُ بِيُوسُفَ فَطَلُّوا	لِعَقَامِ إِدْرِيسَ الْعَلِيِّ الشَّنِّ
طَلَبُوا الْخَلَائِقَ إِذْ رَأَوْا هَارُونَ قَدْ	أَزَيَسَتْ مَنَازِلَهُ عَلَى كِبَرَانِ
نَالُوا الْخَلَائِقَ عِنْدَمَا نَالُوا نُسَى	مُوسَى كَلِيمَ الرَّاغِمِ الْمُنَّانِ
سَجَدَ الْمَلَائِكَةُ الْكَرَامُ إِلَيْهِمْ	عِزَّ ائْتِقَادٍ وَجُودِ رَبِّ ثَنِّ
طَمَحَتْ بِهِمْ مَنَاتُهُمْ لِنَتَخَلُّوا	فِي حَضْرَةِ الرَّزْقِيِّ الْبَرِّ الْضِفَانِ
كَمَلَتْ صِفَاتُهُمُ الْعَلِيَّةُ وَارْتَقَا	عَنِ سَفَرَةِ الْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ
لِلْمَلَكِ كَانَ مَصِيرُهُمْ فَبَقُوا	بَشْهَرِهَا عِبْنٌ بِلَا أَكْشَانِ
وَصَلُّوا إِلَيْهِ وَعَابَتُوا مَا أَصْبَرُوا	مِنْ لُجْبِ سَرِّ السَّرِّ كَالْإِعْلَانِ
سَبَّحَانَهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ	وَعَنِ الزَّيَادَةِ جَلِّ وَالْفَتْنَانِ

قال السالك:

ثم قال لي: أخبرني يا زهرة المحيئين، وما جمال الوارثين، فلما لقيت في طريقك
إنياء، وبعافاً ولقدت به علينا؟

قوله: «يا زهرة المحيئين»: لأنَّ الزهرة إن لم يكن لها ثمر فهي مطلوبة لنضجها، وإن
كان لها ثمر فهي مطلوبة لغيرها، وهي علوم الأدلة، فهي كالبرزخ بين ثمرتها وشجرتها،
وهي من كونها زهرة علوم وهب، ولذلك أُسِّبَ التَّيْنُ إلى علم النبي -ﷺ-، إذ ليس له
زهرة، لكون علمه -ﷺ- موهوب لا مكتسب، وهو -ﷺ- أرسل رحمة، فلا
عجم فيه ولا غشوة.

قال السالك:

لَمَّا فَارَقْتَ الْعَمَاءَ، خَرَجَ عِي إِلَى أَوَّلِ سَمَاءٍ، قَرَأَيْتَهَا مَزِينَةً بِالْجُيُومِ، فَمَتْنَا ائْتِقَادَ
وَمَتْنَا رُجُومِ⁽¹⁾. وَرَأَيْتَ مَقَامَاتِ الْخُلُقَاءِ، وَمَصَائِحِ الظُّلُمَاءِ، فَوَجَدْتَهَا ثَمَانِيَةً وَعَشْرِينَ،

(1) ذكر الشيخ هذه الأوصاف الثلاثة للنجوم كما في الحديث النبوي: «شعر لله هذه النجوم ثلاث: زينة للسماء، ورجوم للشياطين، وعلامات يُهتدى بها» -رواه البخاري-.

وحضراتهم اثني عشرة لتعظيم الأربعين. فقل لي: هذه منازل السالكين، وينتجح بحكم المخلصين⁽¹⁾.

قوله: «هذه منازل السالكين»: يشير إلى اثني عشر برجا وإلى الثمانية والعشرين منزلة، والجملة أربعين وهي منازل السالكين، بقوله: (من أخلص له أربعين صباحا)⁽²⁾. والسبعة التي هي روحانيات الأنبياء تنقطع في أرواح هذه المنازل، والسبعة الدُّراري تنقطع في جسمانياتها.

ثم لحظت السبعة الخلقاء في الأفلاك يسبحون، فحملتها على السبعة المودعة في الفلك المشحون. ونظرت في الجندي والفرقة، فإذا هم الأئمة في العالمين.

أراد بالفلك المشحون: وجود العبد. وأراد بالسبعة المودعة فيه الصفات السبع: الحياة والإرادة وغيرهما⁽³⁾. وقوله «الجندي والفرقة»⁽⁴⁾: أي بمنزلة القطب والامامين، وهي في الإنسان الروح والنفس والعقل، أو السر مكان العقل كيف شئت.

فاستضحت سماء الأجسام فرأيت آدم -تَكْوَلُكُمْ-، وعلى يمينه أسودة القدم، وعلى يساره أسودة العدم، وهو يتردد بين بكاء الجلال، وضحك الجمال، لمعاينة النقص والكمال.

قوله: «أسودة القدم»: أراد به أهل العناية من قوله تبارك وتعالى: ﴿وَرَبِّيَ الْأَبَدِيُّ مَتَّئِيًّا أَكْثَرُكُمْ قَدَمًا مَبْدِيًّا وَتَنْدَرِيًّا﴾ (يونس: 12).

فرأيت جميع الأبناء أمواتا، حين رأيتهم أشتاتا.

أي من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرَأُونَ تَقَاتُلَهُمْ﴾ (إِلَاحُكُمْ نَعْمُ نَكَا) (عزرا: 119 / 118).

(1) يشير الشيخ هنا إلى التناسب بين مواقع النجوم ودرجات الأولياء، ولهايات القرآن الكريم التي هي نتائج بحكم المخلصين.

(2) لقد سبق الكلام من هذا الحديث.

(3) الخمسة الأخرى هي: العلم والقدرة والقول والسمع والبصر.

(4) الجندي: نجم إلى جنب القطب تُعرف به القبلة، ويقال له: جندي الفرقدة والفرقة نجم قريب من القطب الشمالي يُهتدى به.

نكان موتهم لنظرهم من مقام الثرثرة، فلو نظروا من مقام الجمع لماشوا واستراحوا⁽¹⁾.

وطلبت الحقيقة قليل لي: حتى تنفى عن الطريقة.

أي الحقيقة في نهاب عينك، لأنك أنت الطريق، فإذا فئت ظفرت بالحقيقة.

فإنه لا يبدو كمال الصورة لأهل المعراج والتهنئ⁽²⁾، حتى يلنوا سفرة المتهم.

هنالك تنهي حقائق نفوسهم، ويكشف لهم عن مواء شمسهم، وذلك أول مقامات

الثلاثاء⁽³⁾، والقضاء عن كل فتنة.

معناه: تكميل نشاطهم.

وأنا حقيقة الفناء، فلا يشاهدنا سواه⁽⁴⁾، وغاية كل سالك أن يشاهد معناه⁽⁵⁾، فلا

غاية فيما فيه الغاية، ولا نهاية لموارد الهداية.

أي باب الذات مغلق، وإنما الوصول للأسماء المستخلق بها. وغاية كل واصل أن

يشاهد معناه، أي يشهد حقيقته.

فشرح بي إلى سماء النفوس، وانتقلت عن العالم المحسوس، فتخيخ في الصورة

الروح، بمشاهدة المسيح. فأظهر لظا في سماء وأرض كانت رتقا⁽⁶⁾.

انتقلت بالحمد والثناء، فأعطي الحسن والفتن، فرأيت يوسف في سماء جمال

القلوب، فألمني بمولود الغيوب، فشكرته شكرا شديدا، فرفعتني مكانا حليما.

فرأيت في الزبابة إدريس، وتلقى السر عن التخييل والتليس. فقلت: هذا المتهم،

(1) أي أن الحياة الحقيقية في شهود قديمة الحق تعالى لكل شيء، والموت هو الجهل بهذه الحقيقة.

(2) التهنئ: الطل.

(3) أي الرفار أو الأخلاق الإلهية الثلاثاء السابق بياتها.

(4) أي لا يشاهدنا سوى الحق تعالى.

(5) أي أن المغلوق لا يترك من معرفة الحق تعالى وشهرته إلا على قدر استعداده واستعداد المغلوق مقيد مصدور، والحق تعالى لا نهاية لكماله.

(6) أي سماء الروح وأرض الجسم.

وهذا مقام الكمال والجاه.

طلبت الخلافة على الأنام، فُرغت إلى هارون- عَليْكَ السَّلَامُ-، فقل لي: أتعرف ما جزاء من استخلف في مقام الإحسان؟ أن يأخذ بصلبته كلهم الرحمن.

قوله: فأتعرف ما جزاء من استخلف، إلى قوله الرحمن: أي أن العبد ما دام في عبوديته كانت السلامة له مستحقة، فإذا قبل النيابة في الخلافة فقد تلّسها وظهر بها وصانها وأبطن عبوديته، فحينئذ يُتلى بمن يأخذ بزأه ولبته للاختبار، ليظهر الفرق بين الخليفة المتحقق بالمرتبة وبين النائب الذي هو في المقام الثاني الذي ليس هو متحقق بذلك. ونسب ذلك إلى موسى لأن الكلام هو أصل الخلافة إذ فيها البيان والتشيز، وبها سمع المستخلف. وأصل المعجزة للرسول، هو يقوم مقام الحق: هذا رسولي، فكان الكلام أصلا في الخلافة. فلذلك نسب الاختيار إلى موسى صاحب الكلام - عَليْكَ السَّلَامُ-.

فترج بي إلى سماء الكلام، فرأيتُ موسى- عَليْكَ السَّلَامُ-، فرحب بي وأقعدني، وعلى موضع الرّق نهنّي، ثم قال لي: أنا الكلام للمكلم القليل لو لم تُلَقِ الألواح، ما جررت برؤوس الأشباح، أنت عبد مكزّم، ولدينا ثعلصم.

قوله: فلو لم تُلَقِ الألواح، ما جررتُ برؤوس الأشباح: أي كان في الألواح مكتوب: «هدى ورحمة»، فلما رمتها حيث قام الغضب والقهر، فلو كانت بيده أنت تمنحه بما فيها، ولذلك جاء التنبيه بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْكَافِرِينَ﴾. لأنه بالفسد يزول الفسد.

قلت له: أريد الخُلة⁽¹⁾، قال: هي لمن سَدَّ عن الأنام الخُلة⁽²⁾، قلت: أنا ذلك.

قال: فإرقي إلى السماء السابعة أيها السالك، فهي سماؤها، وعليه قام صنادها وينالها. فرأيت صاحبها مستدا ظهره إلى البيت المعمور، فأدركني الجلل والسرور، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ليحيى من يحيى من بيته ويهلك من هلك.

أراد بالبيت المعمور القلب. قوله «يدخله كل يوم سبعون ألف ملك»: يريد أن هؤلاء إنما يدخلون إلى القلب ليكونوا بمنزلة الشهود عليه. فإن كان حاضرا مع الله تعالى

(1) أي مقام إرغام الخليل - عَليْكَ السَّلَامُ-.

(2) الخُلة: الخلل والضعف.

شهدوا له بالحضور والحياة والمراقبة، وإن كلن غافلا عن الله حاضرا مع الأكوان شهدوا عليه بالشفقة ليحيى من حي عن بيته، وهي شهادتهم، ويهلك من هلك كذلك⁽¹⁾.

وأقيم في السدرة نهران ظهران، ونهران باطنان، فالظهران: فرات الكتاب ونيل السنة، والباطنان: التوحيد والمعة⁽²⁾.

ثم بلغت سدرة المنتهى، وللت: هذا هو الانتهاء، فلا علي الرسول الكريم⁽³⁾:
﴿وَنَبَأًا لَّا تَرْضَاهُ قَوْمٌ﴾ [قصص: 164]، ولا بد لك من التلني والترقي والتلني والتلني، بالمقام المحمود، وحضور الشاهد والمشهود.

قوله: «التلني»: هو منزو المبد من حضرة الحق. «الترقي»: هو ترقيه بالهمة عن الأكوان. «التلني»: هو للمحق سبحانه وهو التزلز الإلهي. «التلني»: هو تلقى سبحانه لهذا المبد بالقبول والترحب. فالتلني والترقي من المبد والتلني والتلقي من الحق⁽⁴⁾.
ثم انحطفت من تلك السدرة العليّة، وأنزلت بكرسي الشفعية، فحفظت بها الوصية السنية.

ثم أتينا لي جناح الطائفة، وامتلئت ظهور الزوارف، فمررت بثلاثمائة حضرة، ما نظرت إليها نظرة، فسمعت صريف القلم باليمين، في ألواح صدور القوارئين. فلما فتوت من التصريف، قيل لي: تفتتح بالتصنيف.

قوله: «صريف القلم باليمين»: أي صوته وهو لغته ولسانه. وقوله «تفتتح بالتصنيف»: أي احتجب بالخمار، إذ التصنيف هو الخمار، أي اطلب الحجاب لتلا يهرك المقام.

(1) سبق الكلام من الملازمة التي تدخل البيت المعمور كل يوم وتخرج منه، وتتسبها مع الغواطر التي تمر بالقلب كل يوم.

(2) هذه الأنهار الأربعة تتسب مع أنهار الجنان الأربعة: الماء واللين والحمل والغمر.

(3) هو رسول التوفيق الذي وافق السالك من بداية المعراج إلى سدرة المنتهى.

(4) هذا مصداق للحديث القدسي: «إذَا تَرَبَّيْتُ إِلَى الْعَبْدُ شَيْئًا تَرَبَّيْتُ إِلَيْهِ فَرَامًا، وَإِنَّا تَرَبَّيْتُ إِلَيْهِ فَرَامًا تَرَبَّيْتُ مِنْهُ بِإِذْنِ ابْنِي شَيْئًا إِلَيْهِ هَرُؤَةً» - وود البخاري في صحيحه، ومنه في صحيح مسلم -.

فاطلب ما بقي به سطوة المقام من بهاء ذلك النور. ولكل حضرة حجاب تقتضيها تلك الحضرة.

قال السالك:

فلتسمع مني هذه اللفظة، لُفْتي^(١)، وفي ثوب المبرودة غُفْتي^(٢)، ثم قال لي:
يا حبيبي، لا تُعْهَدْ الكلام^(٣)، فُفْتي المَكْلَم والمُكْلَم ومني الكلام، فلا تجعل كلامي
سواني^(٤)، كما لم تستغني أرضي ولا سمائي.



(١) لُفْتي: سترني.

(٢) غُفْتي: أي غُفْطاني بشفقة.

(٣) لا تُعْهَدْ الكلام: لا تنزل الكلام إلى حذاء تنفسي به.

(٤) لأن كلام الله تعالى صفة، والمُكْلَم - اسم مفعول - لا يسمع كلاماً أولاً تجلي الحق تعالى على سمعه باسمه «السميع»، إذ لا قيام لسمع سامع إلا بالله تعالى.

مناجاة «أو أدنى»

بسم الله الرحمن الرحيم

قال السالك:

ثم أنشأ لي جناح لفتاء، وطرت به إلى حضرة أو أدنى.

قوله: «أو أدنى»: أي «إلى حضرة أدنى»، لأنَّ «أو» هاءتا بمعنى «الواو»، كأنه قال «وَأدنى»، وليست هي للشك. وأراد بالقراب نقي المقدار في قوله «قارب قوسين»، وهو قرب قدر، لا قرب مقدار.

فلما نزلت بيناتهما، وسقطت على حيطان أسمائهما، أنشدت:

قوله: «حيطان أسمائهما»: لَمَّا كَانَتِ الحِيطَانُ سُرّاً على الدار، استعار ذلك للأسماء إذ هي ستر على الذات، فلذلك قال: «حيطان أسمائهما»، فاعلم.

ومن السلي لم يزل يُسْئَلُني إلى السلي لم يزل تُجيبني

أي لم تزل الأعيان الثابتة تنادي بلسان حالها تطلب وجود الحق في وجودها، لأنها في حال عدم نفسها، ولهذا وُجِبَ المتأدي بالأزل، والمجيب فهو نداء أزلي، وذلك حين سألها الأسماء في ذلك، إذ لم يكن للأسماء ظهور إلا بوجودها، فتحقق ترشد والسلام⁽¹⁾.

استهزئت حينني، أطلعت بيني أودعني السوجد والنحيب

قوله: «أطلعت بيني»: أي شوفي إلى ذلك الوصف الخاص، الذي تقدّم طلبه وتعيينه.

صيرتني في الهوى فريدا مُتَّسِمًا هالهما غريباً

قوله: «صيرتني فريدا غريباً»: يريد نقي الليل، فإنه لا ييل له، وهذا إنّا لسان العالم

(1) لمرة سبب به العالم ونشأ، ومراتب الأسماء الحسنی في العالم يُنظر في الفتوحات الباب الرابع.

بأسره، وإنا لسان الإنسان من بين سائر المخلوقات⁽¹⁾.

قال لي⁽²⁾: ذلك إرادتي فسَلِّمْ، وإلى جزى مقاديري عليك فَرَضْ لِمُرِّكَ وستَلِمْ
أيها السالك: أريد أن أسخِّبك في حضرة «أو أنى»، هل اطَّلعت على حقائق
الإشارات في آيات جواهر القرآن وقَرَّه الأسنى، سورة سورة حتى يصبح لك كمال
الصورة⁽³⁾؟

قوله: «أسخِّبك»: أي اختبرك، لتكون العبد صاحب دعوى، ولا يُعطى قط إلا صاحب دعوى.

لناجيك بلسان الترجمان بأوصافه وفُزَّره، كمناجاتي للإمام أبي حامد في جواهره
ودهره⁽⁴⁾، وكنت قد يَرَّزته في زَمَانِهِ، سَابَقَ مِيلَاتِهِ، سُرَّ شَمْسِهِ وهَلَالِهِ، لم يُسْجِجْ في أَوَانِهِ
على متوَلَّاه، إلى أن وصل زَمَانُكَ المِجْجِج، وأَوَانُكَ المِطْلَج، ففَزَلْنَا لك أَرْقَ من غَزَلِهِ

(1) المخلوقات هي ما تولد من تفاعل الأفعلاك العلوية مع العناصر السفلية والأرضية، وهي المعادن والنبات والحيوان والجن والإنسان.

(2) الغالب هو لسان الإلهام الرباني في سر السالك.

(3) في العديد من تصوره يؤكد الشيخ على أنَّ كمال التحقق بالمعرفة هو التحقق بالقرآن جمعا وتفصيلا. وفي الباب 325 من الفتوحات المصطفوية بسورة الحشر وعنوانه دمعرة منزل القرآن من الحضرة المحمدية يتكلم عن تنزيل القرآن جمعا، والقرآن تفصيلا، على قلوب الأولياء ليقول: فالقرآن والإنسان أكامل أحرفانه وليس ذلك إلا من أنزل عليه القرآن من جميع جهته وشبهه، وما سواه من روثه إنما أنزل عليه من بين كتفيه، فاستقر في صدره عن ظهر غيب، وهي القرارة الكاملة. حكى عن أبي يزيد أنه ما مات حتى استظهر القرآن، وقال -رحمته- في هدي لوني القرآن بأنَّ النبوة أخرجت بين جنبيه. وهذا هو الفرق بين الأنبياء والأولياء الأتباع. لكن من أخرجت النبوة بين جنبيه، وجاءه القرآن عن ظهر غيب، أصلي الرؤية من خلقه كما أصطفاها من أممائه، إذ كان القرآن لا ينزل إلا موجهة. ولنا ذلك، لم نر لأنفسنا تمييز جهة من غيرها، وجماعنا بنته لما عرفنا الأمر كيف هو إلا بعد ذلك. فمن وقف مع القرآن من حيث هو قرآن، كان ذا عين واحدة أصيلة للجميع. ومن وقف معه من حيث هو مجموع، كان في حقه فرقان، فشاهد الظاهر والباطن والحد والمطلع. ولنا ذلك هذا التنزل الفرقتي، فلنا هذا حلال وهذا حرام وهذا مباح، وتبوعت المشاربه، وتميزت الغرباب، وظهرت الأسماء الإلهية والأكثر الكونية.

(4) يعني كتاب «جواهر القرآن» للإمام أبي حامد الغزالي، توفي سنة 505 هـ.

ورفعتك من نسب الوجود⁽¹⁾ وجدّ غزله وهزله، فشجّته بناء على متوال شخّصه، وأبى حُلّة صافية الأرمان⁽²⁾، مختلفة الألوان، دوة بكر عثّا لم تُشخّص⁽³⁾، فوجود الفرق بينكما واضح، وطريق انتظام شملكما لا يتبع⁽⁴⁾، وذلك أنّا نظمنا لك القدر والجواهر في السلك الواحد، وأبرزنا له ذلك النظم في حضرة الفرق المتعاهد ولهذا ترى الواقع عليه، يكاد لا يعثر على سرّ النسبة التي أودعتها لديه، وفي متاجلتك يلوح لك سرّ نسبته، وعلمو منصب سيبه.

قوله: «سرّ نسبته»: أي أنّ الموجودات لها صفتان: صفة يقع بها الاشتراك وصفة يقع بها الامتياز، وما به يقع به الامتياز لا يجوز أن يكون الذي به يقع الاشتراك. فإذا تاجاه في صفة الامتياز لا يعرف أنّ بين الموجودات نسبٌ وابطّ يُعبر عنها بصفة اشتراك، فلا يعرف المناسبات بين الأشياء، وهي التي علّمها آدم - عليه السلام -، ولم تعلمها الملائكة. وإذا وقع الخطأ بصفة الاشتراك، عُرفت المناسبة بين الشيتين، فُرف كيف يُنسب هذا الاسم لهذا المستى، وهي من بعض النُسب.

فاسمع ما يُلقني عليك الرّحمان، بلسان الترجمان، من أسرار القرآن، وجواهر الفرقان، وفُرد السلوك وجواهر السلوك⁽⁵⁾، وقلائد النحر⁽⁶⁾، وقلائد صَفّ البحور، وزُمور الكليات⁽⁷⁾، وإجلاء اليواقيت.

- (1) أي أزالنا منك دعوى الوجود المستقلّ، والله أعلم.
- (2) الأرمان: جمع زَمان وهو المفزول أو نوع من. ويُقال فلان طاهر الأرمان: أي شريف طاهر.
- (3) أي علموا لم تُنسب.
- (4) أي بين الدزالي وبين السالك محمد بن العربي، فرق واضح في مستوى بيان الحقائق، ونشرك في كونهما من أصل الإلهام القرآني في فهم الفرقان.
- (5) السلوك: جمع سلك.
- (6) النحر: جمع نحر وهو أعلى الصدر.
- (7) الكليات: جمع كبرى، وهو المائة التي لها دور أساسي في الكيمياء بنفوسها الأصل، وعصم الشيخ لمعرفة مبادئ أصولها بداية الباب 167 من الفتوحات وهو في معرفة كيمياء الحقائق.

قوله: «فلا تدنوا من هذه الحديقة»، أراد به السَّيل، وهي الحديقة، مثل منزلة منطقة البروج التي هي حمالية، لإظهار الزيادة والتقص في الزمان، وذلك لا يكون إلا في الشرائع. ولهذا يقال: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [المائدة: 95]، أي مائلين إلى الحق، وإنَّ لا حق، فأراد حقا مخصوصا، وهو قوله: ﴿وَيَتَذَكَّرُ أَلْفًا﴾ [الأنبياء: 112]، ومعلوم أنه بكل وجه لا يحكم إلا بالحق، ولكن أراد الحق المخصوص الذي قرره الشارع عنده، لا يبدل إلى غيره. قوله «فلا تدنوا من هذه الحديقة»: أراد الأسرار المستورة في العلوم. ورموز الكليات وإجلاء البواطن: أراد برموز الكليات أحد الأبرين⁽¹⁾: العلم والعمل، أو العقل أو النفس. وأراد بإجلاء البواطن إزالة الصدأ عن الباقية التي هي عين القلب صاحبة الكشف.

فائق السمع أيها السالك لإدراك حواشي الأسرار، ووجد إدراك البصيرة إلى إدراك
مشارق الأنوار، واغن عن الكلية الأبدية، بالكلية الأبدية.

أراد بالكلية الأبدية نفس العبد أو العالم، فلا بد له الأبد.

وقد نأخضنا لك عيوننا⁽²⁾، وكف راسها غيرك نأخض به عيوننا، وزويتنا لك الشُّقَّة،
ووعيناها لك من غير مشقة، فاخترت من بحار الحضرة الإلهية، وأنشأ بها القوالب
القوالب الطينية، فالقشر مع القلب، كالجسم مع القلب.

قوله: «فاخترت» إلى قوله «كالجسم مع القلب»: أي أن ما غلطنا عن الأمر المشروع الظاهر والباطن، كما قال الجنيد: (علمنا مقبذ بالكتاب والسنة)، وليس كما هو عند الحكماء لب فقط.

فشتان بين محل الأسرار والغيوب، ومحل الصبا والجنوب.

قوله: «محل الأسرار والغيوب»: أراد به عالم القلب. وقوله «مهب الصبا والجنوب»: يريد القشر.

وإذ ولا بد من الاختيار، في معاني هذه الأسرار، فما تفصلك: الإطالة أم الاختصار؟

(1) قرن الكبريت بأحد الأبرين، لأنَّ المعادن في الكيمياء القديمة تتولد من التفاعل بين الكبريت والفزريق، فهما الأبران مع تأثير الكواكب السبعة البقية، حسبما يه الشيخ في الباب 167 من الفتوحات.

(2) عيوننا: أي عيون الأسرار.

لأن هذه حشرة «أو أذني» ليس فيها إلا دقيق سر أو لطيف معنى، من هنا أريدت التراكب لتناجاة الإمام أبي حماد. فقلت له: إن الطالب إذا فهم وقع الإشاري أوجز له في العبارة لأن كان من أهل التصحيح، فسوف أتفصيل، فسألني عن المعاني الكثيرة باللفظ الوجيز، وخلصه لي كالذهب الإبريز.

قال السالك:

فقال لي: نَمَّ نُحْلَصُ، ونُحْرَبُ عن القصد ونُلْخَصُ، وما نحن نُشْخِصُ إليك ترجمتنا بلغي عليك أسرار الكتاب، ويقدم لك القشر على اللباب. ﴿وَمَا كَانَ يُنْشِئُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ أَزْوَاجًا كَلَّا وَتَوَكَّلْ عَلَىكَ﴾ (الحجرات: 51).

أي: يقدم لك الخطاب، وهي الكلمات التي تحوي على المعنى، ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ يُنْشِئُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ أَزْوَاجًا كَلَّا وَتَوَكَّلْ عَلَىكَ﴾ (الحجرات: 51). فإن الأمور إذا لفظ يدل على معنى، وهو هذا، ومعنى يدل عليه لفظ ما من غير تخصيص. فالأول لمقام السريد المتعلم، والثاني مقام المعلم.

وقد أمرناه أَنْ يَسْأَلَكَ عنها ما بين زواجة وحصاد وسبيل وجهات وتبجل وتحل، وبنية وغاية، وارتقاء ولفاء، وغرض وجنَى، وحرف ومعنى، وتجارة وبيع، وصلاح ونجى، وقرع وفتح، وسلك ووصول، وجُتَلْ ووصول، وأرض وسموات، والفاظ وإشارات، إلى أمثال هذه الإشارات الحكيمة، والملك عن رموزها القرمزية، حتى يتنظم السلك، ويرتبط السلك.

قوله: «ما بين رُزْع وحصاد»: أي ما تنتجه أوامر تؤذي إلى نتيجة.

قال السالك:

فقلت له: مؤلّاي أنا العبد لبعره بك حديد⁽¹⁾، وقد ﴿أَلْقَى الْكَلْبَ وَفَزَّ سَهْمَهُ﴾ (37: 37)، لأن ألبته بالحكمة وفصل الخطاب، فسوف أتفصيل للإصابة في ردة الجواب. فقال لي: ما وليناك حتى أئذناك. ثم قال لترجمته: أول ما تلقاه به من سر الوحي وليابه، وتفتح له من أبوبه، فاتحة الكتاب.

(1) يشير إلى قوله تعالى: ﴿لَا تَكُنْ كَالْعَبْدِ الْيَهُودِيِّ﴾ (37: 37).

قال السالك:

فدخلنا مجلس المحاضرة، وفرشنا بساط المناظرة، وجرّد الترجمان عن ساعدنا، وقال: هات الجواب عن فرائد أسرار القرآن وفلاكله.

آيات مناجلة الإمام أبي حاتم وكن المعالم والمحامد:

قلت: سألت وفه حديد عيان البختان، مانعي سنان اللسان.

قال الترجمان: ما تقول في فاتحة الكتاب؟ قلت: قسمها الباري تصفين⁽¹⁾، حتى لا يصح في الوجود إلهين اثنين.

قال: ما فيها من الإشارات والرموز والفرد؟ قلت: الباقوت الأحمر والأصفر، والعتير الأشهب والعمود الرطب الأخضر⁽²⁾. أيها الترجمان: أم الكتاب، ليس لها انتساب، بل هي الإمام المين، لجميع العالمين، فمنهم من علم الإمام فاتحه ورعده، ومنهم من جهله لحظه ووعده، هي الأصل الثابت، لزعمها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، مع استغنائها عن الماء. وهي المثاني، بالنظر إلى المباني، والفتاحة بالنظر إلى الطريقة الواضحة، وأم القرآن، لمن تخلف بالقرآن⁽³⁾.

قوله: «الفتاحة»: فاتحة الكتاب، يعني كتاب الوجود. وقوله «قسمها الباري تصفين»: أي انتصحه بوجود عيد وربّ. ولو كان ثمّ إلهين لكان الوجود ينقسم قسمين بين ربّين، والأمر على خلاف ذلك. قوله «أم الكتاب ليس لها انتساب»: أي هي الأصل، والأصل لا يتسب، إنما تتسب القروع. قوله «بل هي الإمام المين لجميع العالمين»: أي لأن الحق مجلى الوجود، فأبان بوجوده صورة كل موجود. قوله «فمنهم من وعده»،

(1) يشير إلى الحديث المشهور: «قسمت الفتاحة بيني وبين عبيدي» الحديث.

(2) هذه المصطلحات الرمزية المشيرة إلى تصنيف الآيات القرآنية استعملها اللزالي في كتابه «جواهر القرآن».

(3) يُنظر في بعض أسرار الفتاحة الباب الخامس من الفتوحات والباب 383 وهو في معرفة منزل الطهارة الجامعة للقطعات وهو من الحفصة المحمدية الاختصاصية، ويُنظر أيضاً كتابه حول إشارات حرونها وكلماتها في كتابه «كتاب الطهارة»، وكتابنا «شروح على تفاسير ابن العربي للبسملة والفتاحة».

ومنهم من وضعه: يريد أن الذي علمه قال: (لا أحصي ثناء عليك)، والذي جهله قيل فيه: ﴿وَنُفِثَ بِهِمُ الْفَسَقَ قَدِيرِهِ﴾ [الأنعام: 91]. فإذا نطق الجاهل قيل له: ﴿وَنُفِثَ بِهِمُ الْفَسَقَ قَدِيرِهِ﴾. وإذا نطق العالم قال: (لا أحصي ثناء عليك). قوله «هي الأصل الثابت فرعها في السماء»: إشارة إلى ما لها من الملوك والزعماء. قوله «تتوتى أكلها كل حين»: هو ما يظهر عنها من الأسماء والمعارف في كل شيء. قوله «مع استئناسها عن الماء»: أي أن علم الحق ما يحتاج إلى مادة. قوله «هي المثاني بالنظر إلى المباني»: أي لأنها تظهر في أول منزلة، وما عليها أولاد لها، أي تظهر في كل ولد والمباني هي المنازل. وقوله «والفائضة بالنظر إلى الطريقة الواضحة»: أي فتح لك عن الطريق، أو المعنى، فمهما كان الفتح كان معه الوضوح. وقوله «وأم القرآن، لمن تخلق بالفرقان»: أي من تخلق بمقام الفرق كانت نتيجة الجمع، معناه: من ميز نفسه من ربه، وبقي مع عبوديته، خلغ الحق عليه من خلغ الزبوية، وجعله إماماً يقتدى به.

قال السالك:

لما يزال يسألني عن جواهر القرآن وتكرره، سورة سورة، حتى أتى على آخره.

قال السالك:

فلما أكمل الترجمان سؤاله عن جواهر القرآن، وتكرره الفرقان، طوى بساط المناظرة وسد باب المحاضرة، وتجلّى في المطلوب، وقال: جئت على المرغوب، أنت الإكسير، والفهمم النحير⁽¹⁾، وكبت جواداً لا يكبر، وضربت بكساف ماضي الخسرة لا ينير، وهذا اللوح بين يديك⁽²⁾، فأتى ما أوحى إليك.



(1) الهمهم: السيد الشجاع. التحير: الحائق الفطن.

(2) هو اللوح الأعلى. وكل ما في تفاصيله مرجعها إلى القرآن، والفائضة هي لم الكتاب، فأكفى في هذا الباب بلكر لمحة تخص الأم.

مناجاة اللوح الأعلى

بسم الله الرحمن الرحيم

قال السالك:

ثم جليني إليه بيد التمجيد وأنزلني في حضرة لوح التوحيد وهو القلم الإلهي
العلم الرباني، فرايت مسطراً في ذلك اللوح، مقامات أهل الریحان والزَّوْج⁽¹⁾.

قوله: «بيد التمجيد»: أي بيد التشريف جليني ليشرّفني. قوله «حضرة لوح التوحيد»: أي التوحيد الذي يحيي إلى الأشياء من جهة النفوس من الوجه الخاص. قوله «والعلم الرباني»: أي المنسوب إلى حضرة الزبوية، وكذلك انظر إلى كل اسم تأييد به المرتبة فأضفها إليه. قوله «مسطراً فيه مقامات أهل الریحان والزوج»: أي مقامات المقربين، فالزَّوْج ما يشريحون إليه، والزَّيْحَان الزَّوْج، وهو ما يتفكرون به من العلوم الإلهية والتجليات.

فرأيت حجاب النعمة، فلاح لي توحيد الرحمة⁽²⁾. ثم رفعت حجاب الأبدية، فلاح

(1) أنقص ما في الفرح هو القرآن المجيد وأنقص ما في القرآن آيات التوحيد بمباركة التعليل: «لا إله إلا»، ولهذا اختارها الشيخ في مشهدة، وظهرت في القرآن في 36 صيغة، فسبكها الشيخ في الفصل التاسع من الباب 198 من الفتوحات، وفيه يقول: «ولا تزيد على ما ورد في القرآن من ذلك، وهو ستة وثلاثون موضعاً، وهي عشر درجات الفلك الذي جعل الله لإيجاد الكائنات عند حركاته من أصناف الموجودات من عالم الأرواح والأجسام والثير والظلمة. فهذه الستة وثلاثون حق الله مما يكون في العالم من الموجودات، فإنها ستا تكون في عين التلقظ الإنساني بالقرآن، فهو كالقشر فيما سقت السماء، وهو المستسقي «الأعلى» من قوله: «سُبْحَ سَمَرٌ وَبُكَتُ الْأُخْلَى». فالتعليل عشر فذكر وهو زكاة، لأنه حق الله، فهو عشر ثلاثمائة وستين درجة ثم فضل هذه المراتب الستة والثلاثين.

(2) سده في الفتوحات: «توحيد الواحدية الاسم الرحمن»، وهو في قوله تعالى: ﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (البقرة: 163).

توحيد القويمة⁽¹⁾. ثم رفعت حجاب الأنوار، فلاح توحيد الأسرار⁽²⁾. ثم رفعت حجاب النسبة، فلاح توحيد المشية⁽³⁾. ثم رفعت حجاب الإفاضة، فلاح توحيد الشهادة⁽⁴⁾. ثم رفعت حجاب الشفع، فلاح توحيد الجمع⁽⁵⁾. ثم رفعت حجاب الخلق⁽⁶⁾، فلاح توحيد الحق. ثم رفعت حجاب الأمر، فلاح توحيد السر⁽⁷⁾. ثم رفعت حجاب الترك، فلاح توحيد الملك⁽⁸⁾. ثم رفعت حجاب السيادة، فلاح توحيد العباد⁽⁹⁾. ثم رفعت حجاب التولي، فلاح توحيد التجلي⁽¹⁰⁾. ثم رفعت حجاب الوراثة.....

- (1) سماء في الفترحات: توحيد الهوية، وتوحيد الابتداء، وهو في قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: 255].
- (2) سماء في الفترحات: توحيد حروف النفس - بفتح الفاء -، وتوحيد الابتداء، وهو في قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: 1 / 2].
- (3) النسبة هي التأجيل، وسماء في الفترحات: توحيد المشية، وهو في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَوِّدُ سُمْرَكَ فَإِنَّ اللَّهَ كَيْدُكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: 6].
- (4) سماء في الفترحات: توحيد الهوية والشهادة على الاسم المقسط وهو العدل في العالم، وهو في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ وَاللَّهُ لَهُ الْإِشْرَاقُ وَاللَّهُ لَهُ الْإِشْرَاقُ وَاللَّهُ لَهُ الْإِشْرَاقُ﴾ [آل عمران: 18].
- (5) سماء في الفترحات: توحيد الابتداء، وهو توحيد الهوية المنصوت بالاسم الجامع للقضاء والفصل، وهو في قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَيَرِي الْقَبْرَ﴾ [النساء: 87].
- (6) سماء في الفترحات: توحيد الرب بالاسم الخالق، وهو توحيد الهوية فهذا توحيد الوجود لا توحيد التقدير، فإنه أمر بالعبادة، ولا يأمر بالعبادة إلا من هو موصوف بالوجود، وهو في قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [الأنعام: 102].
- (7) سماء في الفترحات: توحيد الاتباع، وهو من توحيد الهوية، فهو توحيد تقليد في علم، وهو في قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [الأنعام: 106].
- (8) سماء في الفترحات: توحيد الهوية في الاسم المرسل، وهو توحيد الملك، ولهذا نمت بأنه يحيي ويميت، وهو في قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [الأنعام: 106].
- (9) سماء في الفترحات: توحيد توحيد الأمر بالعبادة، وهو في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَسْرَرْنَا إِلَّا يَعْزُدُوا إِلَهُهُمْ﴾ [التوبة: 31].
- (10) سماء في الفترحات: توحيد الاستكفاء وهو من توحيد الهوية، وهو في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ تَوَكُّلاً﴾

فلاح توحيد الاستغاثه⁽¹⁾ . ثم رفعت حجاب الإسلام، فلاح توحيد الإمام⁽²⁾ . ثم رفعت حجاب فرع الباب، فلاح توحيد المتاب⁽³⁾ . ثم رفعت حجاب الأعمال، فلاح توحيد الإنزال⁽⁴⁾ . ثم رفعت حجاب المشتى، فلاح توحيد الأسماء⁽⁵⁾ . ثم رفعت حجاب الاختيار، فلاح توحيد الإخبار⁽⁶⁾ . ثم رفعت حجاب الأطلال، فلاح توحيد الاستماع⁽⁷⁾ . ثم رفعت حجاب القريب، فلاح توحيد الغيب⁽⁸⁾ . ثم رفعت حجاب العلم، فلاح توحيد الكرم⁽⁹⁾ . ثم رفعت حجاب التسليم.....

• قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٢٩﴾ (آخرة: 129).

- (1) سماع في الفتوحات: توحيد الاستغاثه لم قال عنه: وهو توحيد الصلة لله جاء به «علي» في هذا التوحيد، وهو من الأسماء الموصولة، وجاء بهذا لرفع القيس عن السامعين كما فعلت السحرة لما أمنت يربط الصامتين فكانت: «زب ثوس وهارون» لرفع القيس من ألعان السامعين، وهو في قوله تعالى: ﴿عَلَى الْكُرْسِيِّ الْقُدْرَةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَالْهَيْبَةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ (يونس: 90).
- (2) سماع في الفتوحات: توحيد الاستعانة وهو توحيد الهوى، وهو في قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَهُ الْعَرْشُ الْمَعْلُومُ﴾ (هود: 14).
- (3) سماع في الفتوحات: توحيد الرجعة وهو توحيد الهوى، وهو في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَكُونُ الْأَرْضُ لِقَا فَرْجٍ لَّهَا لَا تَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ فَرْجًا وَبِهَا تَنصَبُ﴾ (فرعد: 30).
- (4) سماع في الفتوحات: توحيد الإطلال وهو توحيد الإنابة، وهو في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْجِعُوا إِلَى الْفُلُكَيْنِ﴾ (الأنفال: 12).
- (5) سماع في الفتوحات: توحيد الأبدال لله أبداً «الله» من «الرحمن» لأنهم أنكروا «الرحمن»، وهو في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا الْكُفْرُ الْكَفَرَةُ الْإِسْلَامُ﴾ (طه: 7-8).
- (6) سماع في الفتوحات: توحيد الاستماع وهو توحيد الإنابة، وهو في قوله تعالى: ﴿وَالْقُلُوبُ فَاسِدَةٌ﴾ (يونس: 13/14).
- (7) سماع في الفتوحات: توحيد السعة من توحيد الهوى، وهو في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ (طه: 98).
- (8) سماع في الفتوحات: توحيد الاعتكاف والتعريف وهو من توحيد الإنابة، وهو في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ لَا يَنْفَعُكَ مِنْ رَبِّكَ إِلَهٌ دُونَ إِلَهِكَ﴾ (الأنبياء: 25).
- (9) سماع في الفتوحات: توحيد العلم وهو توحيد المعطاب وهو توحيد التفسير، وهو في قوله تعالى: «

فلاح توحيد التعظيم⁽¹⁾. ثم رفعت حجاب التعلين، فلاح توحيد الكونين⁽²⁾. ثم رفعت حجاب المثني، فلاح توحيد الفناء⁽³⁾. ثم رفعت حجاب المثنة، فلاح توحيد البينة⁽⁴⁾. ثم رفعت حجاب العرض، فلاح توحيد الخفض⁽⁵⁾. ثم رفعت حجاب العفو والأمر بالعرف، فلاح توحيد الصرف⁽⁶⁾. ثم رفعت حجاب السرير، فلاح توحيد المعصير⁽⁷⁾. ثم رفعت حجاب الملوك، فلاح توحيد الإفك⁽⁸⁾. ثم رفعت حجاب الخلاص، فلاح توحيد

﴿وَمَا أَكْثَرُ إِذْ هَبَّ مَنْحِبُكَ فَأَنكَرَ لَنَاقِدِرَ عَلَيْكَ فَتَسَلَّمَ فِي الْأُفُقِ الْأَعْلَى لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: 87].

(1) سناه في الفترحات: توحيد الحق وهو توحيد الهوية، وهو في قوله تعالى: ﴿فَتَسَلَّمَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةُ الْحَقَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [المؤمنون: 116].

(2) سناه في الفترحات: توحيد الخبء وهو من توحيد الهوية، وهو في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ السَّمَوَاتِ الْعُلْيَا﴾ [النمل: 26].

(3) سناه في الفترحات: توحيد الاختيار وهو من توحيد الهوية، وهو في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْمُتَعَالَى الْأَلِيمُ ذُو الْكَرَمِ وَالْإِكْرَامِ وَالْيُودِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [الفصص: 70].

(4) سناه في الفترحات: توحيد الحكم بالترحيب الذي إليه رجوع الكثرة إذ كان عينها وهو توحيد الهوية، وهو في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَعَهُمْ قَدْ أَعْلَمَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَدْ قَدْ هَدَىٰ إِلَىٰ رَجْعَتِهِ﴾ [الفصص: 88].

(5) سناه في الفترحات: توحيد العلة وهو من توحيد الهوية، وهو في قوله تعالى: ﴿مَلَكِينَ خَلَقَ مِثْرَ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنْ أَسْفَلٍ وَأَعْلَىٰ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [فاطر: 3].

(6) سناه في الفترحات: توحيد التعجب وهو توحيد الله لا توحيد الهوية، وهو في قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ يَحْكُمُ لِمَا يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كَانَ يُصَرِّفُ﴾ [الزمر: 6].

(7) سناه في الفترحات: توحيد الصيرورة، وهو في قوله تعالى: ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ ذِي الْقَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [التوحيد: 3].

(8) سناه في الفترحات: توحيد الفضل، وهو من توحيد الهوية لأنه جاء بعد قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، فيكون هذا التوحيد شكرا لما تفضل به الله على الناس، وهو في قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ يَحْكُمُ لِمَا يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كَانَ يُصَرِّفُ﴾ [غافر: 62].

الإخلاص⁽¹⁾.

ثم رفعت حجاب المبدأ، فلاح توحيد السيادة⁽²⁾. ثم رفعت حجاب النار، فلاح توحيد الاستغفار⁽³⁾. ثم رفعت حجاب الشرك، فلاح توحيد الملك. ثم رفعت حجاب الشلم، فلاح توحيد العلم⁽⁴⁾. ثم رفعت حجاب الإشراف، فلاح توحيد الأوصاف⁽⁵⁾. ثم رفعت حجاب الإحسان، فلاح توحيد الإيمان⁽⁶⁾. ثم رفعت حجاب الكفالة، فلاح توحيد الوكالة⁽⁷⁾.

قال السالك:

فلما ناجاني في هذه المشاهد الكرام، والمقامات الجسام، ورأيتُ فيها ما لا عين رأت، ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ولا حثرت عليه خواص⁽⁸⁾ فليترقأ لآل: أيها السالك، أين هذه المقامات من أولئك؟ قلت له: ما بينهما نسب ولا سبب، قال:

- (1) وهو في قوله تعالى: ﴿مَنْ أَلْفَظَ الْإِسْلَامَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَسَتَجِدُنِي كَافِيًا﴾ [المائدة: 65].
- (2) سماء في الفتوحات: توحيد البركة، وهو توحيد الله، وهو في قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۚ لَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ تَأْتِي السُّبُحَاتُ﴾ [الأنعام: 8].
- (3) سماء في الفتوحات: توحيد الذكر، وهو في قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَهُوَ الْغَنِيُّ ۚ يُدِيرُ الْأُمُورَ﴾ [المجادل: 22].
- (4) سماء في الفتوحات: توحيد العلم وهو من توحيد الهوية وهو توحيد من حيث الفطرة لأن ميز بين الذهب والشهادة وجمع بين العلم والرحمة وهذا لا يكون إلا في العلم الذاتي، وهو في قوله تعالى: ﴿مَنْ أَلْفَظَ الْإِسْلَامَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَسَتَجِدُنِي كَافِيًا﴾ [المائدة: 65].
- (5) سماء في الفتوحات: توحيد السموات وهو من توحيد الهوية المحيطة، وهو في قوله تعالى: ﴿مَنْ أَلْفَظَ الْإِسْلَامَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَسَتَجِدُنِي كَافِيًا﴾ [المائدة: 65].
- (6) سماء في الفتوحات: توحيد الرزاق والرجوع إليها إلى الله ليزول عنه العهد، وهو في قوله تعالى: ﴿مَنْ أَلْفَظَ الْإِسْلَامَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَسَتَجِدُنِي كَافِيًا﴾ [المائدة: 65].
- (7) سماء في الفتوحات: توحيد الوكالة، وهو في قوله تعالى: ﴿مَنْ أَلْفَظَ الْإِسْلَامَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَسَتَجِدُنِي كَافِيًا﴾ [المائدة: 65].
- (8) أي وورد الإلهام الرباني.

صَلَّاتٌ⁽¹⁾.

ثم قال: أَيُّهَا الرُّسُولُ قَرِّبْ إِلَيَّ الْفَرَسَ⁽²⁾، حَتَّى أَتَجِدَهُ فِي الْبَيْتِ.



(1) أي لا مقارنة بين المراتب الكونية المخلوقة المخلوقة، وآيات التوحيد القرآنية التي هي من كلام الله تعالى القديم.

(2) الفرس هنا عبارة عن حمة السالك الطالبة لمزيد من الترقى.

مناجاة الرياح وصلصلة الجرس

وريش الجناح

بسم الله الرحمن الرحيم

قال السالك:

فامتطيت متن الجواد العتيق، وقلت: الرِّفِيقُ الرِّفِيقُ.

قوله: «مناجاة الرياح»: لقوله -عَلَيْهِ السَّلَام-: (إني لأجد نفسَ الرحمن من قبل اليمين)⁽¹⁾. و«صلصلة الجرس»: هو العلم الإجمالي، كما جاء: (إذا تكلم بالوحي فكأنه سلسلة على صفوان)⁽²⁾ وهو أشدُّ الوحي على المزاج. و«وريش الجناح»: عبارة عن مناجاة القوة، أي في الاقتدار الإلهي؛ فكأنَّ السلسلة من الاقتدار، وهذا الآخر هو عين الاقتدار. واختزلت بين دقائق ولطائف، ورفائق ومعارف، إلى أن وقف بي الفرس، في «حُضرة الجرس». فسمعت صلصلة الألعان، بوقوع الامتحان، فاقشعر جلدي، وزال كل ما كان عندي.

قوله: «بوقوع الامتحان»: أي خطاب الابتلاء.

ثم هبت عليَّ عواصف رياحه، فسترني بريش جناحه.

أي سترني بقوته وركاني به، ولم يكن في قوتي ذلك. والجناح عبارة عن لطفه كما قال تعالى: ﴿وَكَفُّوا لَهُمْ جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: 24].. و«الريش»: هو ما فيه من الاقتدار.

ثم نفس عتي، فرأيت العوالم يتساقطون على الأغيار⁽³⁾ تساقط النور على

(1) الحديث أخرجه الطبراني في مسند الشاميين.

(2) أخرجه أبو داود وابن حبان.

(3) الأغيار: جمع غير، وهو كل ما سوى الله تعالى.

الملاحم⁽¹⁾، وتمثلت عند ذلك بقوله الواصل الحاكم:

تَسْتَرْتُ عَنْ دَهْرِي بِظَلِّ جَنَاحِهِ فَبَيْنِي تَرَى دَهْرِي وَلَيْسَ يَرَنِي
فَلَوْ سَأَلْتُ الْأَيَّامَ: مَا أَسْمِي؟ مَا دَوْرْتُ وَلَيْسَ مَكَانِي؟ مَا دَوْرْتُ مَكَانِي

قوله: «تَسْتَرْتُ عَنْ دَهْرِي بِظَلِّ جَنَاحِهِ»: أي تزلت إلى الخلق في مقام الرحمة واللطيف، فلم يعرفوا قدرتي لأنهم عبيد العناء، إذا رأوا القهر ذكروا. قوله «فَلَوْ سَأَلْتُ الْأَيَّامَ: مَا أَسْمِي؟ مَا دَوْرْتُ؟»: هذا لسان حقيقة الإنسان التي لا تتحيز ولا تعيل المكان ولا الزمان. قوله: «وَلَيْسَ مَكَانِي؟ مَا دَوْرْتُ مَكَانِي؟»: أي أَدْنَى نسبة المكان لي نسبة الاستواء على العرش، وكل من لا يتحيز لا يقبل المكان، ونسبة المكان إليه مكانته لا استقرار.

قال السالك:

فلما ذهبت تلك الرياح العواصف، وسكنت صلصلة الزخود القواصف، وقد تفضد
الجبين حرّاً، وذهبت حرقاً وقرّاً، بسط لي الجناح، وقال لي: قد مرّت الرياح. هذه الرياح لا
تمرّ بشيء إلا جعلته هباءً منثوراً، وقرته تدميراً، لأنها ربح الفيرق، فليست تبقي مع مالكها
غيره، وإنما ترمي بشرو، ﴿لَا تَبْقَى لِلَّذِينَ كَذَبُوا شَيْءٌ مِمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (المدثر: 28/29) صرحاً بها
في الكتاب الكريم: ﴿وَلَا يَخْلُقُ إِلَّا سَكِينًا يَخْتِمْ الرِّيحَ نَفِثٌ﴾ (المائدة: 15) «يَكْسِبُونَ» قرأه آت على الألف
كأشبه ﴿المدثرات: 41/42﴾.

قوله: «الريح العقيم»: أي التي تهب لتزيل عن القلب كلّ ما سوى الله تعالى،
وتلعب بالأخبار، فبيرة أن يكون في محل قد اصطفاه الحق غيره.

فجعلت هذا الجناح لأصحاب هذا المقام وقايةً وجمّةً⁽²⁾، فرمّتها احترتها لذلك
حميةً وجمّةً⁽³⁾، فترمه حين تمرّ عليه بكلّ مصيب تريح⁽⁴⁾، فيصالح بأعداء تلك الريح،
فرمّتها قلت منها سهم وسقط، فأصاب بعض أهل العناية فاختبط؛ فترتاح لتروهم مسرعة

(1) الملاحم: جمع ملحم، وهي الحرب حيث يكثر القتل والجرح.

(2) جمّة: أي ستر.

(3) أي احترت ربح الفيرق حمايةً ومنفعة.

(4) التريح من السهام هو ما تضال إليه الرّيش لحمله في الهواء كالطائر.

إلى راسها، إسراع السهام إلى مراسها، لتمتد تلك يشتدون، الواجدون والمتواجدون:

رماتني بهم أصاب فؤاد الوالد السند⁽¹⁾

إلى مثل هذا من الآيات.

قوله: فجعلت هذا الجناح وقاية وجنة: أي أن هذه ريش الغيرة، لولا رحمتي لأذهبت الأثر القائم بالقلب من الأخيار، وأهلك المصل الذي هو القلب، فجعل الجناح رحمة خاصة تحمي القلب، وإلا كانت الزنج العقيم كالشجحات. قوله: وربما قلت منها سهم فأصاب: أي ربما أفرقه سهم من بعض غزل ريش الجناح، أي ربما قوت الغيرة على القلب فأخذته وصمق صاحبه. فإن سلم من الصمق والموت، وربما حصل له أثر كالصمق الذي حصل لموسى - عليه السلام - ولم يكن فيه الموت الكلي.

فمنعنا تعلق تلك السهام بريش الجناح، تسلّم من تحت كتفه، بعدما أيقن بلعابه وتلفه، وربما بطل دعوته في وجعه بحضرة «أوحى» وكلفه. فإن بطلت دعوته لم نزهه على ما أريدناه، وأنزلناه أسرع ما يمكن «وأوحى»، وجعلنا بينه وبين حضرة «أوحى». وربما يتخيل في تخليده، أن مفاصلها يده.

قوله: وربما بطل دعوته: أي هي رباح ابتلاء تظهر حقيقة ما في المحل. قوله: وربما يتخيل أنها يده، إلى آخر الفصل: عبارة عن أرباب الذعاوي الممكور بهم.

كلّ إن ينها ويته مهامه وسباب، تقطع فيها أعتاق التركاب، ثم لا يصلون إليها من يمد ويهون في أرضها بين وعيد ووعف وهي منهم مناط الثريا. وإن اشكى أحد منهم وجده تقول: تما لك لقد جئت شيئا فريا. فما له من جواب ما أقطعه، وكلام ما أحمده، ينظرون ولا ينظرون، وسيزجون ولا يزجون، وسيسرعون فيجبون: ﴿لَسْتَ أَفِيَّا وَلَا تَكُونُونَ﴾ (المؤمنون: 108)، ﴿وَمَا تَكُنْتُمْ لَكِي كَأَنَّ الْقِسْمَ تَكُونُونَ﴾ (القصص: 118).

قوله: «اعسروا فيها»: أي في عالم الطبيعة، لأن كثيرا يدعي محبة الله تعالى وهي

(1) السند: المرض الذي لزمه المرض الشديد.

محبّة طبيعيّة⁽¹⁾.

قال السّالك:

ثمّ قال: فلما نعت الزّراح نفّست عنهم الجنّاح.

أي: زال الأمر الذي كانوا يحذرونه ويخافونه ونفّس عنهم.

وروّح⁽²⁾ على قلوبهم وسلبهم الزّراح. فتمتعا تزوج على أسرارهم لطفًا، يهب من نسيم تلك النّفس على بعض قلوب أحرقها الشوق والاصطلام حتاتًا ومطامًا.

أي: روح لطف ورحمة بالمحبّين أصحاب المتابعة، وهم الذين يستونهم أهل الحقائق: «أصحاب الأنفاس». وتقول: «تَعَبَكُمُ الْكَلَمُ»: (إني لأجد نفّس الرحمن من كلّ اليمن)، أي يأتيني من جهة اليمن ما ينفّس به عين الكرب الذي أجده باطنًا وظاهرًا.

فَسُكِّنَ عنهم تلك النّفس، بعض ما يحذونه من لهيب تلك النّفس. فتمتعا ينظرون ذلك النّبراس⁽³⁾، يستونه أهل الحقائق: «صاحب الأنفاس»، وقد أشرّث إليه في المقصورة المتعلّقة:

وصاحب أنفاس تراه مطلقاً على نوار أشواق بها قلبه اكثرى

قال السّالك:

ثمّ قال لي: قد رأيت هنا ما رأيت، ونلت الذي تمنّيت. فقلت له: نعم رأيت بعض ما نويت، ونلت قليلاً ممّا اشتيت، وعزّتك ما وفّقت مع حضرة، ولا نظرت إليها نظرك لأنّ كلّ جزء من الكون حجاب، والصفات أسباب. فقال: لك ما أردت، وسأريك ما اعتقدت. قلت: الآن زال غمي، وتجلّى ليل هني.

قال: إني أوصلك إلى مستقرّ قلبك، ومقرّ ليك، فقلت: ليس له مقرّ، قال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (التّوحيد: 1-2). قلت: لغة أريد لأنّ في التّربية يوشّد العبد.

(1) لمرة مقام المحبة وأسره واقترق بين الحبّ الطبيعي والحبّ الروحاني والحبّ الإلهي يُطر في الفترحات الباب 178.

(2) النّبراس: المصباح.

قال لي⁽¹⁾: لقد مضيت لك طريقة لا تُسلك، وحقاً لا تُلتحق ولا تترك لم تدع حجاباً إلا غرقته، ولا سترًا إلا مرّفته، ولا غيتاً⁽²⁾ إلا أنجيت ومحقته فتناهى: إلى أين إلى أين؟ فخصني من متاجرتها الأثر واليمن، فهي لا تستقر بمنزل، ولا توجد من رَحْله بمنزل.

إني أتابعي كلّ سالك وواصل في مقام، فيظنّ أنه قد بلغ النهاية والختام، فيقول عندما يسمع الخطاب: هذا مقام أوسع إلى عبده قد وصلته فيرجع بالتبليغ من عندما ولم يعلم أنّ الخطاب كان من عَقْدِهِ⁽³⁾، فيطلب الرجوع إلى عالم الشهادة والمثال، رغبة في المبررات والكمال، فرّما يمجز في التمثيل، ويلوح له النقص فيطلب الرجوع للوصول والتحصّل، فأقطع دونه السبيل.

وأتت قد ناجيتك في كلّ حضرة ونظرت إليك فيها نظرك بين عشية وضحاها وفي هذا كله لا تشيع ولا تتنع، إلا تحيط وتجمع، وتقول هذا يُعاد⁽⁴⁾ من يحوّر، وقليل من كثير.

فقلتُ: بين أين كان للعبد أن يعرف مولاه، لولا ما قلت ما نفدت كلمات الله، والعبد ليست له إرادة يطلب بها الرجوع إلى الشهادة، إنما هي الإكادة والزيادة، فإن وقع منك لا منّي، نطقك منك لا عني⁽⁵⁾، وكانت لي المحبّة، واتضح لي سُنن المحبّة، فوعدتك لو أبقيتني أجد الآيات ما طلبت إلا الأزمات، فأتيت حلفت أنّ النهاية تُحال فكيف أرجع من هذه الحال؟

لأنّ أردت منّي الرجوع إلى الشُّك⁽⁶⁾ لأشترطُ، وحيثُ تقرّ عني وأخبط. قال: وماذا

(1) أي قال لورود الإلهام فرأيتي.

(2) غيتا: حجابها وغيرها.

(3) كان من عَقْدِهِ: أي كان من نفسه لا من الحق تعالى.

(4) شاد: ماله قليل.

(5) أي إنّ وقع الأمر من الحق تعالى إلى السالك الواسل بالرجوع إلى الخلق ليدعهم إلى الله تعالى على بصيرة.

(6) أي الرجوع إلى الخلق وعالم الشهادة.

تشرط؟ قلت: يكون نوري عليهم منبسط، لئلاهم بالهمة، وأنا خارج من كور الومة⁽¹⁾،
أي: لئلاهم ولا اتقيد بهم.

أتاجي بواطنهم بقلبك، وأنا مضبوذ في غزاة خيلك.

قوله - رضي الله عنه وأذينا بأذله - «أتاجي بواطنهم بقلبك»: أي بقلبي الذي هو متعلق بك، فأنت بعثته إليهم مقتدياً لأمرك لا صاحب هوى.

يجدون أثرًا ولا يرون حينًا.

أي: إني أثيراً مما أوصلت إليهم، وأعلمهم أنه من عند الله، إني عبد لا أثر لي، فيشهدون أثر الحق في قلوبهم، ولا يرون حين المؤثر.

ويطلبون أينك فلا يجدون أينا، فكبر همتهم، وتقوى أنفسهم حتى أكون في ذلك
الإرشاد والهداية صاحب نهاية وبقا، فأعرق واني يخرق، وتطلب فلا تلحق، كما
تطلب فلا تلحق. فإن صح لي هذا الاشتراط، وتقوى هذا الارتباط، فلما أشر الباطل
وأسير بين الانقلاب والابساط.

قال⁽²⁾: لئلا إلى حضرة «أوحى»، أتاجيك فيها بما يكون، وأحب لك بها سر القلم
والقلم، حتى تقول للشيء: «كن» فيكون⁽³⁾.



(1) كور الومة: لغة الصلابة، إشارة إلى عدم احتجابها بالخلف عن الحق تعالى.

(2) أي قال وورد الإلهام الرباني.

(3) قول العبد الرباني للشيء: «كن» فيكون عبارة عن استجابة الله تعالى لدعائه، إذ لا فاعل إلا هو عكس، كما جاء في الحديث القدسي الصحيح: «مَنْ قَالَ رَبِّ قَبُولِي يَقْرَبُ إِلَيَّ بِالنَّزِيلِ عَلَى أَمْرِي، لَوْ أَنَّ لَشَيْئًا شَيْئًا قُلْتُ شَيْئًا لَوِي يَسْئَعُ بِهِ وَيَصْرُءُ الَّذِي يُجِيرُ بِهِ وَفَعْلُهُ لَوِي يَجْلِسُ بِهِ، وَفَعْلُهُ لَوِي يَنْشُرُ بِهِ، وَفَعْلُهُ لَوِي يَنْشُرُ بِهِ، وَفَعْلُهُ لَوِي يَنْشُرُ بِهِ».

حضرة «أوحى»

بسم الله الرحمن الرحيم

قال السالك:

فَاغْشَيْتُ مَنِي، وَالْإِثْمَ حَنِي، وَانْقَضَتْ أُمُورٌ وَأَسْرَرُ، غَطَّى عَلَيْهِمْ إِرْقَارُ وَإِتْكَارُ،
جَلَّتْ مِنَ الْعِبَارَةِ، وَحَلَّتْ مِنَ الْإِشَارَةِ، نَهْيٌ لَا تُنَمُّ وَلَا تُوصَفُ، وَلَا تُحَدُّ وَلَا تُنَصَّفُ.
وَهَابَةُ الْعِبَارَةِ عَنْهَا أَنْ يُقَالُ: زَالَ قُلْتُ وَقَالَ، وَاتَّمَعْتُ الْمَقَامَ وَالْحَالَ، وَلَمْ يَبْقَ يَتْلُ
وَلَا ضَلَّ، وَلَا مَطْلَعٌ وَلَا حَدٌّ، وَنَعِيَتْ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، وَنَفِيتِ الظُّلُمَ وَالْأَنْوَارُ، وَنَفَى كُلُّ
قَابٍ وَدُفْرَةٍ، وَلَمْ يَبْقَ جَنَاحٌ وَلَا مَلَأُ أَشْرَفٍ، وَاتَّحَدَ السُّؤَالُ وَالْجَوَابُ، وَزَالَ الْمَكْتُوبُ
وَالْكَتَابُ، وَكَانَ الْمَجِيبُ هُوَ الْمُتَجَابِ، وَمَغْضَتِ الْجَارُ وَأَحْجَارَهَا، وَالْحَدَائِقُ
وَأَزْهَارَهَا، وَمَارَتِ السَّمَاءُ وَطُوسَتْ أَنْوَارُهَا، فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَى الْبَقَاءِ بِالْحَقِّ، بَعْدَ نَحَابِ
الْمَيِّمِ وَالْمُشْفَقِ، حَتَّى وَجَدْتُ فِي غِيَابَاتِ أَبَابِ سِرِّ أَسْرَارِ رُوحٍ مَعْنَى قَلْبِ الْفَنَى، مَا
كَانَتْ أَتَمُّهُ بِالْأَمْسِ⁽¹⁾.

لَمْ تَوْجِدْنِي بِنَجْمِ الْبَهَاءِ، وَلَا كَلِيلِ السَّعَادَةِ، وَأَفْرَغَ عَلَيَّ حُلَّةَ الْكِبَرِيَاءِ⁽²⁾، وَلَمَّا لَمْ يَلْزَ أَكُنْ
عَلَى سِوَاهِ⁽³⁾، وَتِلْكَ عَلَى الشَّرْطِ الَّذِي اشْتَرَطْتَهُ فِي مَنَاجَاةِ حَضْرَةِ قَرِيْبٍ، وَالْمَقْدُ الَّذِي
رَبَطْتَهُ بِحَضْرَةِ الْجَرَسِ وَالْبَتَّانِجِ⁽⁴⁾.

(1) كأن في هذه الفقرة تسمير عن حضرة الأحذية، ففي الحديث النبوي: «كان له ولم يكن شيء غيره» -رواه البخاري في صحيحه-

(2) أي تم للسالك الإذن في إمامة الدعوة إلى الله تعالى كما في قوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْهُ قُلْ إِنَّمَا نَحْنُ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ مَلَأَ مَا شَاءَ مِنْ عِلْمِهِ حَيْثُ يَشَاءُ فَلَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَلَا حِصْنٌ لِيْهِ يَنْصُرُ بِمَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ فَصِيمٌ﴾ (الحجرات: 24).

(3) على سواه: على المخالقات.

(4) وعلاصة هذا الشرط هي أن لا يحجب بامانة وعلافة عن عبوديته.

فأنا اليوم أنادي وأنادي، وأهادي وأهادي، وأشري وأشري إليّ، وأنوكل وأنوكل
 عليّ، ووهب لي كلّ حضرة تحت علمي، يخترقها السالكون إليّ باسمي، ولا يدركون
 منّي غير ما أدركته، ولا يملك أحد منهم من وجودي سوى ما ملكته، هذا إذا كانت لهم
 عندي عناية، وسبق لهم في سابق علمي هداية، وإلا فقي بحر المعارف يسبحون، وفي
 قفر اللطائف يخططون، مهّد الله لهم السبيل، وعرفهم أسرار التنزيل.



باب الإخبار ببعض ما خد لي السكار،
أن أصرح لمن سأل من الأبرار،
مما تحصل لي في
«حضرة أَوْحَى» من الأسرار

مناجاة الإذن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال السالك:

لما أن لي أن أكن على سواء، وإن لا ألق في موقف الشوى.

قوله: «موقف الشوى»: هو أن يساوى عند الحضرتين القديمة والحديثة، ومن قال بالاتحاد فمن هاهنا قال، ومن هاهنا يترقى المارغون إلى الكمال، أو يُحبط بهم إلى الطرد والإعمال، نسأل الله العافية الكاملة في كل موطن بمنته وفضله.

وإن لا أتمد في الخطاب حضرة الكرسي، فلقه مقام التبليغ العلني، والميراث

النبوي.

أي: هو المقام الذي تنقسم فيه الكلمة إلى تقاسيم الخطاب⁽¹⁾.

برزت لكم مخبراً، وتلها وأمرأ. فليأتم أن تظنوا اتصالي بحضرة «أَوْحَى»، اتصال

أشبه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (النجم: 3).

أي: أنه سبحانه ليس له حد فيكون الاتصال به في مرتبة دون مرتبة، وإنما ذلك عبارة عن حقيقة من الحقائق، وهذا كله سفر فيه - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -.

ويرهاني على ذلك، تعريفي لكم فيما تقدم حتى الآن آتي سالك، وآتي ما قبلت منه

(1) أي تقاسيم الخطاب الشريفي والقرآني والأوامر، بين محظور ومكروه، ولفظ ونافذة ومباح.

تبليغ القسط، إلا على الشرط المتقدم والقرط. فلا تسبوني إلى الاتحاد الفرد، فإنه السيد وأنا العبد، وإنما هي رموز وأسرار، لا تلتصقها الخواطر والأفكار، إنّ هي إلا مواهب من الجبار، جلّت أن تُقال إلا ذوقاً، ولا تصل إلا من علم فيها مثلي عشاقاً وشوقاً.

قال السالك:

لما انتهى بي إلى هذه الحاضرة القسمة، جرّدتني عن اللذائل الستية. وأوقفتني بابها، لأرغبه متفرّجاً أنّ يظلمني على ما بها، حتى يصحّ الظاري، وينكسر لقاري.

قوله: «جرّدتني عن اللذائل الستية» أي: عن كلّ صفة توجب التثيد بوصف خاص. قوله «يظلمني على بابها»: الضمير يعود على «حاضرة أوحى». وقوله «حتى يصحّ الظاري، وينكسر لقاري»: أي حتى أكون مهيباً، والمهيب هو الجبر بعد الكسر، فإنّ الانكسار الأوّل أعطاه فقري، وجبرني الحق في ذلك الفقر بما أعطاني من صفة العناية - *سُبْحَانَكَ* - ثم أعطاني الغنى بالله فقري إليه جُلّ وعزّ، فكسري بعد هذا الجبر، وهذا الكسر لا يقبل جبراً أبداً، وهو التحقيق بالمبودية عن بيّنة وصيرة، وهو الفقر إليه بعد الغنى به - *سُبْحَانَكَ* -، وهذا هو فقر الأكابر، لأنّ المارفين انتظروا من الفقر العام إلى الغنى بالله تعالى الخاص، ثم إلى الفقر الذي هو خاص الخاص. وبقية الموجودات فلها المرتبة الأولى من الانتظار، وهو انتظار الأكواف. فتحقّق ترشده، والله وليّ الإعانة⁽¹⁾.

فلما علمتُ ما أُراد أوفّر في نفسي صورة الإشهاد وهزّ البسيط، فاعتزّ التخطيط.

(1) للتوسع في هذا الموضوع ينظر في الفتوحات الباب 304 المصنّف بسورة «عبر»، وهو في معرفة منزل إظهار الغنى على الفقر من المنام الموسوي، وإظهار الفقر على الغنى من الحاضرة الميسورية، وفيه يقول: «ومنه طريقة أفتلها أمل طريقنا. وزلّوا أنّ الغنى بالله تعالى من أعظم المراتب، وحجبتهم ذلك عن التحقيق بالشيء على الفقر إلى الله الذي هو صفتهم الحقيقية، فاستلزموا في الغنى بالله بحكم التوسمين لمحببتهم في الغنى الذي هو خروج من صفتهم والرجل إتماماً من عرف فقره، وتحقّق صفتهم، ولم يخرج من موطنه، وأبلى على نفسه عظماءه، ولقي واسمه الذي لقيه به وسماه فقال: ﴿أَشْرَقَ الْفَقْرُ عَلَى الْغِنَى وَالْغِنَى عَلَى الْفَقْرِ﴾ [الفاطر: 15] فأزهرته الغنى وجهاتها أزلت أن تتشارك زيتها في اسم «الغنى»، فزالت أن تستسى به «الغنى بالله» وتصف به حتى ينطلق عليها اسم «الغنى»، وتخرج من اسم «الفقر»، فلتنظر ما بين الرّجلين».

يريد البسيط: اللطيفة الإنسانية لما اعتزّت، ويريد بالتخطيط عالم اللسان وهو عالم الطبيعة الذي مرّته اللطيفة.

وقلت قارحاً بابه، قول من فارق أوطانه وأحبابه:

يا تئن إليه تضرعي كمّ فا تريد تمنعي

قوله: «يا من إليه تضرعي»: يقول متادياً عزّ الهمة، أنه قرن التنا بالضرامة.

قوله: «كمّ فا تريد تمنعي»: كمّ فا تعظم الأمر لي لأطلب الرجوع عه لفلة حملي وضعتي وأنا لما أحمل الأشياء إلا بك.

كمّ فا طلبت وصالحكم بتبئل وتخصع

التبئل هو الانقطاع عما سوى الله تعالى، ومنه: فاطمة البتول - رضوان الله عليها - والخشع هو اللذة والافتقار.

كمّ فا سمعت تنصّي لي يا فولد تصدع

قوله: «آه يا فولد تصدع»: كآته ينجي الحق تعالى ويقول: لسا قلت إنّ قلب المؤمن وسك، وورقتي الإيمان فطمت أنك في قلبي، آسأ الأدب حيث نزلت إليه بأنه وسك فما له لا يتصدع حتى لا يكون في محلّ التقيد والحصر، فلها أمرته أنّ يتصدع. وكان كسر الأمر في الشعر للثقافة، وأنا هنا في لسان الحفاظ فللرجوع إلى مقام الخفض، وهو النزول، وهذا من نحو الطريق لا من نحو اللسان، فانهم.

قلوب يلوب وزفره تعلو لفسرط تولع

قوله: «قلوب يلوب»: ولم يقل يحترق، لأنّ سبحات الوجه من شأنها أن تحرق، غير أنّ الحقّ لما تجلّى لهذا القلب تجلّى له بضرب من اللطف، فكانت أنوار فيها وطويات، كمثل البرق في السحاب من رطويات الماء عن احتراق ما يقتضيه سنا البرق، فلها قال إنه يلوب ولم يقل إنه يحترق. وتولع وزفرة تعلو: أي حركة شوقية، ومن عادة النار أنها تطلب العلوّ للعنصر الأعظم، فلها قال: «تعلو»، أي إلى طلب العالم العلويّ الذي يناسبها، فكان شوقها - وإن كانت في أسر الطبيعة - شوق الملائكة المهيّمين، إذ وقد عُلِمَ أنّ نسبة الحق لجميع الأشياء نسبة واحدة، فلها قال لا تراحم العلاء الأعلى في شوقهم إلى الله تعالى. وقوله «لفسرط تولع»: أي فرط التولّع عليه في وجود الزفرة، ولهذا جاء في وصف جهنم أنّ لها زفير وشهيق، لفرط تولعها بمن يحصل فيها من الكفّار لأنها عاشقة

في الانقسام من أحادي محوريها وهو الحق - سُبْحَانَكَ يَا مَنْ -.

يَا صِينَ بِالنَّظَرِ الَّذِي لَدَيْكَ مِنْهُ تَشْفَعِي
أقسم على عبي بالقر الذي حصل لها في تجلّيه أن تشفع لصاحبها.

وَأَمْسُوسِي النَّمُورَ بِبَابِهِ وَتَمَلَّقِي وَتَمَتَّعِي

قوله: «وَأَمْسُوسِي النَّمُورَ بِبَابِهِ»: أي إذا شغقت كوني بهذه المثابة، فَإِنَّ الدَّمْعَ مِنْ صَفَةِ الْعَيْنِ. وَأَمَّا قَوْلُهُ «وَتَمَلَّقِي»: فَإِنَّ التَّمَلُّقَ فِي الظَّاهِرِ كَأَنَّهُ يُظْهِرُ خِلَافَ مَا يُخْفِي، وَكَذَلِكَ هُوَ هَاهُنَا، فَإِنَّهُ تَحْتَ سُلْطَانِ اسْمٍ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَهُوَ حَاكِمٌ عَلَيْهِ، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَمَلَّقَ إِلَى هَذَا الْأَسْمَاءِ إِلَّا أَنَّهُ هَذَا الْمَطْلُوبُ الَّذِي لَهُ يَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى جَمِيعِ الْأَسْمَاءِ، فَهُوَ مَعَ بَقِيَّةِ الْأَسْمَاءِ فِي مَعَامَلَتِهِ حَكْمَ التَّمَلَّقِ حَتَّى يَرْضَى هَذَا الْأَسْمَاءَ الْحَاكِمَ وَالْجَنَابَ الْعَالِي بِقَبْلِ التَّمَلَّقِ بِلُغَتِهِ سُبْحَانَهُ، وَيَنْجُزُ مَعَ التَّمَلَّقِ. وَقَوْلُهُ «وَتَمَتَّعِي»: أَيِ هُوَ فِعْلٌ صَنَاعِي لِبَقِيَّةِ الْأَسْمَاءِ الْخَارِجَةِ عَنْ سُلْطَانِ الْأَسْمَاءِ الْخَاصِ الَّذِي لَهُ حُكْمُ الرِّقَّةِ، فَاعْلَمْ ذَلِكَ.

يَا نَفْسَ مُوسَى صَبَابَةً وَعَلَسَ الْحَبِيبَ تَقَطَّعِي

«الصَّبَابَةُ»: رِقَّةُ الشَّوْقِ، فَإِنَّهَا مِيلٌ إِلَى الْحَبِيبِ، وَمِنْ فَرَحِ الصَّبَا: أَيِ الْمَافِقَةِ، وَ«صَبَا» فَلَانَ إِلَى دِينِ فَلَانَ: إِذَا مَالَ إِلَيْهِ. فَقَالَ لَهَا: مَوْتِي فِي حَالِ مِيلِكَ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ وَمِنْ كُلِّ سِوَى مُحِبِّوِكَ. وَقَوْلُهُ «وَعَلَسَ الْحَبِيبَ تَقَطَّعِي»: أَيِ وَجَدْنَا فِيهِ وَشَوْقًا إِلَيْهِ، أَيِ اخْرُجِي الْمُحِبَّ الْعَاقِلَةَ يَبْكُ وَيَتَنَفَّسُ.

شَوْقًا إِلَيْهِ لِمَنَّهُ يَمْرُؤُوسِي لِرُؤْسِهِ يَطْلَعُ

قوله: «لِمَنَّهُ»: كَلِمَةٌ تَرْجِي. «يَمْرُؤُوسِي»: يَحْنُ وَيَحْزَنُ وَيَفْجِعُ لِمَا أَصَابَنِي، وَ«الرَّسْمُ»: الْأَثَرُ، وَ«يَطْلَعُ»: الْخُرَابُ، إِذْ لَا يَطْلُعُ الشَّوْقُ لِفَانِهِ، فَكَأَنَّهُ فِي مُشَاهَدَةِ نَفْسِ عَرِي عَنْ مُشَاهَدَةِ رُبِّهِ فَتَطْلُقُ بِلِسَانِ الْحَالِ.

لَتَا وَقَفْتُ بِبَابِهِ بِتَنَهَّدَ وَتَطَهَّرَ

قوله: «بِتَنَهَّدَ وَتَطَهَّرَ»: يَصِفُ بِذَلِكَ حَالَهُ عِنْدَمَا دَعَاهُ اسْمُ الْمَطْلُوبِ إِلَيْهِ، فَلَمَّا دَعَاهُ إِلَيْهِ احْتَجَبَ عَنْهُ احْتِجَابَ ابْتِلَاءٍ وَاجْتِهَادٍ لِيَرَى صِدْقَهُ فِيمَا أَدْعَاهُ مِنْ مَحَبَّتِهِ بِزُورِهِ الْبَابِ أَوْ تَرَكَهُ إِنْ انْقَطَعَتْ بِهِ الْأَسْبَابُ، كَالَّذِي جَرَى لِصَاحِبِ التَّلِيَّةِ بِمَكَّةَ حَيْثُ كَانَ تَرَدَّدَ عَلَيْهِ تَلِيَّةً بِعَدَمِ الْقَبُولِ، حَتَّى كَرِشَفَ بِهِ بَعْضُهُمْ وَسَأَلَهُ عَنْ تَلِيَّةٍ مَعَ الرَّدِّ عَلَيْهِ بِعَدَمِ الْقَبُولِ، فَقَالَ: يَا وَلَدِي هَلْ ثَمَّ بَابٌ آخَرُ أَتَصَدُّ إِذَا طَرَدْتَ عَنْ هَذَا الْبَابِ، وَلِي كَذَا كَذَا سَنَةً أَسْمَعُ

هذا الجواب وأنا لا أنصرف عن الباب؛ ثم لى عقيب ذلك: (لَيْتَكَ اللَّهُمَّ لَيْتَكَ)، فإذا النداء: قد قبلناك بانكسارك وقبلنا تلييتك فإن الله عند المنكسرة قلوبهم من أجله.

وتحسّن وتمطّف لتغصص وتجرّع

أي يطلب منه الحنان والعطف لما يعانيه من الغصص والغصص: الاختناق بالماء، والماء سر الحياة العلمية، فهو قوله: بتغصصي لعزة العلم الذي عندي، أن يحول بيني وبين هذا العزّ بمشاهدة العين. وكذلك «التجرّع»: أي أتجرّعه على كراهة ومرارة ولا أعصيه في مراده منّي، كما قيل:

أريد وصاله، ويريد هجري فأنرك ما أريد لما يريد

فما قيل الهجر إلا على كره يتجرّعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كلّ مكان.

ينادي الحبيب: من الذي بالبواب؟ قلت: فتى دمي

قوله: «فتى»: دعوى منه في مقام الفتوة فيما يظهر. وإنما قال «فتى» لما حمل من مقاسات البلوى في رضا المحبوب، فأخبر عمّا هو الحال عليه، وما قال ذلك: بخولي وقوتي.

قال: أدمي؟ هل شاهد يدريه؟ قلت: أدمي

قال: هذه دعوى، فهل شاهد يشهد بصحة ما ادّعيته؟ فقال: معي شهود، وهو قوله:

إن كنت أكذب سيدي حسب شهادة أدمي

قوله: «إن كنت أكذب سيدي»: أي في دعواي. وقوله «حسي»: أي يكفيني شهادة أدمي، وهو بكائي للبين.

وتبّلدي وتبّلدي وتوجّمي وتفجّمي

قوله: «تبّلدي»: أي نفي النوم أي للتجلي عند التزول بالليل إلى سماء الدنيا. وقوله «تبّلدي»: أي عندما يخاطبني فيأخذني الذّهب والحيرة من حبيّ فيك، فلا أعي ما تقول، فأنت أشغلتني عنك. قوله «وتوجّمي»: أي ما يصيبني من ألم الحبّ. وقوله «وتفجّمي»: إشارة إلى ما أصاب به فيك من أنّي أسمع فيك من لا يعرفك ما لا يليق بك.

وتلهفي وتحيرني وتسرعني بتسرّعي

قوله: «وتلهفي»: أي حزني. قوله «وتحيرني»: أي لا أدري أين أطلبك وأقصّدك،

كلما قصدت مكانا ناديتي من آخر، فلما رجعت إليه ناديتي مما رجعت منه، فلا أزال متجيرا، وهذا جزء من أحب من لا يتقيد، فلا يزال متعوب المخاطر، وسبب ذلك ندائه لي من كل حجرة. فلو لم ينادي لثبت في مظهر من مظاهره، واعتكفت عليه، وأجمع هني، ولكن يفرقي. وقوله «وتسرحي بشرحي»: أي أنك ناديتي بالأسرار فيما شرعت لي، وقد فعلته، فهو أيضا من شهودي على صدق دعوي.

ما زلت أسهر بأكيا حتى يكتاتي مضجعي

قوله: «حتى يفتاتي مضجعي»: أي ومن الشهود مضجعي حيث تجالني جنبي عنه، فكنت ممن قبل فيهم في معرض لقاء الله: ﴿تَجَالَى جُثُوثُهُمْ فِي السَّحَابِ﴾ (الحجرات: 16).

شهدت بظلمك زفرتي وسا النجوم الطلع

أي شهدت بظلمك أشواني التي هي أسباب الزفرات، وسوا النجوم الطلع: يقول ضوء الكواكب، يعني كواكب الأساء من مراعاتي لها، وجريان حكمها علي، واستلامي لها، لا لأحيائها بل لدلائها عليك، إذ أنت المتس بها.

قل لي صدقت- فما لي تبغيه؟ قلت: تسع

«قل لي صدقت» كقوله: رب احكم بالحق. وقوله: «فما الذي تبغيه؟»: قال: أن تسع، كأنني تسع في هذا المقام نالبا عنه إجابة لي: كما ورد في الخبر: (إنما قال الإمام: سمع الله لمن حمده⁽¹⁾، فقولوا: «ربنا ولك الحمد»، فلما قال على لسان حمده: «سمع الله لمن حمده»، فهذا من ذلك المقام. قوله «تسع»: فكسر ولم يجرم فإنه أثر، فكثرة لإطلاق القافية، وعنتنا فإنه لطلب النزول لسألي، إذ يرمز جلاله أن ينزل إلى مثلي. فلما لم ينزل، فلا أقدر على بث وجدي بين يديه، إذ الحبيب إذا تجلى للمحب في صورة القمر لا يقوى على مخاطبته، فلذا تطلب به والآن له جانب حيث لا يخاطبه.

قصدي الغروب وظاهري يطوي الطريق لسطع

قوله: «قصدي الغروب»: أي قصدي مشاهدتك وأنت تجلي صفاتك.

يقصص المهامه قاصدا نحو الأملر الأمتع

(1) مثل هذا الحديث رواه البخاري ومسلم.

«المهامه»: القفار، أي يقطع الأمور الشاقة المهلكة بالرياضات والمجاهدات.
وقوله «الأعز»: أي الغالب. و«الأمع»: ذو الحمى فلا يوصل إليه.

يا ظاهرا في ظاهر كم ذا تقول: تمتع
قوله: «يا ظاهرا»: أي يا من ظهر في المظهر، «كم ذا تقول: تمتع» بالمظهر، وأنا
أعرف أن وراء المظهر ما لا يظهر. فقد صحَّ في هذا الموطن شرف «علم اليقين» على
«عين اليقين»، وهو المعبر عنه بـ «حق اليقين». وذلك أن «علم اليقين» يتقدّم، ثم «عين
اليقين»، ثم المرتبة الأخيرة بعد عين اليقين: «حق اليقين»، فهي أشرف مرتبة في هذا
الموطن.

لا تحجبَن نواظري بسنا المحلّ الأرفع
أي لا تحجبني بالمظهر وتقول ما ثمّ إلا هذا.
وقب الذي أتلُّه يا ذا الجلال الأروع
قوله: «وقب الذي أتلُّه»: أي الذي طلبته منك وكان في أمني. قوله «يا ذا الجلال»:
إي إذا وهبتي ما وهبتي فمن حضرة الجلال، حتى لا يستدرجني اللطف إلى إساءة
الأدب عند الأخذ، فلماذا طلب الجلال.

أين الحجاب ولم يرزل ما دمتُ إنسانا محي
قوله: «أين الحجاب، البيت بكماله»: يقول له لسان الحق عندما يسمع منه هذا
البيت ما تقوله العامة في أمثالها والعرب أيضا في أمثالها. فأما العامة إذا رأوا محبا يقول
لمحبوبه: ما أبالي إذا هجرت أو وصلت فإنك في قلبي حاضر، فتقول فيه: من قلبك
تصبح نفسك تطعمك نفسك بما ليس في يدك منه شيء، وتقوِّي نفسك به، وإلا إن كنت
صادقا ما الذي أوقفك في طريقي أو أوصلك إلى بابي، اقنع بما عندك مني. وأما مثل
العرب في هذا فإنهم يقولون فيمن هذه حالته: (عن صبح يرقق)⁽¹⁾.

(1) أصل هذا المثل أنه كان رجل نزل يقوم ليلا فأضافوه وخبَّروه، فلما فرغ قال إذا صبحتموني غدا
فكيف أخذ في حاجتي؟ ف قيل عند ذلك: «أهن صبح ترقق؟» والصبح هو الغدا، والفرق هو
المناء. وإنما أراد الغيب بهذه المقالة أن يوجب عليهم الصبح. فأصبح مثلاً لكل من كتى عن
شيء وهو يريد غيره.

في حضرة القدس، حيث قلت:

هَبَّ النسيم مع الإسماء والفلس⁽¹⁾ يعرف رَوْضَ النّهي من حضرة القدس
قوله: «هَبَّ النسيم»: يشير إلى نَفْسَ الرَّحْمَن، وهو الجود الإلهي الذي وُجِدَتْ به
الأعيان، وذكرها مع الإسماء والفلس، أي هبّوها كان في الأوقات التي ليست موصوفة
بشدة الحرور لعلها حال إيجادها، فلم يكن وجودها عن قهر. ثم قال «يعرف روض
النهي»: يريد بالعرف الرائحة، وهو ما تحويه الرّوضة من الأزهار الطيبة الرّيح، يريد
روضة العقل بقوله «النهي»، فإنها روضة معاني. وكنت بحضرة القدس أنها مطهرة ما فيها
شبهة تدنسها، ولا خيال يصورها.

وشمّ بريقاً بأفق التين لاح لنا يدلّ على أنّ عيون الماء في البّس⁽²⁾
قوله: «وشمّ بريقاً»: الشّمّ النظر إلى البرق، و«بريقاً»: مشهداً ذاتياً شَبَّهه بالبرق لأنه
لا يثبت فإنه مهلك. وقوله «بأفق التين»: لأنها السورة التي ذكر فيها أنه خلقه في أحسن
تقويم، أي هذه منزله، ولهذا كانت السورة بالسين. قوله «لاح لنا»: أي ظهر لنا بهذه
المنزلة. وقوله «يدلّ على أنّ عيون الماء في البّس»: أي أنّ الحياة في العلم اللدني الذي
لم يتقدّمه اكتساب، فإنّ التين ثمر ليس له زهر يتقدّمه.

السمّ تسروا لكليم الله كيف بدا له الخطاب من الأشجار في القبس
قوله: «كيف بدا له الخطاب من الأشجار في القبس»: أي لما كان الكلام لا يقف في
حضرة واحدة، ولا على معنى واحد، ويدخل بعضه في بعضه، علّقه بالمناسب له وهي
الشجرة لتدخل بعض أغصانها في بعض. وإنما كان قَبْساً لأنه كان مطلوبه النار، فكلمه
في مطلوبه، ولو كان غير ذلك لتجلّى له فيه وكلمه منه.

قال السالك:

فكان بعض ما قيل لي في ذلك التشريف والتتزيه، والتعريف والتنبيه، أن قال⁽³⁾:
عندي أنت حمدي، وحامل أمانتي وعهدي، أنت طولي وعرضي، وخليفتي في أرضي.

(1) الفلّس: ظلمة آخر الليل.

(2) البس: ثمر التين إذا أدرك.

(3) القائل هو لسان الإلهام الرباني، والمخاطب هو في الحقيقة الروح المحمّدي.

قوله: «أنت حمدي»: أي بك ينشئ عليّ. وقوله «وحامل أمانتي وعهدي»: أي حملتك الصورة، وأعلنت عليك الميثاق في العبودية، فلا تحببني صورتني عن عهدي، ولا عهدي عن صورتني، فتعامل كل موطن بما يليق به. وقوله «وأنت طولي وعرضي»: أراد إضافة تشريف، فالطول كل علم يتعلق بالمالم العلوي، والعرض ما يتعلق بالم الأرض الطيبة، وهو منحصر في أربعة أصول، وكذلك العرض منحصر في السموات والأرض في سعة الجنة، ولم يذكر طولها حد ولا انتهاء، فطولها روحاني معنوي، وعرضها جسماني. وهذا ذكرناه بطريق المعاني. وأما ما يتعلق بتحقيق عرض الجنة فأذن شكلها مستدير، والمستدير ليس له بداية ولا غاية، والطول لا يظهر إلا ببداية وغاية. فعرض الجنة هو قطرها إذا قدرته، وليس لها طول لأنها كزيرة. فاعلم ذلك، والله ولي الإعانة.

والفانم بقسطاس حقي، والمبعوث إلى جميع خلقي، عالمك الأدنى بالعدوة الدنيا والشدة القصوى.

أراد به «العدوة الدنيا»: الأقرب إلينا. المدونين القرية والبيعة.

أنت مرآتي، ومجلى صفاتي، ومفضل أسمائي، وفاطر سمائي.

قوله: «أنت مرآتي»: أي إذا كنت على الصورة فأنا أنظر فيك نفسي، وكذلك قولني «مجلى صفاتي». وقوله «مفضل أسمائي»: أي ما ظهرت حقائق الأسماء وتفاصيلها إلا بوجوهك. وقوله «وفاطر سمائي»: أي أنت الذي فتحت أبوابها، لأن ما فيها عليك ينزل، فمن أجلك تفتح الأبواب لتزول ما فيها إليك، إذ لو لاك لم يكن ذلك.

أنت موضع نظري من خلقي، ومجتمع جمعي وفرقي.

قوله: «أنت موضع نظري من خلقي»: هذا يخاطب به الإنسان الكامل. وقوله «مجتمع جمعي وفرقي»: أي فيك ظهرت صورتني وصورة العالم الكبير، فأنت جامع الصورتين.

أنت ودائي، وأنت أرضي وسمائي، وأنت عرشي وكبريائي.

قوله: «أنت ودائي»: أي الاسم الطاهر. وقوله «وأنت أرضي وسمائي»: أي من حيث ما يظهر عنك كما يظهر من السماء والأرض. وقوله «وأنت عرشي»: أي الذي استويت عليه. وقوله «كبريائي»: أي تعليني عن الاستواء الموجب للمحدود، وقد جعلتك في مقام لا يحصر ك حد فكيف أنا.

أنت الدرة البيضاء، والزبرجدة الخضراء، بك ترديت، عليك استويت، وإليك أتيت، وبك إلى خلقي تجلّيت.

قوله: «أنت الدرة البيضاء»: أي لك مقام القلم الأعلى. «والزبرجدة الخضراء»: أي لك مقام اللوح المحفوظ. وقوله «بك ترديت»: أي بظهورك ظهرت. وقوله «وعليك استويت»: أي لكونك ملكي الجامع. وقوله «إليك أتيت»: هو ما وصف الحق به نفسه في النزول إلى السماء الدنيا في الثلث الباقي من ليل هيكله⁽¹⁾. وقوله «وبك إلى خلقي تجلّيت»: أي لكونك على الصورة ومقام الخلافة.

لسبحانك ما أعظم سلطانك، سلطانك سلطاني فكيف لا يكون عظيمًا، ويذكُ يدي فكيف لا يكون عطاؤك جسيمًا.

قوله: «سبحانك ما أعظم شأنك»: أي تنزيهك رددته عليك⁽²⁾. وقوله «سلطانك سلطاني»: أي ليس للعبد سلطان من نفسه. قال تعالى: ﴿وَلَيْكَ حُجَّتُكَ وَأَتَيْتَهَا بِرَبِّكَ﴾ [الأنعام: 83]، وما قال حجة إبراهيم، سلطان الحجة. وقوله «ويذكُ يدي فكيف لا يكون عطاؤك جسيمًا»: أي أنّ اليد العليا هي المتفقة، وهو سبحانه يتفق كيف يشاء، ويد العبد محبوسة، فكلمًا يتصرف العبد فهي يد الحق - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -.

(1) يشير الشارح هنا إلى تناسب بين أقسام الليل الثلاثة، وعوالم الإنسان الثلاثة: روحه أو معناه، ونفسه أو خياله، وجسمه أو هيكله. والنزول الرباني في الثلث الأخير من الليل يتناسب مع ما ورد في حديث حبّ الله تعالى للمقرب بالتواضع حتى يكون سمعه وبصره ويده ورجله.

(2) في العديد من نصوصه نبّه الشيخ على أنّ حقيقة التسيب راجعة إلى المسيح - اسم فاعل - . يقول عنه ابن سودكين في كتابه «لواقح الأسرار»: وسمت - وَلَيْكَ حُجَّتُكَ وَأَتَيْتَهَا بِرَبِّكَ - يتكلم في قول أبي يزيد البسطامي يَعْبُدُكَ تَعَالَى -: «سبحاني»، فقال ما معناه: إنه لما نزه الحق نفسه وقُدّسه، قيل له في سرّه: هذا التسيب والتنزيه الذي سبّحتنا به، هل تعلم أنه يعود علينا منه شيء؟ أو يفيدنا ما ليس عندنا؟ فقال: لا بل لك الكمال المطلق الذي يستحيل عليه التقصير؛ ف قيل له: فإذا أنت تسبّح نفسك أن يكون فيها الصفة التي أوجبّت التعطيل في نفس المعطل. فلما تمكن في هذا المقام إلى آخره فاستوفاه، وتقَدّس بطلنه من صفة تقتضي الجهل، قال: «سبحاني» قولاً ذاتياً ضرورياً والسلام. ولقد حبّبتُ من تأول أخبار الصفات التي جاءت بها الشريعة وخرّج لها وجهًا، لما شكّت به نفسه خصوص كيف، ولم يخرج للعبيد الكاملين وجهًا إذا أذهوا صفات ربهم؛ والحقيقة واحدة.

لا يثقل لك يوزيك، ولا عليل يجاريك.

قوله: «لا يثقل لك يوزيك»: أي أنّ الحق لا يكون مثلاً للإنسان، وإن كان الإنسان قد وُجد على صورته، وقد كتبت عنه بالمثل، فهو مثل لا يُماثل. وهي مسألة عظيمة غلط فيها أكثر المارفين، فأتهم سمعوا إثبات المثلثة في قوله: ﴿كَيْفَ كُنْهِهِ شَيْءٌ﴾ [الحدود: 11]، أي: ليس مثل مثله شيء، وسمعوا أنّ الله خلق آدم على صورته، فقالوا هو المعتبر عنه بالمثل، والمثل يماثل مثله، فكما نحن مثال الحق فالحق مثلاً، وما هنا يقع الغلط، وإنما لو قال: «ليس كمثاله شيء» فكان يكون الحق مثلاً ونحن مثل الحق. ولما لم يقل هذا، عرفنا أنّ نحن مثله، وهو ليس مثلاً، وهي دقيقة تخفى عنها عيون من لم يعرف خطاب الحق، وترجم عنه بما لا يليق به من سوء عين فهمه، لا من كشفه، فتخطى ترشد وقل: ﴿رَبِّهِ يَنْبِذُكُمْ﴾ [طه: 114]، وقوله «لا عليل يجاريك»: أراد بالعليل التشبيه، وهو قول الكفار: ﴿يَرْجِمُونَ يَتْلُواكُ﴾ [الأنعام: 1]، أي يجعلون له مثليها ومساثلها.

أنت سرّ الماء، وسرّ نجوم السماء، وحياة روح الحياء، وباعث الأموات.

قوله: «أنت سرّ الماء»: أي أنت سرّ الحياة إذ كان الله قد جعل منه كلّ شيء حي. وقوله «وسرّ نجوم السماء»: أي بما جعل فيها وفي حركاتها العجيبة دنيا وآخرة. وقوله «وحياة روح الحياء»: يريد أنه لا شك أنّ الحياة في الصور سببها وجود الروح فيها، وللروح حياة يقال لها «حياة الروح» هي حياة ذاتية، والتي في الصور عرضية، وهي هذه الحياة الحسية. وأما حياة الصور الذاتية فهي التي هي بها مسبحة لله عكساً، سواء عرضت لها هذه الحياة الحسية أو لم تعرض.

قوله: «وباعث الأموات»: يريد أنه لما كانت جوارحه ما لم يميتها موتى عن إقامة ما تُكَلِّفُ به من البطش والسي وغير ذلك، فكان هو مأموراً بميتها من هذا الموت، فقبل له «باعث الأموات».

أنت جنة العارفين، وغاية السالكين، وريحان المطهرين، وسلام أصحاب اليمين،

ومراد الطالبين.

قوله: «أنت جنة العارفين»: يقول أنت راحتهم ومنتزّهم بما أعطاك الله من جمال الشائئين، ووجود الصورتين، أي صورة الحق وصورة العالم، والشائئين أي الشاة الظاهرة والباطنة، وحيك الله من خصائص التجليين: التجلي الظاهر من الاسم «الظاهر»، والتجلي الباطن أي التجلي لباطنك من الاسم «الظاهر» أيضاً، إذ كان الاسم «الباطن»

ناجيتك به في مشهد «المطلع»، عند ارتقاكك عن المحلّ الأرفع⁽¹⁾.

قوله: «طوبى لسرّ وصل إليك»: قد يريد بطوبى من الطيب، أي طيباً لك؛ وقد يريد بها شجرة تستوى طوبى، هي في الجنة لقوم موصوفين، فتكون أنت لهم بمنزلة «طوبى» لأولئك. وقوله «وخرّ ساجداً بين يديك»: أي يلحق هذا السرّ بالملائكة في سجودهم لأدم - عَلَيْهِ السَّلَام -، وأنت تلحق بأدم فيما فضله به عليهم. وقوله: «له عندي ما خبأته وراء حدي»: أي تجليات «المطلع».

عبدى أنت سرّي، وموضع أمرى، هذا موقف تعريفك، بعلوك على كل الموجودات وتشريفك⁽²⁾.

قوله: «أنت سرّي وموضع أمرى»: أي جعلت صورتك في الظاهر صورة أمثالك، وأنت في الباطن مخالف لهم، فهذا معنى «السرّ». وقوله «وموضع أمرى»: أي المخاطب بأمرى، وهم على بينة من ربهم وبصيرة. وقوله «هذا موقف تعريفك، بعلوك على كل الموجودات وتشريفك»: أي هذه الحضرة التي هي «حضرة أوحى». وهذه الحضرة لها شرفان: شرف المرتبة، وشرف لما يوحى في المرتبة، ففي الذي يوحى في المرتبة يقع التضاضل.

أنت روضة الأزهار، وأزهار الروضات، ومغرب الأسرار، وأسرار المغرب، ومشرق الأنوار، وأنوار المشرق.

قوله: «أنت روضة الأزهار وأزهار الروضات»: أي أنت متّيج وأنت نتيجة. وقوله «ومغرب الأسرار»: أي فيك تغرب أسراي. وقوله «وأسرار المغرب»: أي إذا بُحِتْ عن الأسرار لم توجد مكتملة إلا منك. وقوله «ومشرق الأنوار»: أي بك تظهر الأنوار. وقوله «وأنوار المشرق»: أي بك تشرق الجهات.

(1) يشير الشيخ هنا إلى المخاطبات التي تلقاها في المشهد السادس من كتابه «مشاهد الأسرار القدسية ومطالع الأنوار الإلهية» المتضمن أربعة عشرة مشهداً. وفي شرحنا لهذا الكتاب بيناً علاقة أبوابه بسور من القرآن، وأن السورة المناسبة لهذا المشهد السادس هي سورة يس، وعنوانه: «مشهد نور المطلع وطلع نجم الكشف».

(2) المخاطب في كل هذه المخاطبات هو الروح المحقدي، أو الإنسان الكامل.

لولا ما ظهرت المقامات والمشاهد، ولا وُجد المشهود ولا الشاهد، ولا حُودِثَ المعالم والمحامد.

قوله: «لولا ما ظهرت المقامات والمشاهد: أي لما كانت المقامات والمشاهد ينسب لا وجود لها في أعيانها، ولم يكن لها ظهور إلا بالإنسان المتصف بها، فلفظك قال: «لولا ما ظهرت»، وهي مواضع التجليات. «ولا وُجد المشهود»: لا من حيث عينه بل من حيث هو مشهود. «ولا الشاهد»: لا من حيث عينه بل من حيث هو شاهد. وقوله «ولا حُودِثَ المعالم والمحامد»: أي إذا لم يكن لها أثر فلا يصح الحمد.

ولا يُخَيَّرُ بين مُلكٍ ومُلكوت، ولا تَفْرَحُ لاهوت بناسوت⁽¹⁾.

أي: لولا الصورة الظاهرة والباطنة ما تميّزت الأشياء، وهذا لا يخص بالإنسان، بل بكل موجود حصل في الصورة، وإنما كان للإنسان بهذا شرف من كونه شرف بالخطاب وعلم ما لم يكن يعلم من ذلك. فينبغي أن لا يختار الإنسان ويقول: من مثلي؟ فكل العالم هاهنا مثله إذ يجمعهم الحدّ والحقيقة.

بك ظهرت الموجودات وترتبت، وبك تزعزعت أرضها وتزيت.

يعني هذا الإنسان الذي عمر الدنيا وعمر الآخرة. فيعني بالموجودات عالم الطبيعة خاصة، لا كلّ الموجودات. وإذا أراد جميع الموجودات فيعني به عالم الصور، أي بالصورة ظهر الترتيب وتميّزت المعاني.

عندي لولا ما كان سلوك ولا سفر، ولا حين ولا أثر.

أي لولا ما من كونك ممكن. فكل ممكن داخل معه في هذا التناهي وهو وصف علمي على ما هو الأمر عليه، ويدخل فيه الشقي والسعيد. ويظهر في الكلام، فإن كان بدلاً على معنى مختص بموجود ما دون غيره فهو المقصود بذلك، وإن كان يعم جميع الموجودات فهو على ما به فليس المقصود به واحدا بعينه. وقد يكون تاء، وقد يكون وصف علم لا يُراد به التناهي وهو ما يكون على جهة التعريف. والتاء هو ما يقع به التشريف خاص لك، فاعلم ذلك، وبالله التوفيق.

ولا وصول ولا انصراف، ولا كشف ولا إشراف، ولا مكان ولا تمكين، ولا حال ولا

(1) ولا تفرح لاهوت بناسوت: أي ولا تفرح الأرواح بها كلها.

تلوين، ولا ذوق ولا شرب، ولا قشر ولا لب، ولا عيد ولا رب⁽¹⁾، ولا ذهاب ولا نفس، ولا هية ولا أنس، ولا نفس ولا قبس، ولا قرش ولا جرس، ولا جناح ولا رفرل، ولا رياح ولا موقف، ولا مزاج ولا انزعاج، ولا تجلي ولا تخلي، ولا جود ولا وجود، ولا حمد ولا محمود، ولا تداني ولا ترقى، ولا تدلي ولا تلقى، ولا هين ولا لين، ولا غين ولا زين، ولا كيف ولا أين، ولا فتق ولا رتق، ولا ختم ولا ختام، ولا وحي ولا كلام، ولا وميض ولا برق، ولا جمع ولا فرق، ولا إصاخة ولا إسماع، ولا للة ولا استمتاع، لا سلخ ولا انخلاع، ولا صدق ولا يقين، ولا غني ولا بين، ولا مشكاة ولا نور، ولا ورود ولا صدور، ولا ظهر لصفات عين، ولا تحقق وصل ولا بين، ولا كان عرش، ولا ثمهد فرش، ولا زفيع غمام، ولا أحرق اصطلام، ولا كان فناء ولا بقاء، ولا قبض ولا عطاء، إلى غير ذلك من الأسرار، ولا أشرقت الأنوار على الأسوار، ولا جرت بحار الخلق على الأطوار. لولا ما عُدْتُ، ولا وُجِدْتُ ولا عُلِمْتُ، ولا دَعُوْتُ ولا أُجِبْتُ، ولا دُعِيتُ ولا أُجِبْتُ، ولا شُكِرْتُ ولا كُفِّرْتُ، ولا بَطُنْتُ ولا ظَهَرْتُ، ولا قَدِمْتُ ولا أُنْجَرْتُ، ولا نَهَيْتُ ولا أُمِرْتُ، ولا أَعْلَنْتُ ولا أَسْرَزْتُ، ولا أَخْبَرْتُ ولا أَوْضَحْتُ ولا أَسْرُتُ.

أنت قطب الفلك، ومعلم الملك، رهين المحبس، وسلطان المقام الأقدس.

قوله: «وأنت قطب الفلك»: أي عليك يدور الفلك، إذ كان الفلك لا يدور إلا بما تستحقه هذه النشأة، ولا وُجِدَتِ المولدات عن هذه الأفلاك في عالم الطبيعة إلا بحكم السخبر لهذا الإنسان، كما قال تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا لَهَا آيَاتِنَا وَمَا فِي الْأَرْضِ جَعَلْنَاهُ﴾ [الجن: 13] دنيا وآخرة. وقوله «وسلطان المقام الأقدس»: يعني الخلافة.

أنت كيميائي، وأنت سيميائي، أنت إكسير القلوب، ورياض حياض الغيوب، بك تنقلب الأعيان، أيها الإنسان.

قوله: «أنت كيميائي»: أي موضع قلب الأعيان أعيان الصور. وقوله «وأنت سيميائي»: أي أثره في البرزخ، لأنه قلب عين غير حقيقي بخلاف الكيمياء. وقوله «أنت إكسير القلوب»: أي ترذ القلوب المحجوبة عن الحق بمشاهدة الأكوان بشاهد الحق وتغيب عن الأكوان، أو تشاهده في الأكوان. وقوله «وررياض حياض الغيوب»: أي

(1) أي لا ظهور لأحكام الربوبية إلا بوجود المربوب وهو العبد.

مقرّه، أي كما أنّ الحوض مقر الماء. وقوله «بك تنقلب الأعيان أيها الإنسان»: يثبته ما تقدّم.

أنت الذي أردت، وأنت الذي احتقدت: وبك منك إليك، ومعبودك بين عينيك، ومعارفك مردودة عليك، ما عرفت سواك ولا ناجيت إلاّ لك⁽¹⁾.

مناجاة التّقيّين

وأنا الواحد الذي لا تحيط بي الأفكار، ولا يُستهى إليّ الأسرار⁽²⁾، ولا تعرفني البصار ولا الأبصار.

وأنا اللطيف الخبير، الحكيم القدير، وأنا كما كنت، عُيِنت أو وُجِدْتُ، اشركت أو وحدت، ما طرأ عليّ حال كنت قبليّ، ولا لقدت شيئاً ثم وُجِدْتُ⁽³⁾.

علمي محيط بيسطك، وقدوتي ظاهري في تضطيقك، تنزهت عن التنزيه، فكيف عن التشبيه، في المجزّز معرفتي على الكمال، فهي حضرة الجلال.

ليس لي مثّل معقول، ولا دلت عليّ المقول، الألباب حائرة في كبريائي، والأسرار مطبقون بعرض دعائي.

أنت وأنا حرف ومعنى، بل معنى ومعنى.

قوله: «أنت وأنا حرف ومعنى»: أي أنّ الحرف يتضمن المعنى، وأنت لا تتضمن بك، ولذلك قال «بل معنى ومعنى»، أي هو أشدّ بياناً وإن دلت عليه بحرفيتك، فإنما تدلّ عليه من كونه موجودك فقط، فما دلت إلاّ على نفسك.

أنت الوُحْدُ المُنْفِي، المقول اللغوي، وأنا الواحد الجليّ.

(1) أي مع كلّ هذا التشريف الأعلى، لأنّ الإنسان مهما كانت معرفته لا يدرك من العلم بالله تعالى إلاّ على قدر استعداده واستعداد كلّ مخلوق محصور، ولا مقارنة بين المفيد المحصور والحق الذي لا نهاية لكمالاته — سُبْحَانَكَ يَا مَنْ —.

(2) أي أنّ أسراراً كلّ المخلوقات لا تعرفني.

(3) أي لأنّ ذات الحق تعالى خفية عن العالمين.

قوله: «أنت البطل الخفي»: أي لكونك على الصورة. وقوله «المتقول اللغوي»: أي بإذني ما يقع به التشبيه في مجرد اللفظ، كقولك: عالم وعالم. وقوله «وأنا الواحد الجلي»: أي الذي لا يقبل الثنية.

أنت الواحد وأنا الواحد، والواحد في الواحد بالواحد، فإذا ضُرب الفرد في الفرد، بقي الرب وفني العبد. وهذا السرّ الخارج، لك لا لأصحاب المعارج.

قوله: «هذا السرّ الخارج، لك لا لأصحاب المعارج»: أي هذه معرفة ذاتية، وأما أصحاب المعارج فلهم التنقل في الأسماء من حضرة إلى حضرة. لا تَصْأُفْ يظهر لدي حينين⁽¹⁾، ولا تكاثف إلا من حيث البين⁽²⁾.

مناجاة المنة

عبيدي⁽³⁾، غرقت لك الحجاب، وأظهرت لك الأمر المُجَاب، حتى أتيت قومك بالكتاب، ﴿فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَّابٌ﴾⁽⁴⁾ [غافر: 24].

قوله: «غرقت لك الحجاب»: أي أشهدتك أسرار الغيب، حتى عرفت ما تعطيه خواص الأشياء في أزمنة مخصوصة.

عبيدي، وهبتك أسرار الأخلاق، ومَلَكْتِكَ مفتاح اسمي «الخلق»، فقال الكافرون: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْوَاقٌ﴾⁽⁵⁾ [ص: 7].

قوله: «وهبتك أسرار الأخلاق»: وهو ما أعطي من جوامع الكلم، إذ كان القرآن معجزته. و«الاختلاق»: الكذب.

عبيدي، مَلَكْتِكَ سرّ النون، من قولي: «كن فيكون»، فقالوا: ساحر مجنون⁽⁶⁾.

(1) أي أنّ الوجود الحق واحد أحد، ولا قيام لوجود المخلوقات إلا بالوجود الحق الواحد.

(2) أي في عالم الكثرة والفرق يظهر الكثيف مخالفاً لللطيف، أما في حضرة النور الخالص لا وجود إلا للطاقة مطلقاً. والله أعلم.

(3) العبد هنا هو الإنسان المحمدي الكامل.

(4) يشير إلى الآيات الأربعة الأولى من سورة القلم: ﴿قُلْ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾⁽¹⁾ ﴿مَا أَنشَأَ سِوَاكَ بِسْمِ اللَّهِ﴾⁽²⁾ ﴿وَلَقَدْ لَعَنَّكَ لِأَجْرٍ مِّنْهُ مَشْهُونٌ﴾⁽³⁾ ﴿وَلَقَدْ لَعَنَّكَ لَعْنٌ عَظِيمٌ﴾⁽⁴⁾.

قوله: «ملكك سر التوراة»: هو ما يظهر من الرسول من الاعتقاد الذي لا ينبغي أن يكون إلا لله تعالى، من إحياء الموتى وأشباعه.

عبدى أبرتنهم بأسرار الكوثر، فقالوا: ﴿إِنْ كَانَ أَسْرَارُكَ كَذِبًا﴾ (المعنى: 124).

يريد بأسرار الكوثر علما خاصا، كما أن الكوثر خاصية ماله أن من شرب منه لا يظلم، فكللك هذا العلم الذي هو بهذه المثابة من شرب منه ما يزوي.

عبدى أعطتك القوانين زمانها، وزلعت لك المعاني معارفها، فجزعت سابقا في حلبة التنازع والناتر، فقالوا: ما هذا رسول بل هو شاعر.

قوله: «أعطتك القوانين زمانها والمعاني»، إلى آخر الفصل: يريد دلالة الألفاظ بتحكم التطابق على المعاني على طريق الإعجاز بعدم المعارضة.

عبدى كشفت لهم عن فتور المسين، وأطمعهم على علم اليقين، فقالوا: ﴿وَبُذِّتَ حَتَّىٰ لَا تَسْطِيرَ الْأَقْدَامُ﴾ (الأفعال: 131).

يريد بالفتور المسين وعلم اليقين قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ قَدِيرٌ إِلَّا قَدِيرَ الْيَوْمِ﴾ (المعنى: 132).

عبدى أبرتنك في المحطرة الإلهية، ومحوته في الكيفية والمعامية، ولو كنت مطلقا عليها أحدا أطلعك، أو ثوقنا عليها غيرك أوقفتك، والغير لا يصح فكيف ذكرته؟ أو من ذا الذي نهيه أو أمرته؟

قوله: «أبرتنك في المحطرة الإلهية»: أي مقام الخلافة. وقوله «محوته في الكيفية والمعامية»: أي لم أعطك العلم، ولا ينبغي أن يُعطى لأحد. وقوله «ولو كنت مطلقا عليها أحد أطلعك»: هذا يدل على أن تم وصف نبوتى يتميز هو به، ويغرد بظفره والاطلاع عليه عَجَبٌ. ولما كانت العين مجهولة نسباً الأشياء إلى الإلهية. وقد جاء أنه «سبحانه» يرفع القسط ويخفض مع قوله تعالى: ﴿كَسْرَيْنَ عَلَى الْكَرْيِ﴾ (الامرء: 134). فهذه كلها أحوال، والأحوال للكيفيات مطلقا، لكن كيفية مطلقة لا متباعدة، أي مميزة عن سواها. وقوله «والغير لا يصح، فكيف ذكرته؟ ومن ذا الذي نهيه أو أمرته؟»: أي ليس نحن بأخبار الحق، ولا هو بغير لنا، بل هو هو، ونحن نحن. ونظر إلى ما يستلزمه الدليل، لأن إذا تناقضنا في رؤية الفعل من الصوري ومناقضه، قد ثبت بالدليل أن الفعل لله، فنسبه إليه اعتقاد إلهي، إذ لا فاعل سواه، ولا قادر سواه، ولا تصح قدرة بين مقدورين، وما رأينا

الفعل ظهر إلا من العبد، فهو محلّ لظهور عين الفعل، فقام الدليل على أنه فَعَلَ، وقام الدليل على أنه لم يفعل. فكذلك الغيرية، فاعلم ذلك، وقل: ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (١٣). والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل.

عبيدي، أَوْقَعْتُكَ عَلَى أَنَّ الْعَرْشَ ظِلُّكَ (١)، وَوَيْسَلَ الْأَسْرَارَ طَلُّكَ (٢)، وَأَنَّكَ الْعَرْشُ الْمَجِيدُ، الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ، فَمَا ظَنَّ الضَّائِقَ بَوَيْتُكَ، وَأَيْنَ هُوَ مِنْ مَوَاقِعَ تَبَلُّكَ. لَقَدْ أَبَدْتُكَ بِالْأَسْمَاءِ، وَهَرَجْتُ بِكَ إِلَى السَّمَاءِ، وَجَاوَزْتُ بِكَ عَلَى الزَّفَرِ، وَأَطْلَعْتُكَ عَلَى كُلِّ مَقَامٍ وَمَوْقِفٍ، وَكُنْتُ بِهَا السَّيِّدَ الْمُعَلَّى، وَالتَّوَرَّدَ الْعَذْبَ الْأَحْلَى، وَالصَّارِمَ الْمَغْصَبَ (٣) السُّجْلَى. وَكُلٌّ مِنْ أَدْمَى لَكَ الْإِمَامَةَ فِي الطَّرِيقِ، فَأَنْتَ سِرُّهُ عَلَى التَّحْقِيقِ، وَهُوَ مَا أَوْقَرْتَهُ فِي نَفْسِ الصَّادِقِ (٤)، وَهُوَ التَّوَارِثُ الْمَجِيدُ، عِنْدَ أَهْلِ الْجَمْعِ وَالْوُجُودِ. قَدْ تَرَكْتُ أَرْفَعُ مِنَ الْإِمَامَةِ، لِأَنَّهَا مَوْقُوفَةٌ عَلَى مَنْ نَظَرَ خَلْفَهُ وَأَمَامَهُ.

قوله: «قد ترك أرفع من الإمامة»، الفصل: أي أَنَّ الإمامة مقيدة بمن له خلف وأمام، وأنت أرفع من الجهات من حيث حقيقتك.

والجهات موضع الزيادة والنقصان، ومحلّ الزيج والمخسران، وأنت منزّه عن ذلك، إِذْ أَنْتَ الْمَلِكُ وَالْمَالِكُ. ثُمَّ تَجَلَيْتَ لَكَ فِي قَابِ قَوْسَيْنِ، وَمَحَوْتُ عَنْكَ فِيهِ الْأَثَرَ وَالْعَيْنَ، وَأَعْدَمْتُكَ التَّجَلِّدَيْنِ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ لَكَ مِنَ الْعَيْنِ إِلَّا إِنْسَانَتَاهَا، وَأَبْرَزْتُكَ فِي الْمَوْجُودَاتِ إِنْسَانَتَهَا، وَأَنْتَ تَنْظُمُ الشَّمْلَ، وَالتَّحَقُّقَ الْفَرَحَ بِالْأَصْلِ، وَاتَّحَدْتَ الْأُمُورَ، وَذَعَبْتَ الْقُشُورَ، وَوَلَّاحَ كَمَالَ الْوُجُودِ، وَرَأَيْتَ أَنَّ الْعَابِدَ هُوَ الْمَعْبُودُ (٥).

عبيدي، التَّعَمُّ كُلُّهَا بَيْنَ يَدَيْكَ، وَلِبَابِ التَّوْحِيدِ بَيْنَ عَيْنَيْكَ. طَالُ - وَعَزَّتِي - مَا كُنْتُ فِي

(1) العرش هو الملوك، أي العالم الكبير، وفيه ما تفرق في الإنسان الجامع، فهو كالنسخة منه.

(2) الويل: المطر الشديد، والطل: المطر الخفيف.

(3) المغصب: الرجل الحنيد الكلام.

(4) يشير إلى الخبر: «ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام ولا صلاة، ولكن بشيء» وقر في صدره [رواه الحكيم الترمذي في «نوار الأصول» وأبو يعلى وأحمد، وضخف سندَه بعض أهل الحديث - وقد سبق الكلام عنه.

(5) أي لا قيام للعابد إلا بمعبوده الحق تعالى الذي أقامه ووقفه لعبادته، هذا من جهة. ومن جهة أخرى فإنَّ العابد لا يعبد معبوده إلا بقدر معرفته به التي هي من صنع فكر العبد واعتقاده.

الحفيض الأوهده⁽¹⁾ والليل المشلولك الأويده⁽²⁾، لا يستطرك قرور ولا يطلع عليك نهار.
 فأردت من أجتاك أن يسرعوا إلى حضره: ﴿كَأَنَّكَ لَرَبٍّ لَا تَعْلَمُ لَكَ كَرِيحًا﴾ [الأحزاب: 13]، فأطلعت البدر المرموز في ليلتك الحتمية⁽³⁾، ومملكك التسمية.

قوله: «باب التوحيد بين عينك»: أي ليكون التوحيد مشهودك أبداً، وتكون مراقبا له على الدوام. قوله «طال ما كنت في الحفيض الأوهده»: أي في عالم طبيعتك. قوله «فأردت من أجتاك أن يسرعوا إلى قوله لا مقام لكم فارجعوا»: أي إلى ورائة المقام المحمدي. وقوله «فأطلعت البدر المرموز في ليلتك الحتمية»: أراد بالبدر المرموز قوله -عليه الصلاة والسلام- (تروون ريمكم كما تروون البدر)⁽⁴⁾. وقوله «في ليلتك الحتمية»: أي في نفسك وفاتك. وقوله «التسمية»: أي الزبغة.

فخرق خُذاني إهابي⁽⁵⁾، ونزع شُخْلُوكَ جليبيها، فصارت كأنها قطعة بلور، ترغل في خلل النور.

قوله: «فخرق خُذاني إهابي»: «الخداف»: الأسود. وقوله «ونزع شُخْلُوكَ جليبيها»: أي شق ظلمتها كما فعل البدر فأرأته من وراء السحاب، كذلك تجلّيت لك كالبدرة، فظهرت لك من وراء طبيعتك، فلذلك قال: «فصارت كأنها قطعة بلور ترغل في خلل النور»، يعني زهت بهذا التجلي.

ثم جئت بك في ظلل من الغمام على مشام دُخْها القُتَام، فأطرت القيان والأكام، فتعتم صُلُحُ حمامات الرُّيا وبارز الأهمام⁽⁶⁾.

قوله: «ثم جئت بك في ظلال من الغمام»: أي لتسلم أني إذا جئت إليك إنما أجي إليك بالحالة التي جئتني بها. وكذلك جاء التجلي لوسى -عَلَيْكَ السَّلَام- على الجبل.

(1) الأوهده: المنخفض.

(2) الأويده: الأخير.

(3) الحتمية: المظلمة.

(4) الحديث أخرجه البخاري ومسلم والترمذي.

(5) خرق خُذاني إهابي: أي خرق غلام جلدك.

(6) مشام: شجر يابس. قُتَام: الغبار الأسود. الأهمام: البهيم موبطن الوادي.

وقوله «على هشائم دَنَسها القَتام»: أراد الحجب التي هي الشبه في العلوم، أي مررت بك على هذه الهشائم، أي على أمور بينك وبينها حُجُب، فمررت عليها وأنت لا تعرفها، ولهذا وطنتها، ولو عرفت قدرها ما وطنتها. وقوله «أمطرت القيعان والأكام»: أي فَسَّرَتْ فيهم العظمة، فالقيعان: المنخفض، والأكام: المرتفع. وقوله «فتعمم صلح هامات الرُّبا»: أي أغشيت المقامات العلية بالمعارف، وكذلك المقامات الدنية بقوله بعد ذلك «ويارز الأهضام».

واخترقَتْ بك المقامات، وجَلَّيْتُ لِقُدومك الحضرات، أضرب لك في كل حضرة فسطاطاً، وأنشر لك فيه من الذكر الجميل بساطاً. ولم أزل أرقبك من هذه النسب، حتى حجبتك بالسبب عن السبب، فقلت لك: (أنا المريد، وأنا المبيد المميد)، تبهتك بذلك عن الرجوع ممّا وصلت، إلى المقام الذي عنه انفصلت، رجوع راق⁽¹⁾، لا رجوع فراق.

مناجاة التعليم

عبيدي، أنت من عرائسي الذين خبأتهم في خزان الغيوب، غيرة أن تطلع عليهم أسرار أرواح القلوب، فهم لدينا محضرون، صُمِّ بِكُمْ هُنِي فهم لا يرجعون.

قوله: «من عرائسي الذين خبأتهم»: إنما سَمَّاهم «عرائس» لأنهم محل نكاح الأسماء الإلهية التي تعطي التجليات في الدار الآخرة وحيث ما كان. وقوله «غيرة أن يطلع عليهم»: يعني قلوب الأغيار لثلا يعرف أحد مقامهم. وقوله «فهم لدينا محضرون»: أي لهم مقام الملائكة المهيَّمين، ويعني هؤلاء «الأفراد»⁽²⁾. وقوله «صم بكم فهم لا

(1) راق: ترقى.

(2) الأفراد هم طبقة من الأولياء قال الشيخ عنهم في الباب 73 ما خلاصته: «الأفراد لا عدد يحصرهم، وهم المقربون بلسان الشرع. وهم رجال خارجون عن دائرة القطب، وتخبرُ منهم، ونظيرهم من الملائكة الأرواح المهيَّمة في جلال الله وهم الكرويون، متكفون في حضرة الحق سبحانه لا يعرفون سواه، ولا يشهدون سوى ما عرفوا منه، ليس لهم بنواتهم علم عند نفوسهم، وهم على الحقيقة ما عرفوا سواهم، ولا وقفوا إلا معهم، هم وكل ما سوى الله بهله المثابة. مقامهم بين الصَّبِيَّة والنِّبوة الشرعية، وهو مقام جليل جهله أكثر الناس من أهل طريقنا لأن ذوقه عزيز، =

يرجعونه: أي لا يرجعون إلى الأكرابان بغیر الحق، والغالب عليهم الاستهلاك في جناب الحق، كأيي يزيد، وأيي عقاب المعصية الذي أقام سنين ما أكل ولا شرب حتى مات ورحمهما الله تعالى.

من استمسك بزمامهم، وصلى خلف إمامهم، حصل في عناية خاتمة الطور، ووقف على معاني الكتاب المسطور، وعلى الله قصد السبيل.

قوله: «من استمسك بزمامهم حصل في عناية خاتمة الطور»: أي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَتَيْنَاكَ﴾ [الطور: 40] «ووقف على معاني الكتاب المسطور»: يعني من سلك طريقة الأفراد كان كما قال الله تعالى فيه: ﴿وَلَقَدْ أَتَيْنَاكَ﴾، لأن الحق بيته في هذا المقام. فكما أن الحق عليه قريب في جميع أفعاله، كذلك هذا على الحق قريب في جميع آثاره، وهو مقام الصديق - عليه السلام - فإنه قال: (ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله). فهذه هي مراقبة الله تعالى في آثاره، فلا يبدى سبحانه شيئاً إلا وهو يراه قبل أن يبدى.

لمن شاء أن يقف على حقائق المعاني، فليخلق بالقرآن العظيم والسبح المثاني:
﴿تَاوَلَكُمُ الْكُتُبُ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنعام: 38]. من أحب أن يقف على عالم البسط
والتمطيط، فليكن القرآن المحيط: ﴿يَسْمُرُوا أَهْلَهُ بِكُنُوزٍ وَمِنْهُ أُمُّ الْكُتُبِ﴾ [

الزمر: 39].

قوله: «فليخلق بالقرآن العظيم والسبح المثاني»: يريد بالسبح المثاني أنها تنعطف بعضها على بعض بين حق وخلق، تارة تنعطف الحق على الخلق، وتارة تنعطف الخلق على الحق. والقرآن العظيم يعني المجموع العظيم الذي قد جمع بين الحق والخلق: ﴿تَاوَلَكُمُ الْكُتُبُ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنعام: 38]. قوله «فليكن القرآن المحيط»: أي من أراد أن يكون له إمداد على كل ما سوى الله تعالى فليكن هو عين القرآن، فيأخذ كل عالم منه مشربه. ولا يعرف ذلك إلا من يعرف موازين العالم: ﴿وَرَسَّطَلَحْنُ وَنَدَّوْهُنَّ﴾ [

الزمر: 48].

هو مقام التوبة المطلقة. وقد يقال اختصاصاً، وقد يقال بالعمل المشروع، وقد يقال بتوحيد الحق والخلق له وما ينهي من تعظيم جلال المنعم بالإيجاد والتوحيد كل ذلك من جهة العلم. وله كشف خاص لا يناله سواه. ومحمد - عليه السلام - كان قبل أن يرسل ونبياً من الأفراد الذين تألوا الأمر بتوحيد الحق وتعظيم جلاله والانتفاع إليه.

بين حمد المعارف والوارث، ما بين القديم والحادث: ﴿قُلْ كَلِّمْ لِيَعْمَلْ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾

[الأسراء: 34].

قوله: «قل كل يعمل على شاكلته»: هذه الآية التي ختم بها يعني هي حظ صاحب هذا المقام من القرآن. والوارث الذي يرث الحق وهو الذي يظهر في الخلق بصفة الحق، مع تحقيقه بصفته لا تزول عنه. والمعارف مع نفسه في مقام الحيرة، فإنه طالب نظر. فالمعارف متصرف والوارث مُصَرَّف.

اسمي الأعظم الأمجد، في العبد الأكرم⁽¹⁾ الانجند: ﴿وَقَدْ أَفْشَرَ أَفْلا تَتِيرُونَ﴾

[الذاريات: 21].

أي: هو الإنسان الكامل، وهو صاحب الهمة، فكل عبد إذا سُئِلَ الحق به أعطى فهو ذاك. قال بعضهم لبعض تلامذته: «إذا كانت لك إلى الله حاجة فأقسم عليه بي». فهنا أمران: أحدهما وهو الصحيح أن هذا الشيخ عرف من هذا التلميذ أنه قد اعتقد فيه هذا القدر الذي بُتِه عليه، وأن هِمَّتِه اجتمعت عليه في هذا الأمر، فعلم قطعاً أن هذه الهمة إذا اتجهت إلى الحق بسؤاله باسم هذا الشيخ أن الشيء يفعل له لهمة، لا لكرامة الشيخ. وقد يكون الشيخ على تلك المرتبة وقد لا يكون.

هو السرّ الفعّال الأوحد، لا يناله إلا من ارتقى ثم انحلد: ﴿الَّذِي مَاتَبَتْهُ مَكِينَتُهُ فَأَدَسَلَخَ

وَسْهَهَا﴾ [الأعراف: 175].

قوله: «هو السرّ الفعّال»: يريد بالفعّال المؤثر الأوحد، المجتمع الهمة، ولا ينال هذا

(1) أي أن الاسم هو الدالّ على المسمى، وأعظم دالّ على الله تعالى هو العبد المحمدي الكامل وفي هذا المعنى يقول الشيخ في جوابه عن السؤال 131 من أسئلة الحكيم الترمذي في الباب 73 من الفتوحات: ما رأس أسمائه الذي استوجب منه جميع الأسماء؟ الجواب: الاسم الأعظم الذي لا مدلول له سوى عين الجمع، وفيه «الْحَيُّ الْقَيُّومُ» ولا بد. فإن قلت فهو الاسم «الله»؟ قلت: لا أدري فإنه يفعل بالخاصية، وهذه اللفظة إنما تفعل بالصدق إذا كان صفة للمتلفظ بها، بخلاف ذلك الاسم. ولكن الظاهر من مذهب الترمذي أن رأس الأسماء الذي استوجب منه جميع الأسماء إنما هو الإنسان الكبير، وهو الكامل. وإذا كان هذا فهو الأولى في طريق القوم أن يُشرح به رأس الأسماء، فإن آدم علّمه الله جميع الأسماء كلها من ذاته ذوقاً، فعجلى له تجلياً كلياً، فما بقي اسم في الحضرة الإلهية إلا ظهر له فيه، فعلم من ذاته جميع أسماء خالقه.

المقام إلا ما ارتقى عن نفسه إلى ربه، ثم رجع إلى نفسه، وهو الغاية في الكمال. لأن من رجع إلى الفقر بعد الغنى فهو الرجل.

المعارف مركزه القطيعة، وغرق حجاب الشريعة، وهو يقول ولا يمن: ﴿لَا تَسْتَدِيرُوا إِلَيْنَا فَتَكُونَ أَكْصَابًا﴾ [البقرة: 34].

قوله: «مركزه القطيعة»: أي سطره الصفة التي يتميز بها عن ربه. وقوله «غرق حجاب الشريعة»: يريد أن الشريعة حجابها في العادة، وهو سرها، فمن عمل بالشريعة فقد غرق حجابها، فعلم ما وراءها كما قال تعالى: ﴿وَرَأَى اللَّهُ فِعْلَهُمْ فَانْقَلَبَ سَمَكًا﴾ [البقرة: 282]، فهذا معنى غرقها، أي عمل بها، فكشف ما تنج. ومن ذلك يقال: «غرقت الماء إذا مشيت فيه، أو سبحت فيه».

من تسلك لوائها⁽¹⁾ واعتصم حبالها، واتخذ «لا مقام» ملائكة، وصير الأصنام جلفاء، وأمطر وابلا وزلفاء، وجب أن يقول: ﴿لَا تَسْتَدِيرُوا إِلَيْنَا فَتَكُونَ أَكْصَابًا﴾ [الأنعام: 43].

قوله: «من تسلك لوائها»: أي من انتزع عن نفسه التزاما حقيقيا لا يشعر به في العادة ولا في الخاصة، ولاذ بالله تعالى كالمصدق يمين لا تعرف بها شماله. وقوله «اعتصم حبالها»: أي اتخذ الله من حيث جمجمة هذا الاسم أمرا يتوعد كما قال: (وأعوذ بك منك)، لأنه لم يرد في مقابلة الحق إلا الحق. وقوله «اتخذ المقام ملائكة»: أراد ميراثا محمديا. وقوله «وصير الأصنام جلفاء»: أي كل من قال له: «أنا الله» قال: «أنت بالله». وقوله «أمطر وابلا وزلفاء»: يريد أصناف العلوم يلتقيها على قلوب المتعلمين على قدر قواهم؛ فالرفاذ منه هو الرش وهو الخفيف من المطر. والوابل هو كل علم يرد على قلب مريض ذي حلة فيريه من تلك الحلة، فكأنه علم مختص بإزالة الشبهات، يقال: «بطل المريض وأبطل واشتبل» إذا صح من مرضه. فتحقق، وبالله التوفيق.

قال ويب نظر إمامه ووالده حقا إسماعيل - أعذ الله بيده - لما تحقق تمكن إمامه في هذا المقام الذي حضرته الأسماوية حضرة الاسم «المقط» في آيات منها في هذا المعنى هذه الآيات:

في كل يوم لأهمل الحق فائتة من فيضه فهو يلتقيها على قدر

(1) لوائها: غلبه.

تأتي المعاني على الإجمال موطئة وزنا بوزن بلاغي ولا هدر
مقام من حقق الباري وراثته وذلك أخطر ما في الإرث فاعتبر
إن زاد يطنى، وإن أبقي يرتع ولا تكليف أعظم من هذا على البشر
هذا المقام الذي جاء المديح به لسيد الكون من مولاه في السور

من قام باللام وحده، ووقف على ما حصل عنده، وجاوز مظهره حده، ولم ير مثله
ولا ضده، وملك وعيده ووعدته، وأمن قربه ويعدده، وعرف أنه لا يأتي أحد بعده، قال:
﴿الْمَسْتُ بِمِ الْوَيْ صَدَقًا وَعَدُهُ﴾ [الزمر: 74].

قوله: «من قام باللام وحده»: يريد أن اللام للفناء، فيكون القائم الحق لا هو، لأنك
تقول: «الحمد لله»، فجعلته حامدا لنفسه، قائما بحمده. وإذا قلت: «الحمد بالله» فقد
جعلت الباء للاستعانة. فاللام له، والباء لنا: ولذلك قال «العلماء لي، والعارفون بي».
وقوله «ووقف على ما حصل عنده»: يعني تميزت له في نفسه ما كشف الحق له من
المراتب. وقوله «ولم ير مثله ولا ضده»: يعني لشغله بربه، أو بموازنة نفسه مع ربه فيما
وجد عليها. وقوله «وملك وعيده ووعدته»: أي لم تؤثر فيه لا رغبة ولا رغبة، أي لا صفة
حكمت عليه، فهو عبد ذات لا عبد صفة. وقوله «وأمن قربه ويعدده»: أي لم يتأثر للأسماء
المؤثرات في القرب والبعد. وأما الوعد والوعيد فلا تثار الأسماء. وقوله «وعرف أنه لا
يأتي أحد بعده»: بأكمل من هذا المقام. وإنما يتفاوتون في استصحابه أو عدم استصحابه.

من اتبع الخليفة، أمن من كل خيفة، وصارت الأسرار به مطيعة، وحصل بالرتبة
المنفية، وأولي الأمر منكم لا ينسب إلى العدوان، فلا فاعل إلا الدينان: ﴿قُلْ كُلٌّ عِنْدَ اللَّهِ﴾
[النساء: 78].

قوله: «من اتبع الخليفة»: يريد الاتباع الذي يورث العصمة. وقوله «لا ينسب إلى
العدوان»: أي لا ينسب الخليفة إلى العدوان، كما قال الخارجي: «هذه قسمة ما أريد بها
وجه الله».

من طعن في الوزير ورد أمره، سقاه الأمير وجهه قدره: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ
اللَّهَ﴾ [النساء: 80]، هو صاحب الصفات والأسماء. وأعلم أن الوصف يريد الموصوف،
والاسم يريد المسمى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: 31]، (وأوتيت جوامع الكلم).

قوله: «هو صاحب الصفات والأسماء»: يعني صاحب هذا المقام إن شاء حكم بهله، وإن شاء لم يحكم. وقوله «اعلم أن الوصف يريد الموصوف»: أي هو الذي يشي بينك وبين الموصوف: «هو الاسم يريد المسمى».

لا يأكل من أكل الشجرة إلا الكفرة: عن أكل من الشجرة حرم مقامات البررة. شجرة تان تسمى بماء واحد: ﴿كَلَّا لَئِدٌ مَقْطُوعٌ وَكَذَّابٌ مُرْتَدِّدٌ﴾ (الإسراء: 20). في الوفاء بالمعهد الأزلي، مفتاح المعهد الأبدي: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ (الرحمن: 60).

قوله: «لا يأكل من أكل الشجرة إلا الكفرة»: يعني الذين يطلبون التشر بأوصاف الربوبية، إذ لا تصح الصمعية إلا له. وقوله «من أكل من الشجرة حرم مقامات البررة»: يعني بالبررة المحسنين. ومن أكلها لم يؤثر بها غيره لم يكن له مقام في الإحسان لأنه أكر نفسه. ومعنى ذلك أن العبد لا يتصف بأوصاف الربوبية إلا بمشاهدة عبودية غيره له، وإلّا هو المحسن إلى الغير، وهذا إنما أحسن إلى نفسه بإظهار عبوديته، وهو يتوجه للطريقين. وقوله «شجرة تان»: كأنه يشير إلى ما قلناه على التخلق بالشيء وتقبضه. فقد تكون الشجرة الواحدة عبارة عن شجرة العبودية، وتكون الشجرة الأخرى عبارة عن مقام الربوبية. ولما كان الرب والمربوب بينهما ارتباط، لذلك قال: ﴿يَسْتَقِيمُ وَتُكَوِّرُ بِهِ﴾ (الفرع: 4). وقوله «في الوفاء بالمعهد الأزلي مفتاح المعهد الأبدي»: أراد بالأزلي ما هو منسوب إلى الحق فيما أعلمه، والأبدي إذا وقيت بالمعهد الأزلي هو ما يكون لك من عنده إلى غير نهاية. قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ (الفرع: 40).

مناجاة أسرار مبادئ المتصور

عندي: بلغ إلي عني وقرني الحق، إذا قلت اسمي، وعاطب بلساني أهل الجمع والفرق، فأنا المتكلم وأنت اللاطف، وأنا المبلغ وأنت الحافظ. قل لهم عني وأنا المخاطب إلي مني:

قوله: «بلغ إلي عني»: أي إذا خاطبت أحدا فلا تخاطبه من حيث هو، لكن خاطبه من حيث أنك تخاطبني، أو تخاطبه بلساني ونيابتك في الكلام عني. كما أنني خاطبت نفسي فيك، كذلك خاطب نفسك في. أي كلفتك العمل، وأنا العامل فقال إما أريد

فخاطب نفسي فيك. فكَذَلِكَ إِذَا كَلِمَتَ نَفْسِكَ أَوْ غَيْرِكَ فَاشْهَدْ وَجُودَكَ فِيَّ وَفِي كُلِّ أَحَدٍ. «إِذَا قُلْتُ أَسْمَعْ» فَأَسْمَعْ لَكَ لَا لِي، وَأَنْتَ تَشْهَدُ الْوُجُودَ فِيَّ. فَتَحَقِّقْ تَرَشُدَ. وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ.

وقوله «وإخاطب بلساني أهل الجمع والفرق»: أي أهل المقامين معا. وقوله «فأنا المتكلم وأنت اللافظ»: أي يصدر منك اللفظ الظاهر المحسوس، والمتكلم على الحقيقة الذي خلق الكلام هو الحق. وقوله «وأنا المبلغ وأنت الحافظ»: أي تحفظ صورة ما أمرتك بتبليغه.

إِنَّ مَبَادِي السُّورِ الْمَجْهُولَةِ، لِأَهْلِ الصُّورِ الْمَعْقُولَةِ، ﴿ذَٰلِكَ فَتَنَّا قُوتَيْهِمْ أَنْ يَنْبَسُ﴾
[المائدة: 54]، جعلتها تسعة وعشرون سورة⁽¹⁾، وذلك كمال الصورة: ﴿وَالْقُرْآنَ فَتَنَّا مَكَازِي﴾ [يس: 39].

قوله: «إِنَّ مَبَادِي السُّورِ الْمَجْهُولَةِ لِأَهْلِ الصُّورِ الْمَعْقُولَةِ»: يعني معاني سور القرآن تجتمع مع الصور المعقولة التي يأخذها العقل من طريق التعريف الإلهي، لا من طريق فكره، فهي تجهلها الأفكار مثل ما جهلت ما أراد الحق لمبادئ هذه السور. والصور المجعولة كالنبوة والولاية وكرؤية الحق، وكل ما لا يستبدّ العقل بإدراكه حتى يقع به التعريف الإلهي. وهي ثمانية وعشرون مرتبة، كمرتبة الحروف؛ واللام ألف هي عبارة عن الحق والعبد، وهي بمنزلة القمر الدائر في المنازل. فالألف للمحق من حيث التجلي، فتشبه في المنازل هي تجلياته ومظاهره، ونصيب العبد منها قبول ذلك التجلي. واللام للعبد.

أَكْمَلْتُ لَهَا الْعَالَمَ بِأَسْرِهِ، وَفَرَّقْتُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ بِمَا لَوَّحْتُ بِهِ مِنْ نَهْيِهِ وَأَمْرِهِ: ﴿وَإِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ [طه: 14] ﴿فَأَعْيُودُونَ﴾ [المنكوت: 56].

قوله: «وفرقت بيني وبينهم بما لوّحت به من نهيه وأمره»: أي إني وإن كنت الفاعل

(1) البقرة: الم/ آل عمران: الم/ الأعراف: المعص/ يونس: الر/ هود: الر/ يوسف: الر/ الرعد: المر/ إبراهيم: الر/ الحجر: الر/ مريم: كهيعص/ طه: طه/ الشعراء: طسم/ النمل: طس/ القصص: طسم/ العنكبوت: الم/ الروم: الم/ لقمان: الم/ السجدة: الم/ يس: يس/ ص: ص/ غافر: حم/ فصلت: حم/ الشورى: حم/ عسق/ الزخرف: حم/ الدخان: حم/ الجاثية: حم/ الأحقاف: حم/ ق: ق/ القلم: ن.

على الإطلاق والفعل لي، فأنت محلّ تعلق الأمر والنهي والوعد والوعيد.
فمنها مفردة وتثنية، ومنها ما جمع⁽¹⁾ المعنى: ﴿لَيْسَ سَكْرَتُكَ إِلَّا زَيْلُكَ﴾ [إبراهيم: 17].
قوله: «منها مفردة»: مثل «ص» و«ق».

منها ما زيد فيه فاستثنى، ومنها ما نقص فيه فصنى: ﴿لَوْ كُنَّا بِرَأْيِ الْكَافِرِ الْكَرْبُ نَضْمًا
بِالْكَافِرِيَّاتِ﴾ [الزمر: 41]. منها متماثلة الصور ومختلفة، كما منها مفردة ومؤنثة: ﴿وَرَوَى
كَذَّابٌ زَيْلَهُ لِحَبْلِ الْكَافِرِ إِنَّكَ وَجِدْتَ﴾ [مرد: 118]. غايها خمسة حروف، وفيه اثنان للواصف
والوصوف، من مقام آدم وحواء، في جنة الإقامة وماوى الإمامة: ﴿تَكَلَّيْنِ حَتَّى تَقُتِلَا﴾
[الأعراف: 19]. مبلّغها ثمانية وسبعون، فمن كوشف ببقائها ملك الأعلى والقدون.
﴿فِي مَائِقَةٍ دُرَّتْهَا سِتْرُونَ وَوَكَاةً كَالشُّجْرَةِ﴾ [الحاقة: 32] ﴿وَلِكُلِّ بَكْرٍ نِثْمٌ حُمْرٌ مُشْتَوْرٌ﴾
[الجمهر: 44].

قوله: «فيه»: يعني أنّ هذه السور المجهولة جاءت مطابقة لصور الإنسان على
المطابقة. فهذه الحروف أربعة عشر حرفاً غير مكثّرة، وهي نصف الفلك الظاهر،
والأربعة عشر الأخرى الخفية للنصف الباطن. والحروف إذا نظرت مكثّرها كانت ثمانية
وسبعين، وهي في معنى مراتب الإيمان، كما جاء في الخبر: (الإيمان بسبع وسبعون
شعبة)⁽²⁾. وقوله «فمن كوشف ببقائها ملك العالي والقدون»: هذا باب الكشف والقدون.
إذا أراد الله تعالى التعريف به أقامه في الكشف، ووهب العلم الضروري للمحلل بطريق
المعاني المجردة⁽³⁾. فنترّك في ليل ذلك من الزّهاب الفتاح - سُبْحَانَكَ -.

(1) التثنية مثل: «طه» و«مير»، وما جمع مثل: «طه»، «الص» و«كبيص».

(2) الحديث أخرجه مسلم.

(3) في الباب الثاني من الفتحاح تكلم الشيخ عن هذه الحروف وعن بعض الإشارات إلى أسرار
«طه»، وقال ما خلاصه زيادة على ما ذكره هنا: «فجعلها تبارك وتعالى تسعا وعشرين سورة
وهو كمال الصورة على عدد منازل القمر الثمانية والعشرين، والتاسع والعشرون: القلب الذي
به قوام الفلك، وهو حلة وجوده، وهو سورة «آل عمران: ألم الله». وأولاً ذلك ما ثبت الثمانية
والعشرون. وجعلها على تكرار الحروف ثمانية وسبعون حرفاً، فلا يكتفل عبد أسرار الإيمان
حتى يعلم حقائق هذه الحروف في سورة «طه» كما أنه إذا علمها من غير تكرار علم تبيّ الله فيها على»

فما أفردت منها فلفناه الرسم أزلا، وما ثَبِتَتْ فلو جوده حالا، وما جمعت فلأبد استمرازا: ﴿زَيْلُ أَلْسِنَةٍ عَلَيْكَ يَذَرَاكَ﴾ [نوح: 11]. فالأفراد للبحر الأزلي، والثنائية للبرزخ المحمدي، والجمع للبحر الأبدى.

عبدى، انحصر لك وجود هذه الحروف بالجزم، إلى ثلاثة آلاف وخمسمائة واثنين وثلاثين على غاية البحث والجزم⁽¹⁾. وأَوَّلُ التفصيل من «نوح» إلى «شروق يوح»⁽²⁾. ثم إلى آخر التركيب الذي تنزل فيه الكلمة والروح. فبعد عدد تضريره وتجمعه، وتحط معه طر حا وتضعه، يبدو لك تمام الشريعة حتى إلى انخزام الطبيعة، وهي التي بقيت من «نون والقلم» إلى آخر الكتاب العزيز الأكرم.

فمبث محمد -ﷺ- من سورة النجم، إلى كافة العرب والمعجم.
ومن سورة البقرة إليها، بَثَّ الرُّسُلَ لديها، وليس لهم في الفاتحة نصيب، ولا رموا فيها بسهم مصيب. فاخص بها محمد -عليه الصلاة والسلام- على جميع الرسل الكرام.

= حقيقة الإيجاد وتفرّد القديم سبحانه بصفاته الأزلية. فأرسلها في قرآنه أربعة عشر حرفا مفردة مبهمة. فجعل الثمانية لمعرفة الذات والسيح الصفات منا، وجعل الأربعة للطبائع المؤلفة التي هي: الدم والسوداء والصفراء والبلغم، فجاءت اثنتي عشرة موجودة، وهذا هو الإنسان من هذا الفلك. وجعل أولها الألف في الخط، والهمزة في اللفظ، وآخرها النون. فالألف لوجود الذات على كمالها لأنها غير مفتقرة إلى حركة، والنون لوجود الشطر من العالم، وهو عالم التركيب، وذلك نصف الدائرة الظاهرة لنا من الفلك. والنصف الآخر النون المعقولة عليها التي لو ظهرت للحس وانتقلت من عالم الروح لكانت دائرة محيطية، ولكن أخفى هذه النون الروحانية الذي بها كمال الوجود، وجعلت نقطة النون المحسوسة دالة عليها. فالألف كاملة من جميع وجوهها، والنون ناقصة. فالشمس كاملة والقمر ناقص لأنه محو، فصفا غيوه معارة، وهي الأمانة التي حملها، وعلى قدر محوه وسراره وإثباته وظهوره: ثلاثة لثلاثة. ثلاثة: غروب القمر القلبي الإلهي في الحضرة الأحدية، وثلاثة: طلوع قمر الإلهي في الحضرة الزبانية. وما بينهما في الخروج والرجوع قَدَمًا بِقَدَمٍ لا يَخْتَلُ أبدا. فما أفرد من هذه الحروف فإشارة إلى فناء رسم العبد أزلا، وما ثَبَتْ فإشارة إلى وجود رسم العبودية حالا، وما جمعه فإشارة إلى الأبد بالموارد التي لا تنهاه.

(1) أي في حساب الجمل المشرفي مجموع أعداد هذه الحروف هو 3532.

(2) يوح: الشمس.

لهي قوله: متى كنت نبياً؟ قال: (وَأَدَمُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْطِينِ)⁽¹⁾، فكان مفتاح النبي. وقد ملك من سورة النجم إلى آخر القرآن العظيم. وتردد ما بينهما في أصلا المقامات إلى حطرة الكرم. أصبح له الوجود أجمع، وانحصر بالمحل الأمتنع: (أَوْتَيْتُ جَوَارِعَ الْكَلَمِ).

لما بقي لك بعد الوضع والطرح، فلذلك أوان النزول والفتن، وهو نظير المنقسط من القرآن الذي يليه الأنس، تقلبه بالنزول فيه، وقد أشرت لك إلى محابته، وما يعقلها إلا العالَمون⁽²⁾.

(1) أخرجه بهذا المعنى أحمد والطبراني والحاكم.

(2) في هذه الفقرات المفردة يشير الشيخ إلى تناسب بين الدورات الزمنية وبين ترتيب سور القرآن. وإلى مثل هذا أشار إلى استنباط حوادث الزمان بتكوينات من حساب آيات معينة من القرآن، وذلك في حطرة الفتن من الاسم «الفتاح» في الباب 558 من الفتوحات حيث قال: يدهي صاحب هذه الحطرة عبد الفتاح. ولها صورة ومعنى وريز. وما حازها على الكمال إلا آدم - عَلَيْهِ السَّلَام - يعلم الأسماء ومحمد - ﷺ - بجوارع الكلم وما عدا هذين الشخصين لما ذكر لنا. ومن هذه الحطرة نزلت: ﴿لَا يَكْفُرُ قَوْلُكَ وَلَا نَفْسُكَ﴾ (١) و﴿يُحْيِي الْمَوْتَى﴾ (٢). ولقد كنت بمدينة فارس سنة إحدى وتسعين وخمسائة، وسافر الموشحين قد عبرت إلى الأندلس لثالث المدة حين استقبل أمة على الإسلام، فلقيت رجلاً من رجال الله - رولا أركي على الله أسفاً - وكان من أعص أودائي، فسألني ما تقول في هذا الجيش هل ينتص له وينصر في هذه السنة أم لا؟ قلت له: ما عتق في ذلك؟ فقال: إن الله قد ذكر، ووعده نبي - ﷺ - بهذا الفتن في هذه السنة ويشير فيه - ﷺ - بذلك في كتابه الذي أنزل عليه، وهو قوله تعالى: ﴿يُحْيِي الْمَوْتَى﴾ (٣)، فوضع البشرى: «لنعمنا ميتاً من غير تكرار الألف لأنها لإطلاق الفرق في تمام الآية، فانظر أبعادها بحسب الجمل. فتقررت فوجدت الفتن يكون في سنة إحدى وتسعين وخمسائة. ثم جرت إلى الأندلس إلى أن نصر الله جيش المسلمين، وفتح الله به قلعة رباح والأركو وكركري وما أشبه إلى هذه القلاع من الولايات، هذا ما بينه من الفتن من هذه صفته. فأخذنا للقاء ثمانين، ولقاء أربعين، ولقاء المهمة ثمانية، وللافت واحد، والليم أربعين، ولقاء اثنين، ولقاء عشرة، وللقرون خمسين، والألف قد أخذنا عددها، فكان المجموع إحدى وتسعين وخمسائة، كلها ستون من الهجرة إلى هذه السنة. فهنا من الفتوح الإلهي لهذا الشخص. وكذلك ما ذكرته من فتح البيت المقدس فيما اجتمع بالغرب في ﴿قَدْ كُنِيَ كَرُونَ﴾ (٤) مع البعث من السنين المذكورة فيه بالحصان الجمل الصغير والكبير، فظهر من ذلك فتح البيت المقدس، وقد ذكرناه فيما تقدم من هذا الكتاب في باب الحروف منه. وهو أن البعث جعلناه ثمانية لكون فتح مكة =

عبدى، هذا باب يلق وصفه، ويُمنع كشفه. الأعداد حُجب على عينك أيها الإنسان، وإنما هي أسطار نور خضر خلف حجاب الرحمان، تلوح لمن سبقت له المشيئة بوقوفه عليها، حتى تودعه ما لديها. فاستعمل المجاهدة، وتحل بالموافقة والمساعدة، عساك تلتذ بهذه المشاهدة.

عبدى، جعلت ما بعد هذه الحروف في موضع التفسير، ومحلًا للتعبير، ومبحثًا للناقد البصير، صاحب السر والإكسر، ومن لا يقنع من الوجود بالنظر اليسير. وجعلناها على ضربين، للذي عتين: ضرب لا ينقسم، وضرب آخر ينقسم:

عجبا للظاهر ينقسم	ولباطنه لا ينقسم
فالظاهر شمس في حَمَل	والباطن في أسد جَلَم ⁽¹⁾
حقَّق وانظر معنى سُورَت	من تحت كشافها الظَلَم
إن كان خفي هو ذاك بدا	عجبا والله هما القَلَم

كان سنة ثمان، ثم أخذنا بالجمال الصغير «الم» ثمانية، فأسقطنا الواحد لكون الأُس يطلب طرحه لصحة العدد في أصل الضرب في الحساب الرومي، والفتح إنما كان في الروم الذين كانوا بالبيت المقدس، فأضفنا ثمانية البضع إلى ما اجتمع من حروف «الم» بعد طرح الواحد للأُس، فكان خمسة عشر. ثم رجعنا إلى الجمال الكبير فضربنا واحدا وسبعين في ثمانية، والكل سنون، لأنه قال «في يَضَع يَبيِّن»، فكان المجموع ثمانية وستين وخمسمائة، فجمعناها إلى الخمسة عشر التي في الجمال الصغير، فكان المجموع ثلاثا وثمانين وخمسمائة، وفيها كان فتح البيت المقدس. وهذا العلم من هذه الحضرة. لكن عيد السلام أبو الحكم بن برجان ما أخذه من هذا، فوقع له غلط وما شعر به الناس، وقد بيَّناه لبعض أصحابنا حين جاءنا بكتابه، فتبين أنه غلط في ذلك، ولكن قارب الأمر، وسبب ذلك أنه أدخل عليه علما آخر فأفسده. وهذا كله من صورة الفتح لا من معناه ولا من وسطه انتهى. وكمثال آخر في هذا السياق، قال الشيخ في الباب 367 خلال حوار مع إدريس - عَلَيْهِ السَّلَام - في السماء الرابعة: فقلت له: فما بقي لظهور الساعة؟ فقال: ﴿تَقَرَّبَ إِلَٰهِيْنَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مِّنْهُنَّ سُورَةٌ ۝﴾ [الأنبياء: 1]، فكانه أعطاه الجواب في نفس هذه الآية الأولى من سورة الأنبياء التي لها في الفترحات الباب 363، ففي آخره عندما بدا في ذكر علوم بعض آياتها قال مشيرا إلى آيتها الأولى: «وفي هذا المنزل من العلوم علم ما بقي من الزمان لقيام الساعة».

(1) برج الحمل هو برج الشمس في شرفها، والجلَم هو القمر، ويعني بالأسد برج الأسد.

فانزع للشمس ودع قمرا في السوتريلوح وينعند
وامحط نسلني قسنتني كونني يلمي شمع، تكن الخليل

لكن انقسامه على ثلاث، وهي حقائق المواد الثلاث⁽¹⁾، لأننا الضرب الذي لا ينقسم بالبرهان لسورة آل عمران⁽²⁾. والضرب الذي ينقسم الموصول، ما عدلها من الحروف. والثلاث الذي ينقسم إليها متعاطب ومتعاطب فيه ومتعاطب به، فاستيفت أيها الزائد من سنة الغفل وتنبه.

ثم تنزع على اثني عشرة عينا، هو كمال العالم الروحاني والجسماني، لكل عالم إلهي. والثالث عشر: الضرب الذي لا ينقسم، وفيه حُلِيت الأسماء وجوامع الكلم.

فمنها ما هو لرفع الشك والريب، فيما ظهر من الغيب، وهي: البقرة وألم السجدة.

ومنها لرفع الحرج، متى يأتي ودرج، وهي الأحرف، وطه والشعراء.

ومنها للتعريف بالعمارة أولاً، أولياء وأنبياء ورسل، وهي: يونس ومريم - عليهما السلام -.

ومنها للمفترق والمجتمع، والتعبر الذي لا يتصدع، وهي: هود وفصلت والشورى والذخول والمؤمن.

ومنها لتأكيد التبيين في المعطولات، والإخبار بالمفترقات، وهي: يوسف والفرع

والقصص والروم.

ومنها لاختيار التركيب، لأهل النظر والتهليل، وهي: قاف والجمالية.

ومنها لتحقق الهداية، في النبوة والولاية، وهي: إبراهيم والنمل والقمان.

ومنها لتحقق النزول في الإيمان، بالتمسك القاطب عن العيان، وهي: الزعد.

ومنها لتأكيد التوجيه، والعصمة بالقسم في محل التنزيه، وهي: يس وثون وصاد.

(1) سبق الكلام عن المواد الثلاث في حطرة الكرسي.

(2) سبق قول الشيخ أن خطب دائرة هذه الحروف القواطع هي ثلثة آل عمران: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾، والقطب واحد لا ينقسم.

ومنها لطلب الدليل، في مقابلة خصم المقيّل، وهي: الأحقاف.

ومنها لتأكيد تبين التهديد بالوعيد، وهي: الحجر والمنكوبات.

فَسَلِّمُ الْأَلْفَ مِنْ هَذِهِ الْحُرُوفِ لِلذَّاتِ، وَعُدْ مَا بَقِيَ لَكَ مِنْهَا مِنَ الصِّفَاتِ: ﴿أَتَمَنَ هُوَ

قَائِدٌ عَنْ كُلِّ نَفْسٍ يَمَّا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: 33].

مناجاة جوامع الكلم

مناجاة المصمّمة:

عبدى، سَتَتْ بِكَ رِسْمِيَّةٌ سُمُوْ أَسْمَاءِ أَسْبَابِ سَمَاءِ السَّمَاتِ، عَلَى لُطْفٍ لَطَافَةٍ
ذَاتِهَا الْمَسْخُورَةُ ذَاتِ أَفْلَاكِ الدُّوَاتِ. فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ هَذِهِ النِّسْبَةِ؟ لَقَدْ جَادَتْ بِأَسْنَى طَالِعِ
هَذِهِ النَّصْبَةِ.

«الشعيرة» في الطريق: هو كل ما يعطيك الشعور بأنّ ثَمَّ أمراً ما، كحس تسمعه
داخل بيت مغلق، فيؤدّبك ذلك الشعور إلى البحث عمّا في البيت. و«السمة»: عبارة
عمّا خفي ودق عن العلوم الجليّة من المعارف الخفيّة الإلهية التي لا تدرك بالنظر
الفكري، ولا هي نصوص في التعريف الإلهي. فقوله «سَمَتْ بِكَ»: أي ارتفعت بك.
وقوله «سمو أسباب سماء السّمات»: أي المعنى الذي لأجله قَبِلَ الحق هذه الأسماء، هو
معنى واحد، وهو المعرّف عنه بالسمة. فلا يعلمه إلا الله - عَزَّجَلْ -. واختلف أصحابنا
هل في الإمكان التعريف الإلهي به؟ أو خلّق العلم في نفس الإنسان؟ فمنهم من أجاز،
ومنهم من منع، والمنع أوّلَى، على أنّ الله على كل شيء قدير. وقوله «سَمَتْ بِكَ»: أي
كان عندك بطريق الجملة ما علمت به أنّ ثَمَّ شيئاً يتميّز به الحق. فأنت وإن كنت محلاً
لذلك، فلا يلزم أنك تعلم ذلك ما هو.

وقوله «على لطف لطافة ذاتها المسخرة ذات أفلاك الدُّوَاتِ»: تشير إلى الصفة
الثبوتية التي انفرد بها الحق - عَزَّجَلْ -، ولا تُعلم إلا بطريق السلوب والسلب، لا تفيد
العلم للسالب. فاعلم ذلك، وتحقّق بعجزك، ولذلك قال: «فأين أنت من هذه النسبة؟».
وقوله «لقد جادت بأسنى طالع هذه النصبة»: أي لكونها أعطتك أنها عزّت عن أن يعلمها
غير الله تعالى المتصف بها.

على أنها قد غُفيت على الأوهام، وغاية أن يعبر عن جلي ظاهر أمرها صاحب وحي
أو إلهام. فلواء التألهون مداد الكلمات في مفاز المجرى والحرير، وقطع المعارفون بحار
الهمم على شُكْن، في ظاهر فملك يقفون، وما يصدر عنك لفظ يعرفون.

قوله: «وغاية أن يعبر عن جلي ظاهر أمرها، الفصّل إلى آخره»: أي أنّ غاية ما
يعبر عن ظاهر فعل العبد وفيما يصدر عنه، ولا يعرفوا حقيقة الطبيعة الإنسانية، فأحرى
مُوجدها وما انتص به من وصفه العزيز الذي لا يشهد سواه. وأنت أيتها أيتها العبد ما
عرفت بين وصفك الثبوتي المعبر عنه بالسمة أيتها، إنما عرفت الظنّارك، وهو نسبة
من النسب.

يشيعة جَعَلَتْ⁽¹⁾ وجالت جولان الحائِم، فَكَلَّتْ وقالت مقالة في الفُرقة الهائم:
نبت شوقاً لا اشباعاً، وقطعت مفاز غفّات الغيوب حثيثاً وإعناقاً، ولم أبلغ مِنْ يَنْدُ
شعبة مفناك فمن لي بوترية معاك؟

قوله: «سمة جلت وجالت جولان الحائم»: أي تصرّفت تصرّف الحائم الذي
يروم تحصيل الأشياء. أراد بهذه السمة الثانية الطبيعة الإنسانية، فهي تحوم على معرفة
جانب الحق تعالى، أو معرفة ذاتها إذ جُمِعت دليلاً على المعرفة الربانية. وقوله «فغيت
شوقاً»: أي أنا موصوفة بالشوق. والتشوّق لا يكون إلا مع غيبة المحبوب، فأنت أنت،
وأنا أنا. والاشتياق ليس كذلك، فإنه قد يكون مع الاتصال بالمحبيب، ولهذا قالوا في
الشوق أنه يسكن باللقاء، والاشتياق بهيج باللقاء. وقوله «قطعت مفاز غفّات الغيوب
حثيثاً وإعناقاً»: أي حزين من السير سريعاً، وأقلّ منه الحثيث للرياسة، والتمتّق الذي هو

(1) يقول الشيخ في الباب 73 خلال ترجمته لمصطلحات التصوف: «لأن قلت وما الفُرقة الهائم؟ قلت:
المطل الأول صاحب علم السمة. فإن قلت وما السمة؟ قلت معرفة دقيقة في غلبة الخفاء،
تدق في العبارة ولا تتوكّد بالإشارة مع كونها نكرة شجرة. فإن قلت وما هذه الشجرة؟ قلت:
الإنسان الكامل. فالشيخ يقول هنا أنّ من أعمّ ما يتميّز به المطل الأول علم السمة فهي هي
نكرة الإنسان الكامل. والنكرة هي أعمّ ما في الشجرة. وفي هذا إشارة إلى من أعمّ ما يتميّز به
الإنسان صموماً والإنسان الكامل بالأخص هو القوة المتغيّكة وأرضها أرض الحقيقة فهي خصص
الشيخ لمعرفتها في باب الثامن من الفتوحات. بل إنّ في الباب 360 المتعلق بسورة النور طابق
الشيخ بين الإنسان الكامل والخيال بمعناه الحقيقي الأوسع، لينظر التفصيل في ذلك الباب.

دونه للمجاهدة البدنية. وقوله «ولم أبلغ من بعد شفعية معنك»: أي ما وقفت على حقيقة الشفعية، فكيف لي أن أقف على حقيقة الوترية؟

سَمِئَةُ تَلَقَّتْ فَكَشَفَتْ، وَرَاحَتْ فَلَاحَتْ، وَأَوْمَضَتْ فَغَمَضَتْ، وَهَفَّتْ فَثَفَّتْ، وَسَكَنْتْ فَتَمَكَّنَتْ، وَطَالَتْ فَصَالَتْ. فَلَمَّا قِيلَ لَهَا: «أَتَى لَكَ هَذَا؟»، قَالَتْ: «إِنِّهَا تَخَلَّقَتْ بِهَيْمَةٍ صَدَرَتْ مِنْ أَثَرِ فِعْلِ اسْمِ صِفَةِ خَاتَمِكَ. فَزَعَتْ إِلَى مَا شَاهَدَ السَّائِلُ مِنْ أَثَرِهَا مِنْ وَجُودِ صِفَاتِكَ، فَغَابَتْ عَنْ الْأَيْنِ وَالْكَيفِ، وَمَطَالَعَةِ الْعَدْلِ وَالْحَيْفِ.

قوله: «سَمِئَةُ تَلَقَّتْ فَكَشَفَتْ»: أي صارت في حال الفناء عن نفسها، فحيث حصل لها العلم عند فقدتها لِرُؤْيَا وجودها. وقوله «وراحت فلاحت»: أي رجعت إلى ذاتها، لأنّ الرواح: الرجوع، يقرب من الغيبة، لأنّ الرواح هو الرجوع بالعشي. وقوله «وأومضت»: أي لمع نورها. وقوله «فغمضت»: أي لعلّ يذهب سنا نورها بصرها إذ لاح لها ما يُغشّيها. وقوله «وهفت فثفت»: أي تحرّكت نحو محبوبها، فثفت عنها بعض ما تجده من ألم المحبة. وقوله «وسكنت فتمكنت»: معناه ثبتت، ومن ثبت فقد تمكّن، أي ثبت في عبوديتها وحالها. وقوله «وطالت فصالت»: أي شهدت الطول، وهو ما لا يتناهى من علم الباري، فلذلك صالت أي افتخرت على من ليس له هذا المقام.

فَأَيْنَ، وَلَا أَيْنَ فِي عِلْمِهِ وَكَيْفَ، وَلَا كَيْفَ فِي حُكْمِهِ
سَمِئَةُ رَبَّةٌ أَمْثَالُهَا جَلَّتْ فَمَا تَدْرِكُهَا سَمِئَةُ
لَمَّا رَأَتْ سَرَّكَ يَسْرِي لَنَا قَالَتْ لَهُ: يَا سَيِّدِي، يَسْمُ سَمِئَةُ
فَحَادِثُ الْعَيْنِ إِلَى دُرَّةٍ تَقُولُ إِعْجَابًا إِلَى الشَّمْسِ: مَنَ

قوله: «سَمِئَةُ رَبَّةٌ أَمْثَالُهَا»: أي أنها عرفت من وجودها ومن وجود الحق ما لم يعرفه غيرها من لطائف الخلق، فكانت سيّدة أَمْثَالِهَا مَنَ لم تعرف كما عرفت. وقوله «جَلَّتْ فَمَا تَدْرِكُهَا سَمِئَةُ»: أي عظمت في الخفاء، قال تعالى: ﴿يَبْهُوتُكَ فَمَا تَقْوِيهَا﴾ [البقرة: 26]، أي في الصغر. وقوله في البيت الثاني «لَمَّا رَأَتْ سَرَّكَ يَسْرِي لَنَا»: أي إلينا، «قَالَتْ: يَا سَيِّدِي يَسْمُ سَمِئَةُ»: أي عَلِمَ علامة حتى تُعَرَفَ حدود أهل المسابقة. وقوله «فَحَادِثُ الْعَيْنِ إِلَى دُرَّةٍ»: يريد مقام العقل الأول. وقوله: «تَقُولُ إِعْجَابًا إِلَى الشَّمْسِ: مَنَ»: أي نوري أعظم من نورك.

مناجاة الدرة البيضاء

عبدی، ذرۃ علوہ، فحۃ یشام، ابرزتہا من قمر بحر نانی، ما عرفت قط صفا من صفاتی، ثم عجبنا فی سواد العین، وما عرفت الوصل ولا الین، خیرۃ من اذن مثال او استمر، او تعرف کشف او مغمی.

واعلم أن الفيض عن العقل الأول إنما كان ذاتياً، لكون العقل مشغول بجانب الوجه الخاص بالكلية، فلا توجه له إلى الأسباب، بخلاف النفس التي لها وجهان: وجه إلى السبب فمنه يفيض الفيض الإرادي، ووجه إلى الحق فمنه يكون فيفيضها الذاتي.

وقوله: «غيرة مني أن تنال أو تسمى»: أي أن تدرك، لأنها السبب الأقرب، فلو أدركت تطرق الإدراك إلي، وتطرق الإدراك إليه محال. فكونها تُنال محال. وقوله «أو تُعرَف كشفاً أو مُعَمًى»: أراد بالمعنى اللغز؛ واللغز لا يكون إلا بعد الكشف، فقال إنها لا تُعرف لكي تُلغز.

فلما جذبتك إلي عناية القدم السابقة، ورقيت بك إلى جوامع الكلم الصادقة، وحططت «كن» من قواك، وأدخلتك محلي وجب عليّ إِيَّاكَ: تعبر عنك شواهد التحقيق بلسان حالها وأنت ساكت، وتنفعل عنك المكونات وأنت مائت.

قوله: «حططت عنك: كن»: أي بأخذني لك عن عالم الكون الذي يقع فيه التكليف، فيكون عقلك عندي في المرتبة التي فيها العقل الأول. فقله «حططت»: أي حططت عنك التكليف⁽¹⁾. وقوله «حتى تعبر عنك شواهد التحقيق وأنت ساكت»: أي تفيض الفيض الذاتي كما هو فيض العقل، كما قيل: مَنْ أولياء الله؟ قال: الذين إذا رُؤوا ذُكر الله. وقوله «وتنفعل عنك المكونات وأنت مائت»: أي كالطبيعة الذي تظهر عنها الآثار الكونية وهي ميتة، أي غير مريدة ولا حية، وهي تحت النفس وفوق الهيولى. واختلف الحكماء في الطبيعة، فاختلّفوا فيها ستة أوجه. وعندنا أن أصلها الماء، ويتنصّر ذلك قوله تعالى: ﴿وَسَلَّاتٍ مِّنَ الْمَاءِ كُلِّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾⁽²⁾.

(1) أي أصبحت قائما بما أنا به مكلف بلا تكلف، تنصّر من ذاتك تلقائياً، عابداً لله تعالى به وبترقيقه عَنِّيَّ، كما ورد في الدعاء النبوي: «ولا تكلفني إلى نفسي طرفة عين».

(2) مسألة: ما هو العنصر الأول الذي تفرعت منه بقية العناصر؟ يجيب الشيخ عن هذا السؤال فيقول في الباب 295 - وهو الباب المخصوص بمنزل سورة «الفجر» - «والماء كان أول العناصر، فما كُفّ من كان أرضاً، وما سَخف من كان هواءً، ثم ما سَخف من كان ناراً وهو كرة الأثير. فأصل العناصر عندنا الماء... والحكماء في هذه المسألة على ستة مذاهب، خمسة منها خطأ والواحد من صواب، وهو الذي وافق الكشف والتعريف الإلهي لأهل خطابه من ملك ونبي وولي. وكان وجود هذه العناصر بريح السرطان انتهى. والسرطان هو البرج الذي بيد ملكه مفتاح خلق الدنيا وهو مائي».

ونذكرُ هذه الرتبة العلوية الفردية، بالتمثال المعية الأربعة بالحياة الأبدية، مع وجود الحشول، في قيد اليوم والأصلي.

لكن هل كلام الشيخ هنا متطابق لقوله في الباب 361: «واللهوادم يتم جميع المعنويات فهو حياة العالم... هو الأسطس الأعظم أصل الأسطسات كلها والهاء أقرب أسطس إليه» انتهى. وهل كلامه هنا متطابق لقوله في الباب 11: «الأركان من عالم الطبيعة أربعة... واعتقدوا في ذلك على سنة مله... وقالت طائفة الأصل أمر غامس ليس واحداً من هذه الأربعة... وهذا الملعب بالأصل الخامس هو الصحيح عتقاً؟»

الجواب: يمكن التوفيق بين هذه الأقوال الثلاثة للشيخ التي تبدو في الظاهر كأنها متناقضة بقول إن الأصل الخامس الذي هو الطبيعة الكلية هو أصل جميع الأركان، والنسبة للعالم الأعلى الروحاني الملكوني للهواء هو الأصل الأول فهو الأنسب لنفس سبط الفداء الرحمن الذي ظهرت به وفيه مراتب الوجود. أمّا بالنسبة للعالم الطبيعي فالهاء هو الأصل. وقد ذكر الشيخ في الباب 198 أنه المستوحى على إيجاد الهواء هو اسمه تعالى «الحي»، والمستوحى على إيجاد الماء هو «المحي»، فالعلاقة بين الهواء والماء وأرلتهما هي نفس العلاقة بين «الحي» و«المحي»: فالحي اسم ذاتي لله توجه للعالم الأرواح، والنسبة للملكوت: الأرواح هي الأصل ولها البدء وأرلاها لما وجدت الأجساد للهواء هو الأصل. أمّا «المحي» فهو اسم فعل لله توجه لمحطرة الأنصال ولعالم الأجساد، والنسبة للعالم الأجساد الجسم هو الأصل ولولا، لما كان الروح ظهور، أي أن الماء هو الأصل.

لكن حاصل الأقوال هو أن الركن الخامس هو الأصل المبني الأول الذي منه ظهرت بقية الأركان، فهو عين المسمى بالطبيعة في اعتدالها الأصلي المبني، وصرح الشيخ بهذا في الباب الثاني من الفتوحات حيث يقول: «أمة موجود غامس هو أصل لهذه الأركان، وفي هذا خلاف بين أصحاب علم الطابع عن النظر، ذكره الحكم في الأسطسات، ولم يأت في شيء. يلف الناظر عنه. ولم أعرف هذا من حيث قرأته علم الطابع على أمته، ولما دخل به علي صاحب لي وهو في يده، وكان يستغل بتحصيل علم الطب. فسألني أن أمشي له من جهة علمنا بهذه الأشياء من جهة الكشف لا من جهة القراءة والنظر. فقرأ علينا فرقته من علي هذا الخلاف الذي أشرت إليه، لمن هناك علمته، ولولا ذلك ما عرفت هل عاقل في أحد أو لا، فإنه ما عتقنا فيه إلا الشيء الحق الذي هو عليه، وما عتقنا خلافه. فإن الحق تعالى الذي نأخذ العلوم عنه بخلاف القلب من عن فكر، والاستعداد للبول والوردة، هو الذي يعطينا الأمر على أصله من غير إجمال ولا حيرة فتعرف الحقائق على ما هي عليه انتهى. وقد توسعت في تفاصيل الأركان الأربعة وأصلها الخامس في كتاب «الحقائق الموجودة الكبرى في روية ابن العربي».

قوله: «ومدرك هذه الرتبة باتصال الحياة الأزلية بالأبدية»: أراد زوال الواسطة من الطريق، والواسطة عبارة عن كل ما سوى الله تعالى، لأن الموجود الكوني ما دام مشهودا في الوسط قيل بالنظر إليه: هذا أزلي وآخر، وأزل وأبد. وقوله «مع وجود الحس في قيد اليوم والأسر»: أي مع كونه في جسده وعالم التقيد يصدر عنه ما صدر عن العقل الأول من الأحكام.

وهذه بين يديك موائد الأقصى، عليها صحن الأمد الأقصى، فتناول منها إحصاء ما لا يحصى.

قوله: «وهذه موائد الأقصى»: أي المحدود التي بها تتميز الأشياء، فيثبت بعضها بملك عن صاحبه مبدأ ذاتي وإن تشابهها في الصورة. وقوله «عليها صحن الأمد الأقصى»: أي زمان الحال الذي لا يتصف بالعدم دائما. فالحال هو الحقيقة المتصفة بالعدم، والمتميز هو الحال في الحال الذي هو الآن. فالآن والحال -أيهما شئت- هو عبارة عن أمر واحد، وأنت المسافر في ذلك المتحرك والحال مقيم، وأنت لا تفقد الحال أبدا، فهو حقيقة واحدة لا تتبدل ولا تفقد، وأنت متقل فيها، فهو بالنظر إلى الزمان آن، والآن حذو الزمانين، ولا يغلو أبدا أن يكون الآن موجودا دائما، وبه يتميز الماضي من المستقبل، والماضي والمستقبل لا يزالان أبدا من حقيقتهما معلومين متميزين. فالآن أبدا لا يبدؤ أن يكون موجودا مميّزا. وإذا كنت غير موجود فعالمك العدم، فالحال مستصحب لك وجودا وعدما. فاعلم ذلك.

وقوله «فتتناول منها إحصاء ما لا يحصى»: أي تناهي ما لا يتناهى كما تقول: (لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك). فهنا إحصاء ما لا يحصى، لأنك إذا عرفت حقيقة ما لا يحصى فقد أحطت بما لا يحصى أنه لا يحصى.

تكلل من طعام اللات باللات. فكثير من الطالبين أرادوا بقاء الترسوم لوجود اللات.

فاسبح وحملك في نهرك، وأترا ما سطرته في نهرك.

قوله: «تكلل من طعام اللات باللات»: أي كن غير مقيد بصفة، كما قال أبو يزيد -رحمته الله-: «أسميت لا صفة لي». وقوله «فكثير من الطالبين أرادوا بقاء الترسوم لوجود اللات»: أي لفئة شهود المشهود. وهاتان كان أبو ملين -رحمته الله- يقول بقاء الترسوم لوجود اللات، وخالفه السكاري -رحمته الله- حيث يقول: (ما التذ عاقل بشاهدة

قط). والسياري صاحب التحقيق فيما ذهب إليه في هذه المسألة. وسبب الخلاف أن بعضهم يلتذ بالشاهد، ويتخيل أنه يلتذ بالمشهود، وليس كذلك. وقوله «فكل من طعم الذات بالذات»: أي قابلها بالذات، فما تُعرَف الذات إلا من الذات، ولا الصفة إلا من الصفة، ولا النسبة إلا من النسبة، فلا يُعرف الشيء إلا من نفسه، حتى لو عُرفت الصفة لما عُرفت إلا من كون ذاتها.

وقوله «فاسبح وحدك في نهرك»: أي ما لك في هذا العلم مشارك. وقوله «وأقرأ ما سطرته في مهرك»: أي في هذه المرتبة المخصوصة التي ابتليت بها في جلوتك وسرك. وأراد بالمهر ما يأتي ذكره من قوله:

«انكحتك درة بيضاء، فردانية علواء، لم يطعمها إنس ولا جان، ولا أذهان ولا أفيان، ولا شاهدها علم ولا حيان، ولا انتقلت قط من سر الإحسان. لا كيف ولا أين، ولا رسم ولا عين. اسمها في غيب الأحاد: (نُغَمَّى المُلُود، وَوُخِى الأَبَد). فادخل بخير عروس قبة التدريس. فهذه البكر الصهباء، واللجة العمياء، خلعا من غير مهر عملي، ولا أجر نبوي.

قوله: «البكر الصهباء»: أي التي لا تحيض، أي ما يتغير عليها حال. وقوله «اللجة العمياء»: أي التي لا تدرك، فمن دخل فيها غرق ولا يهتدي فيها. وقوله «خلعا من غير مهر عملي، ولا أجر نبوي»: أراد قضية موسى مع شعيب -عليهما الصلاة والسلام-؛ أي هذا ليس كذلك، فإنه لا يُنال إلا بالسعایات ولا بالهمم.

قال السالك:

فاقتضضتها في سر غيب ذاته، بسر الوهم اليشيري، فإذا بها مُهَرَّة النبي.

قوله: «فاقتضضتها في مجلس سر غيب ذاته»: أي حصل بها لذة في نفسي. وقوله «بسر الوهم اليشيري»: أي المقام المحمدي. وقوله «الوهم»: أي يقوله «لا مقام لكم». وقوله «فإذا بها مهرة النبي»: أي مركب النبي، وهو حقيقة الوراثة التي ورثناها عنه -ﷺ- وهي قوله: «لَا مَقَامَ لَكُمْ» [الأحزاب: 13].

فتبته فرحاً، وصحبتني فلي مرّحاً، وقلت: ⁽¹⁾ ﴿إِنِّي لَأَلَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾

[طه: 14].

قوله: «فتبته فرحاً، وقلت لا إله إلا أنا، فاعبدي»: أي لما كان «المقام» تنزيه، والحق سبحانه لا يُدرك إلا في أوصاف التنزيه، فلهاذا تلى: ﴿إِنِّي لَأَلَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: 14]، أي كما هو سبحانه مرّحاً في ربييته، أنا مرّحاً في عبوديتي. فانا العبد المحض، وهو الرب. فكما أنه في مقام الرعيته لا يدركه أحد ولا يُعَيَّن، فكذلك أنا في مقام عبوديتي لا وصف لي، ولا يدركني فيها شيء. فتحقق ذلك.

فغزرت خواص الأسرار ساجدات، وقامت صفات الصمدية متعجفات، وصح لي

في ذلك الإفلاس، المقام الذي نه عليه بعد قوله - عَزَّوَجَلَّ -: ﴿مَوْلَى الْكَافِرِينَ﴾ ⁽²⁾

[الناس: 12].

قوله: «فغزرت خواص الأسرار ساجدات»: أي أنّ كل سَرْمَقِدٍ إلا مثل هذه المسألة فإنها مطلقة، فلها سجدت الأسرار لها. وقوله «وقامت صفات الصمدية متعجفات»: أراد بصفات الصمدية التعجفات العالم الذي يلجأ إليها. وإنما كثّرهما لاختلاف أغراض القاصدين. وصفات الصمدية هي كما لو جامك ملك بترّك بك فإنما جاء إليك لما تخيل فيك من التقرب بدعائك إلى الله تعالى، فقد نزل عن ربيوته، والوصف الذي قصده ليس فيك، إنما هو من حيث طلبه أنشأ لك وصف الصمود وأنت من حيث عبوديتك لا صمدية لك. وكذلك أوصاف الحق، إنما قامت بالتعجاف إليك، فيك ظهرت أحكامها، وهو صمد لذاته لا لصفة زائدة. والفرق بيننا وبينهم أنهم أُنشِئوا صفة زائدة، ونحن أُنشِئنا ذلك للذات، ولقنا بنا ظهر ذلك المُكْمِب، وهو سبحانه لم يزل كاملاً للذات، والسلام.

قوله: «وصح لي في ذلك الإفلاس، المقام الذي نه عليه بعد قوله ملك الناس»: أي مرتبة الملك، وذلك الإفلاس هو الذي جعل لي المنزلة عند الحق. ومنزلاتي عند الحق هي التي اقتضت أن صرّت لي كما عند من قصصني وصمد لي.

(1) أي تلوّث قول الله تعالى من نفسه عَزَّوَجَلَّ بكلام الحق تعالى لما جاز على لسان المالك كقول المحلي: «سمع الله لمن حمده».

(2) أي سيد الناس، والسيدة الأصلية الكلية هي للمبد الكامل سيدنا محمد - ﷺ - وللورثة المصطفين ليس منها بمقدار تطهروهم بخالص العبودية.

مناجاة إشارات أنفاس النور

وهي تمحيص متفرقات الأسرار

بسم الله الرحمن الرحيم

قال السالك:

ثم قال لي: ما يقول من هو أنا في أنا؟ قلت: وجود البنية والشئ، والنية والعماء⁽¹⁾.

قوله: «ما يقول من هو أنا في أنا»: يقول الحق تشريفا لعبده: «ما أنا»، كما يقول ليس المجنون «أنا ليلي»، يشير إلى غاية القرب والاتصال. فقال: ما تقول في أنا؟ أي إذا سمعني أقول «أنا» فقال العبد: ذلك غاية البنية والشئ، أي هو الذي كنت أتمناه أي يعطيني إياه. فيقول الحق: ما تمنى بالبنية في هذه القضية؟ هو أن جعلتك مثلي في قولِي «ما أنا»، أو كوني قلت لك «أنا»؟ فقال: كونك قلت «أنا». قال وما فيه من البنية؟ قال العبد: إذا قلت «أنا» لتسمني فقد عرفت أنك أنت، وأنا أنا، فتميز العبد من الرب، وفي ذلك شرفي وهو بعيني، وهو كونك مخاطب لي، وأنا مخاطب، فحصل في هذا المقام العلم بعبوديتي، وانفردت أنت بربوبيتك، وفي قولك «ما أنا» أضعتني إلى ذاتك، وحجبتني عن عبوديتي، فخاطبك لي هو بعيني لأتميز عنك. ثم قال بعد ذلك «والنية والعماء» أي في حق من كان يطلب أن يكون أنت. فلما قلت «أنا» وميزته خاب مقصده، فلذلك كان في حقه غيبة إذ كان مقصده الاتحاد، فخاب منه.

قال: ما تقول في «هو» و«ذلك»؟ قلت: هما صفتا السالك.

يريد أنه لما كان «هو» للنية، وما هو في الغيب فلا يزال مطلوباً، وليس الطلب شيء زائد على السلوك، فلما ظفر بذلك الغائب صار له ذلك، فتميزت فيه الإشارة، ولا ح له من كونه مشار إليه أن ثم هو آخر لم يصل إليه، فلا يزال يسلك ويبدو، فيعطيه ما يبدو

(1) أي أن من شهد إتيان المستوفات لا وجود لها ولا قيام لها إلا بالوجود الحق، فهو على حق، أنا من توهم إمكانية الاتحاد إتيان المستوفات الحادث إتيان الحق الذي ليس كمثل شيء، فهو توهم باطل.

له سلوكا آخر، هكذا أبد الأبدن.

هبة وحضور، وظلام ونور، ومخفوات ومخجور.

قوله: «هبة وحضور، وظلام ونور، ومخفوات ومخجور»: يشير إلى أنّ المشهود من كل شقين هو المعبر عنه بـ«هبة»، والآخر الذي هو غير مشهود المعبر عنه بـ«مخجور». فإذا كان حاضرا لم يكن غائبا من حيث ما هو حاضرا، وكذلك في الطرف الآخر.

قال: فما تقول في اتحام الجسمانية؟ قلت: نتيجة اتحام الروحانية.

أي لما كانت الروحانية مرتبطة بعالم الطبيعة، يريد الجسم الطبيعي، أعطت للطابع أن يتحم بعضها ببعض، فذلك قال «اتحام الروحانية». وقوله «اتحام الجسمانية» هو كل معنى لا يظهر إلا في الجسم، فهو المعبر عنه بالجسمانية، فليس له ظهور في عينه إلا في الجسم، كالأركان والحركات، والمقادير والجسم المؤلف.

قال: فما تقول في التوالد والتناسل؟ قلت: أدلة التواصل والتفاضل.

قوله: «أدلة التواصل والتفاضل»: أي يدلّ على أنّ بين العالم الروحاني والجسمي اتصال واتصال، يظهر عنه هنا هذا التناسل، لأنه لو لم يكن في هذا المتفصل اتصالات لم يجد الانفصال على ما يريد، وهذا هو دليلنا على إثبات الجوهر الفرد. وهذا يتنا وبين الفلاسفة، فإنهم يقولون إنّ الجسم ما فيه اتصالات إنما هو ذو كنية، ثم كلما قسمته حدثت له الكينيات والمقدار إلى ما لا يتناهي، وهذا لا يقول به المحققون.

قال: فما تقول في النشأة البرزخية؟ قلت: تلك الإلهية.

أي فيها تظهر المظاهر الإلهية. والخيال هو برزخ يظهر من تركيب مخصوص، وهو تركيب الأرواح والمعاني في عالم الحس، فيحدث الخيال. وهو حضرتان: منها حضرة مطلقة وهو حقيقة الخيال، فما رأته متجسدا ظاهرا كتجسد جبريل - عليه السلام - في صورة دحية، فهو الخيال الصحيح. وإذ رأته في خيالك أنت الذي هو نسخة من الحقيقة الخيالية، كان إدراكك لذلك قوة في الدماغ. وقوله «تلك الإلهية»: أي لما كان للحق في عالم النور، والقوة المتشكلة للخواص، لا يحجبها الحس عن النظر في الخيال، هذا خصوص لهم. فاعلم ما أشرت إليه⁽¹⁾.

(1) لمعرفة بناء النفس في البرزخ ينظر في الفتحاح الباب ثلث. ولمعرفة الفرق بين الخيال المتصل -

قال: فهل الإعادة أشرف منها؟ قلت: لا تصح الإعادة فيها، فلا يُتحدث بذلك عنها. إنما ذلك في بروز الحافرة المنصوب بين الدنيا والآخرة.

قوله: «لا تصح الإعادة فيها»: أي لأنه لا ثبات لها، والإعادة عالم الثبات. وقوله «إنما ذلك في بروز الحافرة»: أراد بالحافرة الخفلة الأولى. وقوله «بين الدنيا والآخرة»: أي ذلك حكم البرزخ، فيه تكون المظاهر الخيالية خاصة.

قال: فهل تصح التزوية على الجنّة؟ قلت: لا يكون غير ذلك في الحكمة العقلية.

قوله: «لا يكون غير ذلك في الحكمة العقلية»: أي أنّ نشأة الآخرة في عالم حكمها حكم نشأة الدنيا في الأصل. والحقيقة - وإن تباينت الأعراس فيما جاء من صفاء المحل وغيره - فإن الله تعالى يقول: ﴿كَذَٰلِكَ يَمْشِي فِي سَبْعِينَ أَلْفًا أَلْفًا أَلْفًا﴾ [الأنعام: 129]. لما عرف الناس - أو أكثر الناس - هذه النسبة في قوله «كذا»: ما المقصود به؟ فالتناس يحصلونه على الصورة، والشرع يخالف ذلك. ومن الناس من حمله على التوالد كما كان في حق كل شخص، وليس الأمر كذلك. والذي هو الحق ويحول عليه أنه كما بدأنا على غير مثال سبق، كذلك يُنشأنا على نشأة الآخرة على غير مثال سبق، أي ليس بشبه النشأة الآخرة نشأة الدنيا. وهذا ما رأيت عليه مساعدا. وأعني أنّ المزاج الخاص في الدنيا لو عاد في الآخرة لمعادت معه جميعا، كالمشي مثلا مسيرة ميل في بعض نهار. وأنت في الجنة تقطع بغطائك مسيرة أحوام إذا مشيت. فأعطاك تكليف الآخرة، أو التركيب الخاص الذي اكتسبه، نشأة موطنها أمرا آخر اختصت به النشأة الآخرة. فاعلم ذلك⁶⁴.

قال: هل تعقل على أولان إخراج اللز من الظهور؟ قلت له: وكيف لا أعقل وأنا أول الشهود في التّهر.

قوله: «وكيف لا أعقل وأنا أول الشهود»: قال الإمام الراسخ عند شرحه لهذا: هو أمر خاص لنا ولأمثالنا⁶⁵.

64 - والخيال المتضمن ينظر الباب 177 وهو في معرفة مقام المعرفة.

(1) لمعرفة كيفية البحث ينظر في التفريعات الباب 64.

(2) يقول الشيخ في الباب 72 المتعلق بأسرار الحج، خلال كلامه من حج الطول: «لأنّ الإنسان أتيت في حق الربيع، فإنه ولد على فطرة الإيمان وهو إقراره بالربوبية لا تعالى على خلقه حين الأخذ من الظهور الدورية والإنشهاد قال تعالى: ﴿وَلَا تَكْفُرْ بِالَّذِينَ تَبَعُوا مِنْ ظُهُورِهِمْ رَبِّكُمْ فَاسْتَبْشِرُوا﴾»

قال: وهل تعرف قبل ذلك ميثاقا ثاني؟ قلت له: في أوّل وجود التثاني. قال: فأرى ميثاقين، قلت: لا يكون غير هذين.

قوله: في أوّل وجود التثاني: ميثاق الأنياء - عَنكَهِمَا كَأَمْ - في قوله: ﴿وَرَبُّكَ لَمُنْذِرٌ يَوْمَ الْآخِرِينَ يُرْسِلُ فِيهِمُ﴾. وقوله فأرى ميثاقين: قلت: لا يكون غير هذين: يعني حتى يمتاز التابع من المتبوع، والمرسل خلفاء الله في الأرض فلا بد لهم من ميثاق خاص في التبليغ.



- عَنِ الْقُرَيْشِيِّمُ أَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ كَالْوَالِدَيْنِ ﴿١٧٢﴾ [الأعراف: 172]. فلم لم يطلوا ما عوطوا ولا أجبوا. يقول ذو القرن المصري: «كانه الآن في لثني». وما نقل إلينا أنه طرأ أمر أخرج المودة عن هذا الإقرار وصحت. ثم إنه لنا ولد ولد على تلك القطرة الأولى. فهو مؤمن بالأمسالة.

الإشارات الأدمية

قال السالك:

ثم خاطبني بلغة آدم - عَزَّوَجَلَّ -⁽¹⁾ وقال لي: أيها الغلام، من أين تأت الملائكة بالفساد في حال شهودها؟ قلت: من نفس وجودها.

قوله: «الإشارات الأدمية»: أي المنسوبة إلى مقام آدم - عَزَّوَجَلَّ -، وإذا نسب اللغة إلى من ذكره، كانتا من كان، فهو عبارة عن المقام الذي غاطبه منه. وقوله «من أين تأت الملائكة بالفساد في حال شهودها؟ قلت: من نفس وجودها»: يعني أَنَّ ذلك لتزعمهم في الصور، فيظهورهم في صورة فسدت التي كانوا فيها قبل إذ كان الجوهر واحداً⁽²⁾.

قال: فلم تجهلت الأسماء؟ قلت لأنهم ما يروحوا من السماء⁽³⁾.

أي: ما يروحوا من المقام الذي هم عليه، وهو قوله تعالى عنهم: ﴿وَيَاوَدَّ أَنْ لَا تَرَاهُمْ شَرًّا﴾ [الصافات: 164].

قال: فلم وقعوا له ساجدين؟ قلت: لتصحيح مباينة التعيين.

قوله: «لتصحيح مباينة التعيين»: أي السجود نزول عن رفعة. ولما كان آدم متحققا

(1) اللغة هنا عبارة عن التعبير الخاص بمقام النبي المذكور. يقول الشيخ في رسالة الأنوار: «رفاعة كل سالك مناسبة لطريقه الذي عليه سلكه، فمنهم من يتأني بلغة. وكل من نوحى بلغة آلة لغة كانت، فإنه وورث لتي ذلك السالك، وهو الذي نسمعه على السنة لأهل هذه الطريقة أَنَّ ثلاثا موسوي وموسوي وفراهمي وإبراهيمي. ومنهم المتأني بلغتين وثلاثة وأربعة فصاعدا. والكمال من يتأني بجميع اللغات، وهو المحمدي خاصة».

(2) أي أَنَّ نشأة الملائكة هي أيضا تمت حكم الطبيعة مع خلق الروحانية والروحية فيهم، والطبيعة متصلة الأحكام: الحرقة عند البرودة، والبرودة عند الحرارة. قال تعالى: ﴿وَنُفِثَ فِي رِيحٍ﴾ [الفجر: 69].

(3) أي أَنَّ آثار تجليات الأسماء الإلهية في الأرض والتي سكتها - خاصة الإنسان - والعالم السفلي لا علم للملائكة السماوية بها لأن مقاماتهم في السماوات.

في العبودية، لذلك وُصفوا بالنزول إليه من رفعتهم، فكتى عنه بالسجود. وذلك أن المقام الأعلى في حق العبد هو الخفض والذلة والافتقار، إذ هو وقوف عند حقيقة العبودية. ولذلك قيل للملائكة: شرفكم في أن تنزلوا إلى مقامه وتقنطون به.

قال: فَلِمَ أَمَى مَنْ أَمَى واستكبر؟ قلت: لحجابه بالطَّيْنَةِ عن النور الأزهر.

قال: لِمَ لَمْ يَكُن النجم وكان الشجر؟ قلت لوجود الخلاف الذي ظهر.

أي: أن الشجر من التشاجر والخلاف.

قال: أَلَمْ نَشْفِهِمَا مِنْ ماء واحد؟ قلت: بلى ولكن فضل بعضها على بعض في

الشاهد.

أي: ما كُلَّ منهم يظهر على الصورة، لأنَّ للمزاج أثرا، والغذاء واحد وتستمد منه القوى على اختلافها، فيظهر في كل موطن ما تقتضيه حقيقة ذلك الموطن، وكل إناء بالذي فيه ينضح.

قال: فَلِمَ اقْتَحَمَ النَّهْيَ مع المصمة؟ قلت: لظهور هذه الحكمة.

قال إسماعيل -أخذه الله بيده-: سمعت شيخي وإمامي يقول: قال الشيخ أبو مدين -رحمه الله تعالى-: لو علم آدم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- أنه يرجع إلى الجنة بمائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي سوى المؤمنين، وفي الأنبياء مثل محمد -ﷺ- وعليهم أجمعين-، لأكل الشجرة كلها من أولها إلى آخرها. وسمعت شيخي وإمامي أبو العباس العربي -رَحِمَهُ اللهُ-: لَمَّا كَانَ آدم محلا جامعاً للمصاة والطائعين من بنيه، فكانت المخالفة لتحرك الطائفة المخالفة من بنيه، فمن تلك الحقيقة تحرك. ولهذا جاء في الإسراء أن على يسار آدم نسم بنيه الأشقياء، وعلى يمينه نسم بنيه السعداء.

قال: فما سرُّ ظهور سوءاتهما؟ قلت: معانية مَكْمَنَاتِ غَايَاتِهِمَا.

يريد بمعانية مكمَنَاتِ غَايَاتِهِمَا: أي علم سرِّ التكوين الإلهي.

قال: فلم طغفا يَخْصِفَانِ عليهما من ورق الجنة؟ قلت: ليكون لهما من ملاحظة

الأغيار حُجَّة.

أي: أن خصفهما من ورق الجنة لستر ذلك المقام عن غير الأكابر، أي لئلا تراهما

الأغيار.

قال: فما نظيرُها في الوجود؟ قلت: القلم واللوح المشهود.

أي آدم هو القلم، وحرّاه هي اللوح المشهود - عَلَيْهِمَا كَلِمٌ -.

قال: لِمَ أَرَدَ آدمَ بالمعصية دونَ أهله؟ قلت: لأنها بعض من كلّ.

أي لأنه بضعتهما، وهي جزء منه إذ كانت مخلوقة منه.

قال: لِمَ حَبَّرَ التَّيَمُّ عَلَيْهِمَا؟ قلت: لتثبّت عيوبتهما.

قوله: «لتثبّت عيوبتهما»: أي إذ هما بِسُوءِ غيرهما. فلا بد من ظهور سطوة الأمر، وظهر التحجير عن حقيقة إلهية، وهي سُبُّ العلم بما حُكِمَ به على الاختيار. فلما كان التججير حقيقة، ظهر أثره في الكون. فالاختيار للألوهية، والحكم الواحد للذات.

قال: لِمَ أُصِيبَ الزَّلْزَلُ للشيطان، وقد حُكِمَ أنه ليس له على ذلك سلطان؟ قلت:

لجعلك إياه في المشاهد صفة نقص دليل خسرة.

أي: لتأجل الزلزال صفة نقص، نزّه الجنب العالي أن يُضاف إليه، أو إلى من شهد له بالكمال كالأنبياء - صلوات الله عليهم -.

قال: لِمَ جعل بعضهم بعضاً عدواً في هذه الدار؟ قلت: ليستعينا بتأييدك فيصح

منهما الافتقار، ويقرّر جلالك بالمزيج الفخار.

قوله: «ليستعينا بتأييدك فيصح منهما الافتقار»: يعني قوله: «لَنْ أَسْكُنَ فِيهِ» في حق

إيليس.

قال: لِمَ تاب عليه بتلقّيه الكلمات المليّة؟ قلت: لأنه تلقاها من حضرة الربوبية.

يريد بحضرة الربوبية الإصلاح⁽¹⁾.

قال: لِمَ نُبِّلَ قريانَ الابنِ الواحدِ دونَ أشعاه؟ قلت: لأنك جعلتهما أصل بنيهما، وهما

بجستان فلا بد أن يختص أحدهما بالرضا والأخر بالخسران. قال: لِمَ كان الغراب له معلماً؟ قلت: لأنك ألبسته نوباً من الليل مظلماً. فأعطاه العلم فعلا وحالاً، فكساه من

ظلام الغير سريالاً.

قوله: «ألبسته نوباً من الليل مظلماً»: أي أنّ الغيب يعلم الشهادة، ولذلك كان الليل غيباً والسواد غيباً. قوله «فأعطاه العلم فعلا وحالاً»: أي فعلا بيته الأرض، وحالاً بما تقدّم من إشارة السواد، وهو صفة الغيب المفيد لعالم الشهادة، فذلك قال «وكساه من

(1) يعني الآية: «لَقَدْ نَزَّلْنَا مِنْكُمْ لَكُمُ الْكِتَابَ وَكَانَ نُفُورٌ» (البقرة: 137).

ظلام القبر سربالاً: أي لمناسبة الظلام إلى السواد⁽¹⁾.

قال: لِمَ أضاف خلقه ليديه؟ قلت: لَمَّا لم يتَقَمَّ مثله عليه⁽²⁾.

قال: لِمَ أتى إيليس ابن آدم، من جميع جهاته إلا من أعلاه؟ قلت لتلا يحترق بنور تنزل الأمر من مولا. قال: فهلاً أتاه من أسفله فيُغويه؟ قلت: إليه يدعوه فلا فائدة فيه.

قال: لِمَ تمكن إيليس من آدم في دار الاتصال؟ قلت: لأنَّ في آدم جزءاً من الصَّلصال⁽³⁾. قال: والحَمَّ المسنون؟ قلت: إشارة سرِّ برزخيِّ بين الأعلى والدُّون.

الحَمَّ المسنون أي الهواء المتغيَّر الرَّائحة. وقوله «بين الأعلى والدُّون»: أي بين النار والماء.

قال: فلاي معنى قال: ﴿لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِرَبِّكَ خَلَقْتُهُ مِنْ صَلَاسٍ﴾ [الحجر: 33]، وهو

حقيقته؟ قلت: لامتزاجه ببقية العناصر فاختلَّت عنده طريقته.

قوله: «من صلصال وهي حقيقته»: يعني النارية. وقوله «لامتزاجه ببقية العناصر فاختلَّت عنده طريقته»: أي لَمَّا غلبت الترابية على آدم، وهي ضد النارية، من كونها كثيفة، لم تصح مقابله له ولا مناسبه.

قال: لِمَ جمع له بين لا يجوع ولا يعري، ولا يظلم ولا يفسح، والترتيب على خلاف ذلك، فما الحكمة أيها السالك؟ قلت: الحرارة سبب الظمأ فلذلك قرنه مع الضحى، والجوع تمرية باطن الحيوان فلذلك قرنه بتمرية باطن الأبدان.

قال: فلم اجئني قبل أن يُتاب عليه؟ قلت: سابقة قَدِّمه سبقت إليه.

قال: مِن أين صحَّ له أحسن تقويم؟ قلت: لأنه على صورة القديم.

قال: فليَم رُدَّ إلى أسفل سافلين؟ قلت: إشارة إلى الطين.

(1) سواد الغراب يشير إلى ظلمة نفس القاتل لَمَّا قام بجريمته واغترب عن الاستقامة.

(2) أي لم يفر بالخلق بيدي الحق تعالى إلا الخليفة الجامع لكلِّ الثنائيات الوجودية، وهو الإنسان المخصوص وحده بالخلقة وخلق على كمال الصورة.

(3) الطينة الأدمية ما أصبحت صلصلاً، أي يابسة إلا بفعل الحرارة النارية، والعنصر الأغلب على إيليس هو النار، فمن هذه النسبة كان الاتصال.

قوله: «فلم رد إلى أسفل سافلين»: إشارة إلى عالم طيعت.

قال: فَلِمَ اسْتَنِى بِرُتَبِهِ بِالصَّلَاحِ؟ قلت: إشارة إلى صفة الأرواح، الرواية علة الصلصال القائمة بالأشباح⁽¹⁾.

قال: يُفْتَمُّ مَا بِهِ أُجِبْتُ. قلتُ: بك تكلمت.

قوله: «فَلِمَ اسْتَنِى بِرُتَبِهِ بِالصَّلَاحِ»: يريد رجوعه إلى أحسن تقويم. وقوله «قلت» إشارة إلى صفة الأرواح: أي من أجل روحه ولطيفته التي هي محل النور وعالمه. وقوله «الرواية علة الصلصال القائمة بالأشباح»: أي أَنَّ بين النور- وهي اللطيفة- وبين النار مناسبة، فلذلك قيل وعب.



(1) صفة الأرواح هي النور، ومن اشتداد النور تكون النار، التي حرارتها تجعل الطبقة الأعمى صلصالا.

الإشارات الموسوية

قال السالك:

ثم خاطبني بلغة موسى -عليه السلام-، وقال: ما يقول العبد المستسلم: لِمَ قُتِنَ قوم موسى من بعده؟ قلت ضيافة السيد لعبده.

أي أَنَّ ابتلاءه بذلك هو ضيافته، ولا يُتلى مثل الأنبياء إلا في ربّه. فلمّا قرّبه نجياً، ودخل حضرته وخاطبه، لا يد للقدام من كرامة، فكانت كرامته ما أصابه من الغيرة في حق الله حين رجع إلى قومه، فوجدهم قد عبدوا غيره، فكانت منزلته على قدر غيرته، فتلك ضيافته سبحانه لعبده.

قال: لِمَ ظهر من قبضة الأثر في المجمل خوار؟ قلت تنبيه على أَنَّ الحياة في سلوك الأتّار.

يشير إلى أَنَّ حياة القلوب في اتباع الشرائع. وذلك أنه إذا اتبعها رزقه الله علماً يحيا به قلبه.

قال: لِمَ ضرب له ميقات؟ قلت: ليعلم أنه تحت رق الأوقات.

أي لمناسبة السير، إذ الأمر غيبي، والحق سبحانه احتجب في الدنيا عن التجلي العام، فلهذا ما ذكر أنه رأى -عَلَيْهِ السَّلَام- ربّه إلا بعد خروجه عن هذه الدنيا ليلة إسرائه.

قال: لِمَ جاء العدد بالليل ولم يجر بالنهار؟ قلت: لاحتجابك عن الأبصار.

قوله: «لم جاء العدد بالليل ولم يجر بالنهار»: أي لمناسبة.

فجملته يسلك أربعين ميقاتاً من مغيبات الأسرار، فصَحَّ له الاتصال عند الأسحار، وانتظم بها في شمل أمة محمد -عليه السلام- الدّاهي من مقام الأرواح، في تخلّقه بالأربعين صباح، فهو ميقات الوارثين، فشرف بذلك كليم رب العالمين.

قوله: «في تخلّقههم بالأربعين صباح»⁽¹⁾: يريد أَنَّ موسى -عَلَيْهِ السَّلَام- كان له تجلي

(1) سبق الكلام عن هذا الخبر وتخريجه: «ما أخلص عبد أربعين صباحاً إلا ظهرت بانيب الحكمة»

الكلام بعد أربعين ليلة مقامات أسرار غيبية، أُنشِجت ما ذُكر. ثم جاء في هذه النيرة أربعون صباحاً، وهو الذي يتلو الليل من النهار، فكانه يَنْبَه على أنَّ نتيجة لبالي موسى هي بدايات المحمديّة، فتكون منزله وأتوارهُ أوضح وأبَيّن. فانه ليس يكون عند الصباح إلا طلع الشمس، وهو التجلي، فامتاز المحمديّ عن الموسوي، ولذلك كان منه مع محمد - عَلَيْهِ السَّلَام - في أمر الصلاة ما شهر، لأنه في أنته يطلب الرفق بإخوته كما ذُكر. وذلك لما وقع هناك في حمله أنَّ محمداً - عَلَيْهِ السَّلَام - يقول: (لا يكمل إيمان العبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)⁽¹⁾. ألا تراه - ﷺ - قال في موسى: (لو كان حياً ما وبسه إلا أن يجني)⁽²⁾. فأوضح لنا المعنى، وتبين لنا حقيقة أنه منّا.

قال: لِمَ ضرب بمصاء الحجر فاقفجر؟ والبحر المغلق فافتق؟ قلت: سر الحياة في المصاء، فلذلك اتفجر الحجر ماء، وسر القيومية فيها، فلذلك أظهرت في البحر بمصاء⁽³⁾.

قوله: «لأن سر الحياة في المصاء»: أي سر الحياة في النبات. وقوله «سر القيومية فيها فلذلك أظهرت في البحر بمصاء»: أي أنَّ القيومية تعطي التفرقة بدليل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ سَخَّرَ اللَّهُ لَكَ الْبَحْرَ بِمِصْيَاكِمْ﴾ [الزمر: 33]، وهذا مقام تفرقة، فلذلك اتفرق البحر.

قال: لِمَ حُلِيتَ النملان؟ قلت: إشارة لزوال شغمة الإنسان.

قال: لِمَ حُصَّ بالكلام؟ قلت: ليقرّر في نفسه نيل حظه من ميراث محمد عَلَيْهِ السَّلَام، وللذلك كان في الواحه تفصيل كل شيء حُلِمَ في مقابلته جوامع الكلم.

قوله: «فلم حُصَّ بالكلام؟ قلت: ليقرّر في نفسه نيل حظه من إرث محمد عَلَيْهِ السَّلَام»: أي أنَّ محمداً - عَلَيْهِ السَّلَام - كانت معجزته الكلام، بقوله: (أوتيت جوامع الكلم)، وكان القرآن معجزته الكبرى.

١ - من قلبه على لسانه.

(1) رواد البخاري ومسلم.

(2) رواد أحمد والبيهقي في كتاب شعب الإيمان والدارمي وابن أبي شيبة.

(3) أي أنَّ أصل المصاء من شجرته، ومن الحياة النباتية في الأشجار تعيش الحشرات والإنسان. وشكل المصاء القائم كشكل الألف يوم الحروف، إشارة إلى الاسم الأعظم: «الله الحي القيوم»، أي القيومية الإلهية التي بها قيام كل شيء.

قال: فليَم سأل الرّؤية وهو يعجز عن النظر؟ قلت: حتى لا يبقى له من الميراث أثر.
 أي: أن الرّؤية للنبي -ﷺ-. وقد اختُلف في رؤية النبي -ﷺ- بقلبه أو بعيني رأسه؟ وانظر إلى كثرة سواده في الآخرة لقرب نسبته من الرسول -عليه السلام⁽¹⁾.
 قال: فليَم أمرناه أن يكون من الشّاكرين؟ قلت: ليزيد في القرب والتمكين، حتى يراك بعين محمد ليلة إسرائه في حلّين⁽²⁾.
 قال: فليَم القيناه في التّابوت؟ قلت: فهل ظهرت الحكمة إلا بوجود الناسوت⁽³⁾.
 قال: لِم القيناه في اليم؟ قلت: إشارة إلى العلم. قال: وكيف يصح اليم مع العلم؟
 قلت: ولولاه ما صح عند ذوي الفهم.

قوله: «كيف يصح اليم مع العلم؟ قلت: ولولاه ما صح عند ذوي الفهم؟» يريد قوله تعالى: ﴿وَمَكَتَ السَّابِقَ السَّابِقَ كُلُّ شَيْءٍ حَاقٍ﴾ [الأنبياء: 30]. وكذلك العلم تحى به القلوب. وأما نهر العسل فهو نهر الوحي بقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ [النحل: 68]. وأما الخمر وهو علم الأسرار والسرور والابتهاج، وهو مشروب الآخرة، ولذلك قيل له في الإسراء لقا عُرض عليه الخمر واللبن، فشرب اللبن فقيل له: «لو شربت الخمر لغوت أمتك» فهو علم القلال والحيرة في الدنيا، وهو في الآخرة علم السرور والابتهاج والطرب. وأما اللبن فعلم الفطرة، وهو العلم الذي يحصل عقيب المجاهدات⁽⁴⁾.

(1) سبق الكلام عن الرؤية الموسوية عند صعقه لما وقع التجلي للجبل. أمّا كثرة سواده، ففي الحديث النبوي الصحيح: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأَسْمَاءُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيُّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ؛ إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمِّي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْأَفْتَى، فَظَنَنْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَى الْأَفْتَى الْآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عِلَاقٍ...»

(2) يقول الشيخ في الباب 540 من الفتوحات: «رؤيتنا الله في الصورة المحمدية بالرؤية المحمدية، هي أتم رؤية تكون. فما زلنا نعرض الناس عليها مشافهة وفي كتابنا هذا».

(3) أي كأنّ التابوت يشير إلى الناسوت. والناسوت عبارة عن جسم الإنسان وجانبه البشري الكثيف، واللاهوت عبارة عن روحه وجانبه العلوي اللطيف. والحكمة الإلهية تظهر في تدبير الروح للجسم.

(4) يقول الشيخ في الباب 249 وهو في معرفة الشرب ما خلاصته: «واعلم أن الشرب يختلف =

قال: فلم طلب العون بأعنه؟ قلت رحمة لمصاطبيه إنكلا يلحقوا عند مشاهدة الكلام من ليد، إذ من كَلَمَكَ برفع الوسائط، كيف تحمل كلامه كتاب أو بسائط؟

أي: أن سلطان الكلام من موسى - عَلَيْهِ السَّلَام - قويّ قاهر لما أعطاه مشهد الخطاب الإلهي من العزّ. وإلى ذلك أشار موسى - عَلَيْهِ السَّلَام - بقوله: ﴿وَأَنزِلْنَا سُبُوحًا مُّزَكَّاتٍ مِّنْ لَّسَانِكَ﴾ (النحصر: 34)، أي أفصح لمناسبة للسامعين، وبسطه لهم وتنزّله إليهم. وأما مقامه الذي ورثه من كلامك يُعطي الإجمال والعزّة، ولذلك قال في آخر الكلام «إذ من كَلَمَكَ برفع الوسائط كيف يحمل خطابه كتاب أو بسائط».

باعتلاف المشروب. لأن كان المشروب نوعاً واحداً فإنه يختلط باختلاف أوعية الشاربين، وهو استعمالهم. فمن الناس من يكون مشروبه ماء، ومنهم من يكون مشروبه لبن، ومنهم من يكون مشروبه خمر، ومنهم من يكون مشروبه عصلاً، بحسب الصورة التي يتجلى فيها ذلك العلم. لأن هذه الأصناف صور علوم مختلفة قد ذكرناها في جزء لنا سميته: «مراتب علوم الوهب». ودلينا على ما قلناه إنها علوم رؤيا النبي - ﷺ - فإنه قال: «أولت كائني أوتيت بفتح ابن فشرحت منه حتى أولت فري يخرج من أفطاري، ثم أعطيت فضلي عمر، قالوا: فما لؤله يا رسول الله؟ قال: العلم. فهنا علم تتجلى في صورة ابن. كذلك تتجلى العلوم في صور المشروبات. ولما كانت الجنة دار الرؤية والتجلي، وما ذكر الله فيها سوى أربعة أنهار: «النَّارُ الطَّيِّبَةُ الْكَافَّةُ، الْكَافَّةُ الْكَافَّةُ، الْكَافَّةُ الْكَافَّةُ، الْكَافَّةُ الْكَافَّةُ» (محمد: 15) علمنا قطعا إن التجلي العلمي لا يقع إلا في أربع صور: ماء ولبن وخمر وحسل. فالعلوم وإن كثرت فإن هذه الأربعة تجمعها، وهي مجال إلهية في منصات ربانية في صور رحمانية، وهي في حق قوم مع الأشخاص علماء، وهم الذين لا يقولون بالفري، وفي حق قوم إلى أمد معين وهم الذين يقولون بالفري. ومنهم من يتفرع في المشروبات وهو الأتم. وكان رسول الله - ﷺ - يحب مزج الماء باللبن فشربه، ومزج الحسل باللبن، وما بقي إلا الخمر، وليست دار الدنيا بمسل لإباحة في شرع محمد - ﷺ - الذي مات عليه، فلم يمكن لنا أن نغرب به الحسل بالحسل. وأعلم أن من أصناف الله المعاني مبرحة من الخطاب، أو التصور من الخطاب غير من تجليه في صورة الماء غير الأسن، وهو العلم الإلهي الذي لا تماثل له بالبطية. ومن أعطاه الله العلم بأسرف الشرح وأحكامه فذلك من علم تجليه في صورة اللبن، أعني الحليب من الذي لم يتغير طعمه بقلقه أو منعه أو تربيته. ومن أعطاه الله العلم بالكمال والأحوال والجمال فإنه من تجلي العلم في صورة الخمر. ومن أعطاه الله العلم بطريق الحسي والإيمان وصفاء الإلهام، وعَمَّ علمه كل شيء، متا بصح أن يُعلم حتى يُعلم أنه ما لا يصح أن يُعلم لا يُعلم، فذلك العلم من التجلي في صورة الحسل.

قال: فَلِمَ قُلِبْتُ العصا ثعبان؟ قلت: ﴿وَبَرَزُوا مِنْ عِصْيَانٍ بِغْلًا﴾ [الشورى: 40]،
﴿مَلَّ جَزَاءُ الْيَحْصِيْنَ إِلَّا الْيَاحِدُ﴾ [الرحمن: 60].

أي جاءهم بما يناسب ما كانوا عليه. وكذلك معجزة كل نبي هي ما يناسب قومه.
قال: لِمَ خاف وهو معنا في حال التمكين؟ قلت: عقابا لقوله: ﴿وَإِنْ مِثْرَى رَبِّي سَپِيلَيْنِ﴾ [الشعراء: 62].

قوله: «عقابا لقوله: إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ»: أي لكونه قدّم نفسه بقوله «معي»، ثم قال بعد ذلك «رَبِّي»، فلما قدّم نفسه كان الخوف مصاحبا له.
قال: فَلِمَ أخرج يده من جيبه بيضاء من غير سوء؟ قلت: تنبيه للإنسان أنه عند خروجه من غيبه من العلل برئ.

أي أَنَّ الإنسان ما خرج من الغيب إلا طاهر نقي، وما تدنّس إلا بمصاحبة الكون والحدث. ولذلك قيل: (كل مولود يولد على الفطرة)⁽¹⁾.

قال: فَلِمَ قال: ﴿سَوِّدُهَا سَوْدَهَا الْأَوَّلَى﴾؟ قلت: بشرى لموسى بمقام الفناء، وتصحيح اللقاء.

يريد بالعود الرجوع إلى الأصل، فإنه منه خرجنا وإليه نعود.
قال: فَلِمَ ألغى الألواح؟ قلت: إذا فُتح الباب ما يصنع بالمفتاح؟
يريد إذا حصل الكلام كفاحا، فلا حاجة للكتب، كما قيل: «وتلقَى عن الأيدي الرسائل والكتب».

قال: فَلِمَ كانت البقرة جبروتية؟ قلت: لأنها سَرَحَتْ في مروج الحضرة البرزخية.
قوله: «جبروتية»: أي عالم الوسط، لأنها فوق الكباش ودون البدنة في الأجر.
وقوله «لأنها سرحت في الحضرة البرزخية»: أي أنها كانت سبيّا في نقل حياتها إلى حياة البرزخ، وهو أحياء هذا المَيِّت، فَإِنَّ المَيِّتَ في عالم البرازخ، ف وقعت المناسبة.
قال: وهل الشرف إلا في الملكوت الأعلى؟ قلت: تجنّع الطرفین في حق الإنسان أسدّ وأولى.

(1) الحديث أخرجه البخاري ومسلم.

قوله: «الطرفين أولى؟» يريد أن كل برزخ يجمع الطرفين، وهو أولى بالإنسان لأنه بين عالم الأرواح وعالم الطبيعة.

قال فلهم حيي الميت يمضها؟ قلت: إشارة إلى شطر الجنة من جهة عرضها.

يريد أن الميت ما حيي من إلا شطره، وهو حياته الطبيعية التي بها يتبع كل شيء، وبها تشهد الجلود والأيدي والأرجل.

قال: لم كانت الحياة بالضرب؟ قلت: حجاب على القلب عن معاينة القرب.

يريد بالضرب قول النبي - ﷺ -: (فضرب بينه وبين كثره، فوجدت بردها بين ثمين، فملئت علم الأولين والآخرين)⁽¹⁾. فأضاف العلم إلى الضرب باليد الإلهية، وهي الحياة المعنوية؛ فظهرت الحياة الحسية أيضا بالضرب للمناسبة، ولذلك قال «حجاب عن القرب»، لأنه يبقى ليتلقى العلم من موضع بعيد وهو الضرب، فيكون حجاباً له عن رؤية القرب الإلهي، وعن المسبب الأول عكساً.

قال: كيف استطاع فيها على أمه، ولي تسخه الهدى والرحمة؟ قلت: إنما أظفيتها إتياء بعدما سكنت من الغضب لطلب التمسك.

يريد أن موسى - عليه السلام - لم يكن قرأ الأرواح حتى غضب وألقاها، ثم بعد ذلك أغلها فوجد فيها الهدى والرحمة وذلك ليثبت الله مراده. فلو كان وقف على ذلك ابتداء لما استطاع غضباً. والله أعلم.



الإشارات العيسوية

قال السالك:

ثم خاطبني بلغة رُوحه⁽¹⁾، وأمدني بفيضان يُوجه⁽²⁾، ثم قال لي: لِمَ كان عيسى كمثل آدم - عَلَيْهِمَا السَّلَام - قلت: لأن الأخير نظير الأول في أكثر الأقسام⁽³⁾.

قوله: «لأن الأخير نظير الأول»: أي إذا كان الأمر دوريًا كان الأخير مثل الأول، لأنه مجمع الطرفين، ولذلك كانت الخاتمة عين السابقة. والنهاية في الدائرة أقرب شيء إلى البداية، إذ عندها يقع الختم.

قال: لِمَ لم يكن والد؟ قلت: لأنه من أركان الدليل على المفترى الجاحد.

أراد أن الخصم يقول: لا ولد إلا من والد، ولا بيضة إلا من دجاجة، وهم يُنكرون آدم، فأزاهم الله تعالى عيسى حُجة عليهم. إلا أن عيسى - عَلَيْهِمَا السَّلَام - كَوْنَهُ الله تعالى في الرحم، وكَوْن آدم - عَلَيْهِمَا السَّلَام - في الأرض. ولذلك قام لها الشاهد بهذا الجذع، لأن المناسبة موجودة لكون النخل لا يتبع إلا بتذكير، فلَمَّا هَزَّت الجذع اليابس أنتج تذكيرًا للحين، كما فعل الله تعالى بعيسى - عَلَيْهِمَا السَّلَام -.

قال: كيف قلت أنه الأخير وبعده خاتم النسيب؟ قلت تلك بدأة نشأة السيادة على العالمين، إذ قد كان وأدم بين الماء والطين، فلا مناسبة بين السيد والعبد إلا من حيث العناية والوجود.

قوله: «تلك بدأة نشأة السيادة»: أي ليست هي دورة المُلْك. وإنما دورة المُلْك انتهت بعيسى - عَلَيْهِمَا السَّلَام -، وكان آخر الرسل في دورة المُلْك. وإنما النبي - عَلَيْهِمَا السَّلَام -

(1) روح الله: أي عيسى عَلَيْهِمَا السَّلَام.

(2) يروح: هي الشمس.

(3) يشير إلى الآية: ﴿وَمِنْ مَثَلِهِمْ يَعْنُوا أَنَّهُمْ كَمِثْلِهِمْ أَذْهَبُوا عَنْهُمْ رُؤُوسَهُمْ وَأَنَّهُمْ كَمِثْلِهِمْ سَعَوْا﴾ [آل عمران: 159].

فهو في طور آخر، فلا يتناسب ولا يتقارب، بل هي دورة سيادة، كان في رأسها وأولها، ولذلك قال: (إنَّ الزَّمان قد استبدل)⁽¹⁾.

قال: لِمَ أَيْدِ عِيسَى بِالزَّوْجِ؟ قلت: ما رقمه قَلَمٌ في لَوْحٍ، فُكِّلَفَ في الرِّحْمِ من غير شهوة، فلم يكن له من طرح الأَكوان سلوة.

قوله: «ما رقمه قلم في لوح»: أراد بالقلم واللوح الفرجين الحُسينَ الذين هما سبب إيجاد أعيان الحيوان والأرواح. فما رقمهما هذا القلم الحسي. قوله «فُكِّلَفَ في الرِّحْمِ من غير شهوة»: يريد أن عيسى - تَعَالَى كَلَمٌ - منزه في أصل نشأته عن الشهوات الطبيعية. فقال: فَوَيْلَ لِمَن صدر هذا الزَّوْج؟ قلت: من حضرة «قَلْبُوسِ سُبُوح».

قوله: «صدر من حضرة قَلْبُوسِ سُبُوح»: أراد قوله تعالى: ﴿وَوُجِدَ فِي يَدَيْهِ﴾ (النساء: 117). والتقدير: الصَّليبيُّ والتَّسْبِيحُ: التَّسْبِيحُ.

قال لِمَ تَكَلَّم في المهد؟ قلت: شاهد ثَاني على أهل الجعد. قال: وهل تقدَّم قبله شاهد في الملة؟ قلت: هَؤُلَاءِ مريم جلع النخلة.

قوله: «لِمَ تَكَلَّم في المهد قال شاهد ثَاني»: يعني أنَّ النخلة شاهد أوَّل، وتُطَقِّع عِيسَى الشاهد الثاني. فحصل الشاهدان المشروعان.



(1) الحديث أخرجه البخاري ومسلم. والتوسع في معرفة دورة الملك ودورة السيادة المحمدية واستغارة الزمان كهيته يوم خلقه الله تعالى عند مبعث سيدنا محمد - ﷺ - يُنظر في الفتوحات الباب 12.

الإشارات الإبراهيمية

قال السالك:

ثم خاطبني بلغة خليله، وقال: عليك بحسن الجواب وقيله: إيه ما وجود الكوكب والقمر والشمس؟ قلت اطلاعه على الروح والعقل والنفس.

أي لكل عالم كوكب بقدر ما يناسبه من التفاضل في النورية، التي هي عين الدلالة. فمن نوره قال: «إنه ربّي»، ومن أفوله قال: «ليس ربّي»، إذ كان من أسمائه سبحانه «النور»، ولم يكن من أسمائه الأفلو. ولذلك أنه ما تجلّى الحق قط ثم احتجب بعد تجليه. ومن ادّعى أنه تجلّى له الحق ثم احتجب فقد غلط في دعواه الأولى. وإنما إذا حصل التجلي بقيت العين مشهودة، ثم تتنوع المظاهر كالحرباء إذا تلوّنت. وكذلك ما كب الحق شيئا قط في القلب ثم محاه. وأمّا الكتابة في النفس فتمحى. وإنما كان خوف الخاتمة حذرا أن لا يكون الإيمان كُتب في القلب، وإنما يكون كُتب في النفس. ولذلك قيل في أولئك الذين يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، فلم يصفه بأنه في قلوبهم. فاعلم ذلك.

قال فلم أثبت لهم الربوبية؟ قلت: لما لحظ لهم القهر على النشأة الترابية.

قال الشيخ في معنى قوله «لما لحظ لهم القهر على النشأة الترابية»: وقد تقدّم ذلك في تأثير الأنوار، فإنّ النور مؤثر في الظلام يدفعه ويقهره.

قال: فلم قال: «وَجَّهَتْ وَجْهِي لِأَلْزَى فَطَرَ السَّكُونَتِ وَالْأَرْضَ حَيَاتًا» [الأنعام: 79]؟

قلت لما رأى بعضهم يفضل على بعض.

أي لما رأى التفاضل في ذوات النيرات قال: «وَجَّهَتْ وَجْهِي لِأَلْزَى فَطَرَ السَّكُونَتِ وَالْأَرْضَ حَيَاتًا»، فإنه لا شيء أدلّ من الشيء على نفسه.

قال: تُراه نظر في النجوم فقال «إني سقيم»⁽¹⁾ قلت: إشارة إلى حكمة علوية صدرت له من اسمه «الحكيم».

(1) أي الآية: «فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم» 88- / 89.

أرد بما صدر له من اسمه «الحكيم» تجلياً إلهياً ظهر له عرفه بنفسه، وهو الذي عبر عنه بالشقم.

قال: يَمَّ طَلَب رُؤْيَا الإِحْيَاءِ مَعَ ثُبُوتِ الإِيمَانِ؟ قلت: ليجمع بين العلم واليمان. وفي مثل هذا قال الحسن⁽¹⁾ وقد أحسن:

ألا فاسقني عمرا وقل لي هي الضمير
وَيْتَحَ بِاسْمِ مَنْ تَهْوَى وَدَعْنِي مِنَ الْكُنَى
ولا تسقني سراً إنا أمكن الجهر
فلا خير في اللغات من دونها ستر
قال: يَمَّ فَلَئِنْ عَلَى أَرْبَعَةٍ مِنَ الطَّيْرِ؟ قلت: إشارة للمناصر لا غير⁽²⁾.
قال: فَلَيْتَ تَخُذَ لَبَةِ قُرْبَانَا؟ قلت: ليصح كرمه حليقة وبرحانا.

قال: مَا صَدَّ بِفَلَكَ؟ قلت: يَرَى الْوَاحِدَ الْمَالِكَ، وَفَلَكَ أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ إِلَى قَلْبِهِ، تَعَيَّنَ عَلَيْهِ ضِيَاقَةُ رِيَّةٍ.

قال: فَلَيْتَ أَضْلَعَهُ بِنَفْسِهِ دُونَهُ؟ قلت: لم يكن له فيها منازع ينلزهونه.
أي أن نفسه لم يكن له فيها منازع، وأما الولد فكانت أمه تنازعه فيه، والنفس تنازع فيه من نسبة الأبوّة. والمجلة من الشيطان إلا في عسّة⁽³⁾: تجهيز البيت إذا أدركت، وتلقم الطعام للضيف قبل الكلام، والمبادرة إلى الصلاة في أوّل وقتها، وتجهيز الميت. فلذلك يادر إبراهيم إلى ضيافة رِيَّةٍ بولده.

قال: فَلَيْتَ كَانَ الْوَحْيُ فِي الْمَنَامِ؟ قلت: حتى لا يكون للحسن بساطته العلم.
أي أن البرزخ أقرب إلى الغيب من الحسن، وأبعد من التأويل. وذلك أنّ الأنبياء يعطوا في مراتبهم العلم في نفس الزّقاء، فيستغفروا عن التأويل لوجود النص في الخطاب البرزخي. ولذلك لم يحتج إبراهيم إلى تأويل، بل قال: ﴿إِنِّي أَنَا فِي الْكَلَامِ أَنَا أَتَمُّكُمْ﴾ [الصافات: 102].

(1) الحسن: هو الحسن بن حاتم، أبو نوحس.

(2) أي المناصر الأربعة: القرباب والماء والبراء والنار.

(3) ذكر القزالي في الإحياء من حاتم الأصم قال: المجلة من الشيطان إلا في عسّة، فإنها من سنة رسول الله ﷺ: «إطعام الطعام، وتجهيز الميت، وتزويج البكر، وقضاء الدين، والقربة من القريب».

قال: فَلِمَ ابتليناه بالكلمات، وقد تلقاها للتوب صاحب السمات⁽¹⁾

قلت له: ألم تقل إن الابتلاء أفضل الكرامات.

قال: لِمَ أمر إبراهيم وإسماعيل بتطهير البيت للطائفين؟ قلت عنابة محمد - ﷺ -

سيد المرسلين.

قال: لِمَ لَمْ يكن إسحاق دون غيره؟ قلت: لَمَّا لم يكن محمد - ﷺ - في ظهره.

يريد أن إكرامهما ببناء البيت وتطهيره إنما كان لكونهما حملا النبي - ﷺ - في ظهورهما، فأكرما، واختص إسماعيل دون بنيه بذلك وبالاقتداء، لكونه كان من آباء النبي - ﷺ - قال: (أنا ابن الذبيحين)⁽²⁾. وإنما كانت الفضيلة لهما في البيت لكونهما طهراه وينوه عن أمر إلهي. فاعلم ذلك.

قال: فَلِمَ دعى لمكة بالبركات؟ قلت: إذا بُورِكَ في الأمم بُورِكَ في البنات.

قال: حين رفع إبراهيم القواعد من البيت لِمَ دعا إسماعيل بالقبول؟ قلت: أظهر

النقص ليصح كمال الخليل، إذ الواجب على كل نبيه أن يضع من قدره عند قدر أبيه.

يريد أن إسماعيل أظهر صفة الاقتدار، وظهر بها احتراماً لأبيه وأدبا معه.



(1) صاحب السمات هو آدم - ﷺ - الذي علمه الله تعالى الأسماء كلها، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ بَلَّغْنَا إِبْرَاهِيمَ نُبُوءَهُ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ﴾ [البقرة: 124]، وقال: ﴿وَقُلْنَا نَادُ مِنْ رَبِّهِمْ فَبَعَثْنَا إِلَهُهُمْ﴾ [البقرة: 37].

(2) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرک عن الصحيحين.

الإشارات اليوسفية

قال السالك:

ثم خاطبني بلغة يوسف ابن يعقوب: ما يقول الفطن المصيب لم قال السوء: فإن
مَنَّا (أَمْكَتِيرْ) (٣١) (يوسف: 31) قلت لأخصاصه سمو ما بأحسن تقويم.

قال: لم يبع بشئ يفس؟ قلت: لئعلم أن الإنسان - من حيث ما هو - صاحب نقص،
فإن غلاته وحلا، فلفسة زلفة على ذاته خصه بها التلك الأعلى.

قال: فلم جعل الضرام حجاباً؟ قلت: ترم بملك للاتصال بالأحية باباً.



الإشارات المحمدية

قال السالك:

ثم خاطبني بلغة محمد - ﷺ -، وقال لي: يا من طلب الطريق إليه، ليرث ممّا كان في يديه، ما تقول في الأفق المبين⁽¹⁾ قلت: محلّ كشف المقرّبين. أراد به الوضوح والبيان والنص الجلي الذي لا يتداخله شك ولا ريب، وهو نصيب المقرّبين.

قال: لِمَ كان التجلي بالأفق؟ قلت: تنبيه على علو الخلق.

أي كل حالة تبقى الإنسان على حالة اعتداله بغير انحراف، لأنّ الأفق هو ما قابل نظرك على الاعتدال، وهي أكتاف السماوات، ولذلك سُمّيت حركة البهائم «أفقية»، لأنّ رأسها يطلب الأفق، وسميت حركة الإنسان «مستقيمة» لكون رأسه يطلب العلو، وسميت حركة النبات «سفلية» لأنه يطلب برأسه السفلى.

قال: وما ينطق عن الهوى؟ قلت: أسرار الاستواء.

يريد الاستواء في المنطق. والهوى هو المضاف إلى النفس بطريق الذمّ، كما قال تعالى: ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النازعات: 40].

قال: وفي قصة الفاتحة⁽²⁾ قلت: العبودية الواضحة.

أي لأنه مِزَ العبد في الفاتحة بحقيقته عن الربّ. فكل عبده حظ من صفات الربوبية فما هو داخل في هذه القسمة، لأنه لا ينطق عليه اسم العبد خالصا.

قال: فَلِمَ اخْتُصِمَتِ الرَّحْمَةُ بِالنَّاسِ⁽³⁾ قلت: ليتبيّن من أنت ومن أنا.

(1) يشير إلى الآية: ﴿وَلَقَدْ رَءَوْهُ لَأَتَىٰ الْمَلِئِكِ﴾ [التكوير: 23].

(2) يشير إلى الحديث القدسي: «قسمت الفاتحة بيني وبين عبدي».

(3) أي أنّ الآية: «الحمد لله رب العالمين» مكتشفة بالاسم «الرحمن الرحيم» قبلها في البسملة، وفي =

قوله: «حين من أنت ومن أنا: أي لأنه لا يثنى عليه إلا بما هو عليه، ولا يثنى عليك أنت إلا بما تعطيه حقيقته. فإذا رحمتك وذكك إلى عبوديتك، واعتقدت أن الربوبية له وحده سبحانه. فكل من أثنى عليه بوصف مشترك فما أثنى عليه. إنما ينهي أن يثنى على الموجود بما لا تقع فيه المشاركة. فإذا رحمتك من عليك بشيء يتفرد به، ومنى أشركت معه غيره في الشاء فما خصصته بل شركته بغيره.

قال: والمثلث بالتمجيد⁽¹⁾ قلت: لتصحح التوحيد.

أراد بالتمجيد التشريف بالوحانية في الألوهية، فلا إله إلا هو.

قال: فلم وقع الشرك في العبادة والعون؟ قلت: لتتميز القدرة من عجز الكون.

أراد بالشرك آية: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَبِهِ حَيَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (٢٠) فهو سبحانه المقصود بالعبادة، والعبء العابد هو المقصود بالاستعانة، والعبء المستعين. فالاشتراك في الآية كلمة للرب وكلمة للعبء. قال إسماعيل: سمعت شيخي يقول في أثناء شرحه لهذه الآية: وعندني في القاطنة أن نصفها الذي للعبء ثلاث آيات بقوله: «وهؤلاء للعبء» إلا على جماعة. ولو كانت اثنين لقال: «وهاتان للعبء». فاعلم ذلك فهو من الأسرار. وأما تمييز القدرة من عجز الكون فإنه لنا طلب العبء المحونة دل على عجزه.

قال: لم يخص العبء بنفسها الثاني؟ قلت: ليصح عليها اسم الثاني.

قال: قد ساء موسى لمحمد - عليه السلام - في الفرقان، فكيف صحت له السيادة؟ قلت:

لاختصاصه بالقرآن والعبادة.

قوله: «بالقرآن والعبادة»: أراد بالقرآن الجمع. ومن حصل له الجمع فقد عمّ المحطرات كلها، ولذلك قال: «أوتيت جوامع الكلم». ومقام الفرقان لموسى خاصة.

قال: قد شاركه في العبودية نوح وذكرياء الوجه؟ قلت: الواحد عبد نعمت، والآخر عبد روية، ومحمد - عليه السلام - عبد تنزيه⁽²⁾.

= الآية التي بعدها مباشرة. وفي حديث قصة القاتحة: «إنما قال العبد: الرحمن الرحيم، يقول الله تعالى: أنتي عني عبدي.

(1) في حديث قصة القاتحة: «إنما قال العبد: ملك يوم الدين، يقول الله تعالى: سيدي عبدي.

(2) أي قال الله تعالى عن نوح - عليه السلام -: ﴿وَبَشِّرْهُ بِأَنَّهُ يُكَلِّمُكَ عَنْ نَوْحٍ أَلْفِكَ نَبَاً شَكُوكَ﴾ (٢١)

قوله: «ومحمد -ﷺ- عبد تنزيه»: يعني أن النبي -ﷺ- اختير فُوجِدَ نبياً صادقاً في اختياره، فلما قيل له: «إِنْ شئتَ مَلِكاً وَإِنْ شئتَ نبياً عبداً» فقال: (نبياً عبداً). قال: (ولو قلت نبياً ملكاً لصارت الجبال معي ذهباً وفضة). وانظر إلى سليمان -ﷺ- كيف قال: ﴿وَمَنْ لِي مَلِكًا لَا يَتَّبِعُنِي لِأَحْمَرِينَ مَدِينَةٍ﴾ [ص: 35]. وكذلك لو خُيرَ بقية العباد لاحتمال الأمر في عبوديته وخرج عن الاحتمال، ومحمد تنزه في عبوديته عن أوصاف الربوبية. فاعلم ذلك.

قال: وقد شاركه يحيى في السيادة الفاخرة؟ قلت: تلك السيادة الظاهرة. ولهذا صرح بها في الكتاب المبين، وأخفى فيه سيادة محمد سيد العالمين، ثم صرح بها على لسانه في الشاهدين. فهذا سيدُ عموم، وهذا سيدُ رسوم.

قوله: «تلك السيادة الظاهرة»: أراد بالظاهرة سيادة الدنيا، وأراد بالباطنة سيادة الآخرة بقوله: (أنا سيد ولد آدم)، و(أنا سيد الناس يوم القيامة). ثم قال: (أتدرون ماذا؟) وذكر حديث الشفاعة. ولذلك صرح بسيادة يحيى -ﷺ- في القرآن لمناسبتها للظهور، فظهر الوصف. ولما كانت سيادة النبي -ﷺ- باطنة، أي محل ظهورها في الدار الآخرة، لذلك بطن ذكرها في الكتاب العزيز.

قال السالك:

ثم قيل لي: قف هنا ولا تبرح، وقد أعطيت المفتاح فمن شاء فليفتح. والحمد لله على ما فتح. وصلى الله على سيدنا محمد الأخر الأصبح.

قال المؤلف -رحمته الله-: جميع ما في هذه الأسرار من النظم لي، سوى أربع أبيات: بيتان في مناجاة الرياح وهما:

تسترت عن دهري بظل جناحه	فعيني ترى دهري وليس يراني
فلو تسأل الأيام ما اسمي ما دوت	وأيسن مكاتي ما دريسن مكانسي

- [الإسراء: 3] أي شكروا لما أنعم الله عليه بالنجاة في السفينة وجعل ذريته هم الباقين. وقال تعالى عن زكرياء -ﷺ-: ﴿وَكُنْزٍ مَحْفُوظٍ مَكْنُونٍ﴾ [مريم: 2] فهو عبد ربوبية. أما سيدنا محمد -ﷺ- فقرن عبوديته بالتنزيه في فاتحة سورة الإسراء: «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى».

والبيتان الآخران في الإشارات الإبراهيمية وهما:

الأفاسقني عمر أو قل لي هي الخمس ولا تسقني سرا إذا أمكن الجهر

ويج باسم من تهوى ودعني من الكثر فلا خير في اللغات من دونها ستر

وقد انتهى الأصل بكماله وشرح مشكله، إلا قليلا منه في مناجاة أسرار مبادئ السُّور إلى مناجاة السمسة، ولذلك أشار في هذه المناجاة، فقال: «وقد أشرت لك إلى معانيه وما يعقلها إلا العالمون». ثم تبه على حكم هذه الحاضرة فقال: «عبدني هذا باب يدي وصفه، ويُمنع كشفه. الأعداد حُجب على عينيك أيها الإنسان، وإنما هي أسرار نور تُخفي خلف حجاب الرحمة، تلوح لمن سبق له المشيئة بوقوفه عليها، حتى تودعه ما لديها؛ فاستعمل المجاهدة، وتحل بالموافقة والمساعدة، عماك تلتذ بهذه المشاهدة». والحمد لله على ما منح وفتح، وشرح له الصدور إذ شرح، وكان فضل الله عليك عظيما، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا والحمد لله وحده.



